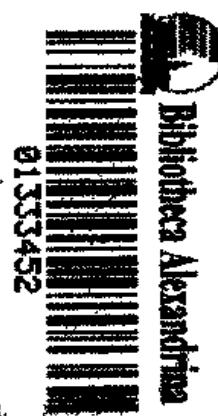


# الله بِسْمِ النَّبِيِّ

## في العقيدة الإسلامية

الدكتور دكاك فهم حطبيط

الشركة العالمية للكتاب ش.م.ل.  
مكتبة المدرسة دار المكتاب العالمي





**مَعْ ابن قَتِيبَةَ**  
**فِي الْعُقْدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ**



دِيَكَاظِمْ جَطَّيْط

# مَعْ ابن قَتِيْبَةَ فِي الْعَقِيْدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

تقديم و دراسة و تحقيق كتاب الاختلاف  
في اللفظ والرد على أوجه ميرمية والمشبهة

للإمام  
عبدالله بن مسلم بن قتيبة

الكتاب لش. م. لـ .  
الشركة العالمية  
دار الكتاب العالمي  
الدار الأفريقية العربية



الشركة العالمية للكتاب - شمال

طہران - نشریه - مسند

مَكْتَبَةُ الْمَدْرَسَةِ

دار المكتاب العلمي

الدار الأفغانية العربية

الاداء المتسا牋

الكتاب المقدس - مقدمة الأدوات في الاتصال

٢٤٩٣٧ - ٢٤٩٠.٥٥ - مصطفى

متذکری ۲۲۸۷۴ - برگشته، میکتابالبان

بستگیت - پیشناہ

جیزیئر ایجھوٽ محفوظہ

## المقدمة

تتقسم الحضارة العربية في أكثر من مجال، ويتعمق التلاقي الحضاري بين العرب وسواهم من الشعوب فتتمو علوم دينية ولغوية، و مجرد، وإنسانية، ويواكبها بروز فنون مختلفة. وتشع حركة التأليف عند العرب. وتتواصل عبر العصر العباسي الثاني أقاليم دولة الخلافة العباسية متضاعلة متكاملة. وإذا ما بُرِز إقليم العراق حيث قاعدة الخلافة، ينافسه إقليم بلاد فارس، ويُخْصِبان معاً بالمعطيات الجديدة، ويترافقان في التراث، ويتميزان في بناء النهضة العربية العباسية، ويتناهى المجتمع العربي العباسي، وتشتت له مزاياه وخصائصه على اختلافها.

ويُيزَّغ في أوائل القرن الثالث الهجري نجم عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ويمضي في شأته الألفة إلى المعرفة، وتنعدد نشاطاته الثقافية، ويشدُّه إلى العطاء مواهب بارزة، وإيمان عميق ومنفتح في الإسلام، وتراث عربي، وشرقي، وروحي شامل، ومشاكل عصر مجتمع مستحدث، وأمة تنهد إلى صدارة العالم علمًا ورسالة. وتزداد مؤلفاته وآثاره العربية والإسلامية، ويستمر في عطائه الواسع والمتتنوع والواحد، في آن معاً.

وإنني أقدمه في كتابي الحالي في سيرته، وأعرض تمثيلًا لمعالم دراسية عقائدية إسلامية عند الإمامين أحمد بن حنبل، وأبي عبد الله البخاري، وصولاً إلى درسي له في كتابه «الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة» حيث أستجلِّي مواقفه وأراءه في قضايا ومشكلات صعبة وأحداث وشؤون

عقائدية إسلامية، وأيّين ما يتّسم به هذا الكتاب من خصائص مختلفة وأتبع ذلك بتحقيقه وبالشرح الجلي لما غمض فيه وزاد في اقتضابه، أو أكفي بمجرد رمزه، أو الاشارة إليه، هادفاً إلى أن يستوي ابن قتيبة عبر هذا الأثر الفكري الإسلامي، كما هو في الواقع، واحداً من كبار رواد الكتابة في العقيدة الإسلامية. وإنه يتميّز في ذلك بأكثر من موقف واتجاه ليكون الإمام والعالم، والمصلح، والأديب والناقد العقائدي الملائم.

وسأتابع مواقفي الدراسية معه، وذلك بعد أن درسته، ومرة واحدة، في اطروحة دكتوراه بعنوان «ابن قتيبة، آثاره، وأثره في الفكر العربي...»، أملاً أن يجد هذا المفكر والأديب والناقد العربي الكبير ما يستحقه حاضراً ومستقبلاً من الاهتمام المميّز في المجالين الثقافيين العربي والإسلامي.

د. كاظم خطيط

## القسم الأول

### ابن قتيبة

---

عصره - بيئته - حياته

---

---

شخصيته - ثقافته - آثاره - فكره

---



## ابن قتيبة

٤٢٦ - ٤١٣ هـ

### عَصْرِهِ

تابع الخليفة العباسية مسارها فتعرف تغيراً كبيراً في توجهاتها وأوضاعها. وإذا ما ضعف في نطاقها الحضور الفارسي فليحل مكانه البديل التركي على بذلة وشلة بأس في المجال العسكري وصولاً منه إلى التأثير الحاسم والمفعوم أحياناً على الصعيد السياسي<sup>(١)</sup>. وتتوالى المؤامرات والدسائس في البلات العباسي فيفتال الخليفة جعفر المتكفل (ت ٢٤٦ هـ)، ويلقى نفس مصيره ثلاثة خلفاء آخرين هم المستعين (ت ٢٥٢ هـ)، والمعتز (ت ٢٥٥ هـ)، والمهتمي (ت ٢٥٦ هـ)<sup>(٢)</sup>.

ويختلف هذا العصر العباسي الثاني زمن ابن قتيبة عن سابقة الأول في أكثر من اتجاه، حيث يضرب الخليفة المتكفل المعزلة ضربته الموجعة فيضعف شأنهم، ويبلد شملهم، ويتفرون أيدي سباً ويتوارون في أكثر من فئة أو فرق إسلامية. وتتعزز من جديد مكانة أهل الحديث<sup>(٣)</sup>.

وتتوالي الثقافة العربية مسيرتها المتقدمة في اتجاهات مختلفة سلفية ومبدعة<sup>(٤)</sup>.

(١) د. فاروق عمر - الخليفة العباسية في عصر الفوضى العسكرية ص ٥٣.

(٢) د. حسن إبراهيم حسن - تاريخ الإسلام، ج ٢، ص ١٥.

(٣) د. حسن إبراهيم حسن تاريخ الإسلام، ج ٣، ص ٤٠.

(٤) د. محمد رمضان الجرجي ابن قتيبة ومقاييس البلاغية والأدبية والنقدية ص ٢١.

ويبرز الحضور الشعري ، ويقوى التنافس والصراع العربي الفارسي على غير صعيد<sup>(١)</sup> .

وينتَسْعُ التواصِلُ الحضاري بين العرب وسواهم من الأمم، وتتعدد دروبه، ومعطياته<sup>(٢)</sup> .

ويعظم شأن العودة في التأليف إلى التراث العربي ، وغير العربي . وينطلق الأدب في إطاره الموسوعي ، ويبرز فيه النمط المجلسي .

وتتنوع مطلعات الشعر العربي وهو ينهد إلى سعة في الأفق ، والمدى الإنساني ، ويزداد استيعاباً للواقع المستجد في موكب الحضارة الصاعدة، وينبعث في إثره النقد الأدبي أصيلاً وواعداً<sup>(٣)</sup> .

ويدرج الفكر العربي في مدارج مختلفة وكثيرة ، وتشق الفلسفة العربية طريقها انطلاقاً من علم الكلام والأثار الفلسفية المترجمة عن اليونانية وسوها .

ويقوى تميّز العصر العباسي الثاني في التحول والانفتاح ، والغنى الحضاري . وما يتناغم فيه تماماً الخط السياسي مع الآخر العماني والشافي . فإذا ما ساء الأول فما هو يحدّ الثاني ، أو يحكمه ، ويظل للحضارة العربية انطلاقها الجاد والرحيب<sup>(٤)</sup> .

#### بيانته :

ويخصّب العراق ، موطن نشأة ابن قتيبة فيتقدم في الثقافة ، والتجارة والصناعة وتنسّع فيه دائرة العمران . وتغطي بقاعاً منه القصور والجناحـنـ الغـنـاءـ والبركـ الرائـعةـ الصـنـعـ وـالـمـنـاظـرـ، وـتـتـشـرـ فيـ اـنـحـاءـ بـيـوتـ التـرـجمـةـ وـالـنـقلـ وـيـعـملـ

(١) د. عبد العزيز الدوري - الجندر السياسي للشعوبية ص ٥٠.

(٢) د. مصطفى الرافعي - حضارة العرب ، ص ١٩٩.

(٣) د. بدوي طيانة - دراسات في النقد الأدبي العربي ص ١٢٥.

(٤) د. عمر الطيب الساسي - دراسات في الأدب العربي ص ٤٧.

في ظلالها علماء ومثقفون ربما أجداد الواحد منهم أكثر من لغتين أو ثلاث<sup>(١)</sup>، وتفتح أبواب دور العلماء للتلاميذ والطلاب السوافدين إليها من كل حدب وصوب. وتتعدد دكاكين الوراقين وتسحّر أحياناً إلى مكتبات شعبية مجانية للطلاب الفقراء والمحاججين<sup>(٢)</sup>.

وتقوم المساجد بأكثر من دور أو مهمة فإذا هي أماكن للعبادة حيناً، وحينما آخر مدارس وجامعات، وقاعات مجالس ومناظرات<sup>(٣)</sup>. وتتخصّص عائلات ثرية كآل وهب وسواها بالإنفاق على الترجمة والمترجمين<sup>(٤)</sup>.

ويعطي غنى فنات عباسية معينة أثره في المجتمع العباسى فيزدهر الغناء وبعظم شأن المغنيين والمغنيات، وتنشر في بعض مدن العراق أماكن اللهو والمجون. ويقابل هذا الاتجاه إلى طيب الحياة وترفها ميل إلى الزهد، وأماكن تميد بالفقر والفقراء. وتقسم أسواق للرقيق على اختلافه في مدينة البصرة وسواها<sup>(٥)</sup>.

ويكبر التفاوت الطبقي في المجتمع العباسى في العراق وسواء من أقاليم الدولة العباسية ويقود أحياناً إلى انتفاضات وثورات كثورة الزنج<sup>(٦)</sup>. وتحدث اضطرابات وكوارث كخراب البصرة. وتقود العلوم الدخيلة وغير الدخيلة العلماء العرب إلى الاكتشافات العلمية المختلفة واساعتها في مجالى الطب والعمان<sup>(٧)</sup>.

(١) صلاح الدين بخش - حضارة الإسلام - ترجمة د. علي ح. الخريوطى ص ١٧٦.

(٢) جاك. س - رسيلر - الحضارة العربية ص ٩٩.

د. ناجي معروف - أصلاء الحضارة العربية ص ٤٥٦.

(٣) د. يونس أحمد السامرائي - آل وهب - ١٩٧٩.

(٤) د. يونس أحمد السامرائي - آل وهب - ١٩٧٩.

(٥) د. وليم الخازن - الحضارة العباسية ص ١٧٤.

(٦) جاك - س. رسيلر - الحضارة العربية ص ١٩٦.

(٧) د. وليم الخازن - الحضارة العباسية ص ١٤٨.

ويهتمي العرب إلى بدايات في الحقل المسرحي<sup>(١)</sup> وينافس أقاليم بلاد فارس العراق في مختلف صنوف العيش والحضارة.

وينشط العلماء والأدباء في هذين الإقليمين في مسابقات وصراعات فكرية، وتتجسد ثماراتها في مزيد من مدارس التحرو والفقه والنقد الأدبي<sup>(٢)</sup>.

ويبهر التلاقي الديني في المجتمع العباسي<sup>(٣)</sup> وسواء ذلك في المجال الثقافي أم الاجتماعي.

وتتلاقي مترافدة مع إقليمي العراق وببلاد فارس سائر الأقاليم العربية العباسية وغير العباسية لزيادة ذلك في نمو حركة المجتمع العربي، والامة العربية، والعالم الإسلامي<sup>(٤)</sup>. ويفيد ابن قتيبة من ذلك المد الحضاري القومي والروحي في ثقافته وفكتره، وتأليفه.

### حياته

ولد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، من أصل فارسي في مدينة البصرة سنة ٢١٣ هـ. ٨٢٨ م، وأخذ علومه الأولى عن والده، وانتقل إلى بغداد، فاتصل برجال علم وأدب، يتلقى المعارف عنهم. ومن شيوخه:

- أبو حاتم السجستاني وكان إماماً في اللغة والشعر، وعلوم القرآن، وتوفي سنة ٢٤٨ هـ.

- عبد الرحمن بن عبد الله بن قریب - ابن أخي الأصمی - وكان ثقة فيما يرويه عن عمّه.

- أبو إسحاق ابراهيم بن سفيان الزبيدي تلميذ سيبويه والأصمی . توفي سنة ٢٤٨ هـ.

(١) د. علي الراعي - المسرح العربي بين النقد والتأصيل ص ١٤ .

(٢) دومينيك وحانين سورديل - الحضارة الإسلامية في عصرها الذهبي ص ١٢٣ .

(٣) نبيل داود الززو - الحياة العلمية في الشام . ص ١٢٥ .

(٤) صلاح الدين جساد بخش - حضارة الإسلام (ترجمة د. الخربوطلي) ص ١٤٧ .

- حرملة بن يحيى التجيبي توفي سنة ٢٤٣ هـ.
  - يحيى بن اكثم القاضي توفي سنة ٢٤٢ هـ.
  - أبو الفضل العباس بن الفرج الرياشي تلميذ الأصممي وكان عالماً في النحو واللغة توفي سنة ٢٥٧ هـ.
  - أحمد بن سعيد اللحياني صاحب أبي عبيد القاسم بن سلام مؤلف كتاب (غريب الحديث).
  - وسواهم.
- وشارك في مطلع شبابه في مجالس المعتزلة ثم انصرف عنهم. وكثرت مطالعات ابن قتيبة وقراءاته وتنوعت. وأقبل على التأليف وعرفت له صلة بأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ.

ويشير في كتابه (عيون الأخبار)<sup>(١)</sup> إلى أنه استجازه في نقل قطف من بعض مؤلفاته لاسيما كتابه (البخلاء) ، فأجازه ، وتوطدت علاقة للمكاتب بوزير المتركل ، عبد الله بن الحسن بن خاقان ، فأهداه كتابه (أدب الكتاب) ، وكافأه هذا الوزير على هديته بتعيينه قاضياً في مدينة الدینور<sup>(٢)</sup> حيث أمضى ستين عاماً في ممارسة وظيفته القضائية ، بنزاهة وسيرة حميدة<sup>(٣)</sup>.

ثم انكفا ابن قتيبة كسلفه الجاحظ عن الوظيفة ليقضي الحياة حراً مع القلم والكتاب والناس.

واستقبل ، كشأن علماء عصره ، الطلاب من أكثر من جهة . ومن تلاميذه:

- ابنه أحمد بن عبد الله بن قتيبة الأديب ، قرأ عن أبيه جميع كتبه وحفظها.

وتولى القضاء في مصر وتوفي سنة ٣٢٢ هـ.

(١) (عيون الأخبار) ج ٣ ص ١٩٩.

(٢) د. محمد زغلول سلام - ابن قتيبة ص ٢١.

(٣) د. عبد الحميد سند الجندي - ابن قتيبة ص ٩٨.

- أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه، العالم اللغوي المشهور.  
توفي سنة ٣٤٧ هـ.
- عبد الرحمن السكري وسمع عن ابن قتيبة كتبه: «اصلاح غلط أبي عبيد» «وغرب الحديث» «والمسائل والأجوبة». وتوفي سنة ٢٦٨ هـ.
- أبو بكر أحمد بن خلف المرزيان المتوفى سنة ٣٠٩ هـ.
- قاسم بن أصيغ الأندلسي الذي رحل إلى المشرق وقرأ على ابن قتيبة كتابه «المعارف» وتوفي سنة ٣٤٠ هـ<sup>(١)</sup>.
- وسواهم.

ويواصل ابن قتيبة الحياة إماماً عالماً ومفكراً أدبياً، يدافع عن الإسلام: قرآناً وسنةً، وعقيدةً شاملة. ويقف إلى جانب العرب في تصديه للشعوبية. ويعطي في دروس التراث العربي عطاءً متميزاً. ويتزع في التأليف إلى الاتجاه أو النمط الموسوعي. وقد أنجب ولدينهما أحمد وجعفر. ويحكى أنه أكل يوماً طعام الهريرة فناصبه بعارض صحي كان سبباً لفراقه الحياة. وتوفي سنة ٢٧٦ هجرية.

#### شخصيته:

نشأ ابن قتيبة في بيت علم وتقى، وأحبَّ المعرفة فهي متتجده وضالله. وتصفه طولته، ويستوي عربيُّ النشأة والإرادة ولا ينكر (أصله في العجم).

ويعطي قلبه لإسلام القرآن والسنّة وما يضيق بايّة رسالة سماوية أخرى. ويجد السعي إلى جادة الإيمان. فما يجده في مذهبية أو تأسره شحناه التزاع بين المذاهب الإسلامية. بل يحاول ما استطاع رأب الصدع فيما بينها.

(١) د. محمد رمضان الجريبي - ابن قتيبة ومقاييسه البلاغية.. ص ٢٦

وما آمن بالفصل بين الإسلام الذي اعتنقه والعروبة التي اختارها ولكنه عاش الصلة بينهما كما لا آصل ولا أعمق.

ولذا ما مارس وظيفة القضاة فهو يؤكد على مفاصل ثابتة فيها كالعدل فوق الجميع ، والربط بين العمل القضائي والإصلاح ، ومواصلة طلب المعرفة<sup>(١)</sup>.

ويكتب التاريخ بما ينزع إلى عرقية فيه، ولكنه يثبت في نزاهته وإنسانيته.

ويكبر عنده الذكاء فما يدفعه إلى مزيد من كسب أو ثراء مادي ، إنما هو يستهديه في متابعته العطاء العلمي . وينصرف إلى التأليف مما يتغيه لسلية أو خدمة مأرب خاصة وعابرة ، ولكن ليوجه ويرشد إلى النهج الأفضل والحق المبين .

ويجادل ويناظر بما هو تحكمه روح الغلبة . إنما يعطي منوعي ويهدف إلى تبصرة ، أولينصر حقاً ويدحض باطلًا وينبذ عن عقيدة آمن بها وقيم أجها . وما يبخس الناس حقوقهم فإذا ما أنصف العرب قومه المستجدّين ، فإنه لا ينتقص الفرس أهله الأولين . وبمعنى في الإنسان .

ويشهد له أكثر من عالم وأديب<sup>(٢)</sup> .

ويقول فيه ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد : «كان ابن قتيبة ثقة في دينه وعلمه» .

ويقول عنه ابن خلkan ابو العباس ، أحمد بن محمد : «كان فاضلاً ثقة» .  
وقال ابن كثير اسماعيل بن عمر : «ابن قتيبة النحوي اللغوي ... كان ثقة نبيلاً» .<sup>(٣)</sup>

(١) د. محمد زغلول سلام - ابن قتيبة ص ٢١ .

(٢) د. محمد زغلول سلام - ابن قتيبة ص ٦١ .

(٣) د. محمد رمضان الجريبي - ابن قتيبة ... ص ٥٤ .

ويقول السيوطي عنه: «كان ثقة دينًا فاضلاً».

ولم ينصحه آخرون فيرد عليهم علماء معروفون، مثل ابن تيمية إذ يقول: «وليس ابن الأنباري بأعلم بمعانٍ القرآن... وأتبع للسنة من ابن قتيبة».

وكان الزمان لصالح ابن قتيبة فأجله وأكبره غير قليل من العلماء والأدباء المعاصرين عرباً ومستشرقين وآخرين.

### ثقافته

تبرز مواهب ابن قتيبة مبكرة ويمضي في دروب طلب المعرفة المتعددة. ولا يتفرّغ لشأن واحد من شؤون الفكر، ويلتقي بعدد وافر من أهل العلم في أكثر من حاضرة عباسية. وشارك في مطلع شبابه في حلقات رجال علم الكلام، ثم غادرهم إلى أوساط أصحاب الحديث. وما تقتصر معارفه على الإسلام في مختلف علومه فيحيط بكتاب سماوية معروفة كالتوراة، والإنجيل، وسواهما<sup>(١)</sup>. ويطلع على غير قليل مما نقل عن الفارسية واليونانية والهندية إلى العربية، ويتسع اطلاعه على التراثين: العربي والفارسي وغيرهما. وما هو يكتفي بالقراءة وحدها، وسيلة إلى الاطلاع بل يقتدي بسلفه الجاحظ وسواه من رجال الأدب واللغة، فيسأل أصنافاً شتى من الناس عن أمور يرغب في التعرف عليها كالفلك وسواه، كما جاء في مقدمته لكتاب «الأنواع»<sup>(٢)</sup>، ويرحب مدى أسئلته فيشمل حتى الصبية كما ورد في مقدمته لكتابه (عيون الأخبار)<sup>(٣)</sup> ويعمل على استيعاب مشكلات مجتمعه على غير صعيد. ويجد في تقديم الحلول لها. ويزيد ذلك في اتساع معرفته، وثقافته.

وقد كثرت مراجعه كما هو واضح في مختلف مؤلفاته، وثبتت فيها نسبج موافقه وأرائه وأحكامه العديدة والمتنوعة، ليدل ذلك على اتساع دائرة قراءاته واطلاعه، وعلى تكامل وشمول ثقافته وموسوعيتها ليكون أحد أبرز مثقفي عصره

(١) د. شاكر مصطفى. التاريخ العربي والمؤرخون ص ٢٤٠.

(٢) الأنواء ص ٢.

(٣) ابن قتيبة - عيون الأخبار - المقدمة ص ٧.

ومجتمعه<sup>(١)</sup> بل لعله الأول في تلك الحقبة في أكثر من منطلق أدبي وفكري وعربي وأسلامي وحضاري.

### آثاره

لم يأت ابن قتيبة الكتابة ابتغاء كسب أو ارتياح صناعة إنما هو موهوب ومتعدد المواهب، وقد ولد كاتباً، فالكتابة في طبعه وطبعته. وما عرف في قراءته واطلاعه حدوداً أو مواضع محلقة، فهو ينهل من غير معين ويغنى في وجدانه وإيمانه فتنوع كتابته، وتتعدد موارد تأليفه، وتتضاعف دراساته وتزداد مؤلفاته فتبلغ العشرات. وما يخفت فيها جميعاً صوت الموهبة أو النبوغ، ولا يضعف فيها العطاء الهاذف والملتزم، ونحن معها حيال كاتب صاحب رسالة ينشد وجوده في مدار الكلمة ويشتبه بالكتابة، محققاً بذلك الرسالة التي شاء.

وتكثر فعلاً مؤلفات ابن قتيبة، وما هي وصلت إلينا تامةً أو سالمَةً فقد أصاب الضياع قسماً منها<sup>(٢)</sup>، ولكن ذلك لم يكن في الواقع إلا القليل وما هو معروف منها يجسد صاحبها ويشتت قدره ويزع فكره في مختلف اتجاهاته ومعطياته. وهذه المؤلفات هي على النحو التالي

- في المنحى الإسلامي:

١ - تأويل مشكل القرآن.

٢ - تفسير غريب القرآن.

٣ - القراءات القرآنية (هذا الكتاب مفقود فعلاً ويقوم مقامه فصل عن القراءات في كتاب مشكل القرآن) المذكور.

٤ - تأويل مختلف الحديث.

٥ - تفسير غريب الحديث.

٦ - تصحيح غلط أبي عبيد<sup>(٣)</sup> (وقد نشر بصورة هي إن لم تكن جامعة

(١) د. عبد الحميد الجندي - ابن قتيبة العالم الناقد الأديب ص ١٩٢.

(٢) تقديم الأنوار ص ٤٤.

(٣) أي تصحيح الغلط في كتاب (غريب الحديث) لأبي عبيد القاسم بن سلام الهمروي.

فهي معيرة وذلك في سياق شرح كتاب غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام.

٧ - المسائل والأجوبة<sup>(١)</sup>.

٨ - الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية (وقد نشر بصورة لا تتعذرى النص دون أي تحقيق او شرح، في كتاب عقائد السلف)<sup>(٢)</sup>،

- في مجال النقد والادب والشعر واللغة:

١ - عيون الأخبار.

٢ - الشعر والشعراء.

٣ - كتاب المعاني الكبير في أبيات المعاني.

٤ - أدب الكاتب.

- في التاريخ:

١ - المعارف.

- في الاجتماع والسياسة.

١ - الدفاع عن العرب او الرد على الشعوبية<sup>(٣)</sup>.

٢ - الأشربة.

٣ - الميسر والقداح.

- في الفلك.

٤ - الأنواء.

وقد نسبت بشكل أو باخر إلى ابن قتيبة كتب هي التالية:

١ - الإمامة والسياسة (لقد أثبت النقد والتحقيق بطلان نسبة هذا الكتاب

إلى ابن قتيبة). وهو ما أجمع عليه باحثون عرب ومستشرقون<sup>(٤)</sup>.

٢ - ذكرت لابن قتيبة عنوانين، كتب مثل فصل العرب، وكتاب تحضير

(١) تحقيق شاكر العاشر - مجلة المورد عدد ٣ - ١٩٧٤ - بغداد.

(٢) د. علي سامي الشار وعمار جمعي الطالبي - عقائد السلف.

(٣) أدرج هذا الكتاب كفصل من فصول (وسائل البلغاء) جمع الاستاذ محمد كرد علي.

(٤) د. جبرائيل سليمان جبور - كيف أفهم النقد - ص ١٣٦ - ١٥١.

العرب . والتسموية بين العرب والجم . وثبت التحقيق أن هذه العناوين لا تعني سوى كتاب الدفاع عن العرب أو «الرد على الشعورية» المعروف<sup>(١)</sup> .

٣ - كتاب الخيل ، وكتاب الإبل . وقد تبين لأكثر من باحث عربي وأجنبي أن هذين الكتابين المزعومين ليسا سوى فصلين من «كتاب المعاني الكبير في أبيات المعاني» المذكور .

٤ - كتاب «نعم والبهائم» وليس نسبة هذا الكتاب إلى ابن قتيبة صحيحة وذلك لأكثر من سبب علمي وفني<sup>(٢)</sup> .

٥ - كتاب تلقين المتعلم فن النحو : (وقد ثبت لأكثر من باحث عربي بعد هذا الكتاب المزعوم عن روح ابن قتيبة)<sup>(٣)</sup> .

٦ - ارجوزة حول حرف الضاد . (ولا أسوغ نسبة هذه الأرجوزة إلى ابن قتيبة ، فهو لم ينظم الشعر ولم اعتبره في بحثي المطول والشامل عنه على أي قدر من الشعر ينسبة إلى نفسه)<sup>(٤)</sup> .

٧ - تاريخ ابن قتيبة ، وقد ثبت لأكثر من باحث عربي معاصر ، عدم وجود كتاب لابن قتيبة يحمل هذا العنوان ، إنما المقصود به هو كتاب (المعارف) المتقدم ذكره<sup>(٥)</sup> . ولا ابن قتيبة آثار لم يبق منها سوى العناوين .

### فكرة

كتب ابن قتيبة وألف في مجالات مختلفة . وبرز في كتاباته ومؤلفاته آفاق فكره وما هي تشكيو من شتايات أو تناقض ، ولكنها تتلاقى وتسلاحم وتتنوع في وحدة ، ولا يضعف من ذلك تباين في منطلقاتها وأبعادها فإن ابن قتيبة يمضي في تبيين نواحي اعجاز القرآن وتناسق سوره وأياته ، وتكامله في وحدته وهو يهدف

(١) بيرارلي كونت : ابن قتيبة الرجل ، أعماله ، أفكاره - ص ١٠٩ . (بالفرنسية) .

(٢) د. عبد الحميد الجندي - ابن قتيبة - ص ١٦٢ .

(٣) د. عبد الحميد الجندي - ابن قتيبة ص ١٧٣ .

(٤) المؤلف .

(٥) د. عبد الحميد الجندي - ابن قتيبة ص ١٥٧ .

د. ثروت عكاشة تقديم كتاب (المعارف) لابن قتيبة .

في هذا التبيين إلى هدم كل ما أشاعه المغرضون حول الكتاب الكريم، من مزاعم التناقض والغموض، والتفاوت في البيان.

وهو يشرح غريب القرآن ليسهل فهم مفردات ورموز صعبة فيه منسجياً في ذلك مع روح هذا الكتاب المتنزل والدلائل السليمة للعربية الفصحي في التراث العربي الأصيل، الذي لم تشبه عجمة. وما هو يضعف بفعل الزمن. ويؤكد أن لا غرابة أصلاً في تلك المفردات بل أصالة ثابتة أتى بها الوحي الإلهي.

ويعطي في القراءات القرآنية ثمرة استيعابه لمختلف القراءات المعروفة، ثم ما استوى عنده من أسباب ومعالم اختلاف أوجه القراءة القرآنية في قنواتها السبعة. وتثبت له في هذا المجال نظرية اكتسبت مع الزمن معنى النموذج أو الريادة المميزة<sup>(١)</sup>.

ويدرس ابن قتيبة مختلف الحديث النبوى معتمداً تأويله ليسقط بذلك كل أدعى غموض فيه أو تناقض، ويثبت تناسق هذا الحديث الشريف وتكامله. وينفي عنه ما نسب زوراً وكذباً إليه، ثم هو يفسر غريبه شارحاً ما يتضمنه من المفردات الصعبة والرموز العميقة والصور الدقيقة. وهو يشعر بمرجعيته في هذا المنحى الأصولي فيعتمد إلى تصحيح ما ورد من اختفاء في كتاب (تفسير غريب الحديث). لابي عبيد القاسم بن سلام. ويستوي واحداً من أبرز دارسي الحديث النبوى، وعلى غير صعيد<sup>(٢)</sup>.

ويعطي الكاتب في الفقه الإسلامي معتمداً المراجع الرئيسية كالقرآن والسنّة وأقوال الخلفاء الأولين والصحابة والتابعين، والتصوص العربية الأصلية، ويضع أحکامه ويعلن عن آرائه ومواقده؛ وقد جمع فيها بين تضلعه في فهم الإسلام وتفقهه في العربية وسعة اطلاعه على التراث العربي، كما هي الحال في كتابه (المسائل والأجوبة) وسواء.

(١) د. رؤوف الشلبي مجلة الأزهر الجزء الرابع السنة الخامسة - ص ٧٨ و ٨٣٥

(٢) د. محمد محمد أبو زهو - الحديث والمحدثون - ص ٤٧٢ و ٤٧٦

ويجول جولته في رحاب أصول العقيدة الإسلامية ففيؤكد على وحدتها قواعد ومنطلقات ويفند قادراً ما الحق بها من تطرف، أو شابه المزوج والانحراف، ويثبت في هذا الدرس العقائدي سلفيته وما هو يعجز عن الاجتهاد، والاستنباط وتقديم الرأي الرشيد.

وينشط ابن قتيبة في رحاب الأدب العربي فيعالج موضوعي النقد الأدبي والدراسة الأدبية ويظهر كفاءة وريادة سواء في تنظير القصيدة العربية<sup>(١)</sup> ورؤى خاصة للشعر العربي، أم في تقديم لبنات وانطلقات في الدراسة الأدبية. وينكب على قراءة الشعر العربي في عصوره الماضية فيستجل فيه المفاهيم الأساسية للمفردات العربية، وقواعد المجتمع العربي القديم ومنطلقاته وقيمه وأعرافه وخصائصه وتطلعاته، ويقدمها في شروح مساعدة وهادفة للنصوص الشعرية المختارة.

ويضع موسوعته الأدبية الخاصة والمتنوعة (عيون الاخبار) فيجمع فيها مختارات شتى من أكثر من تراث عربي وغير عربي معتمداً فيها مبدأ: الأخذ من كل علم بطرف. أو مفهوم الأدب في العصر العباسي، وتجاوز بذلك الحدود الإقليمية أو القومية في النطاق الأدبي إلى رحاب إنسانية الأدب أو عالميته جمعاً وتنوعاً وأصالة. وتروعه أحوال الكتابة العربية، في زمانه فينطلق إلى رسم دروبها وعلى غير صعيد. فيقدم مبادئه جادة في فقه اللغة العربية، وعمادة الإنشاء العربي أو الكتابة العربية. ويستوي كتابه (أدب الكاتب) متوجه كل طالب، وكاتب عربي وباحث لغوي.

ويكتب التاريخ في (المعارف) فيتحدث عن بداية الحضور البشري على الأرض، ويعرف بالسلالات البشرية ويتكلم عن الشعوب المترفة منها. ويسلسل عهود الأنبياء ويتوسع في الحديث عن مسار الرسالة الإسلامية. وانطلقاتها في المدى العربي، وال العالمي. ومرشد في هذا المدار التاريخي صفاء إيماني وافتتاح قومي وإنساني ومراجع مختلفة ومحفوظة.

---

(١) مجلة فصول (مجلة النقد الأدبي) المجلد السادس - العدد الثاني - ٢ - آذار - ٨٦ القاهرة.

ويقف من الصراع العربي الشعوري في كتابه (العرب أو الرد على الشعورية) موقفه العادل والمعتدل رافضاً الظلم من آية جهة أى، ويخلص في مرافعته عن العرب، ويركز على ما عندهم من الفضائل ولا يبخس الفرس حقوقهم. وما كان الشرف عنده خاصاً بشعب دون شعب، ولا تسلم آمة من العيوب، وما كان لعيوب في شعب أن يمحو فضائله.

ويعد في كتابه (الميسر والقداح) إلى استجلاء بعض العادات العربية القديمة التي نهى عنها الإسلام. ويحاول التاريخ لها. فيتجدد ويثبت روحًا تاريخية علمية متقدمة<sup>(١)</sup>.

ويعالج موضوع (الأشربة) فيمضي به في منحدين بارزين: الفقه والأدب وما هو يضعف في أي منهما ويشفت في ذلك عن إيمان مكين وروح قضائية نافذة، وانطلاق بين في الأدب.

ويطرق باب العلوم عند العرب فيتحدث عما عرفوه عن الأنواع. وما هو يستتبع في ذلك أو يتبعه ولكنه يصدق في الرواية والنقل، ومن ثم في التاريخ لبداية علم الفلك عند العرب وعطائهم الخاص فيه.

ولابن قتيبة معطيات فكرية في حقول النحو والتربية والتعليم، وعلم الاجتماع وال الحرب والسياسة وسواها وهي إذا لم تستقل في كتب خاصة بها، فإنها تبرز واضحة في بعض آثاره لتوكيد على سعة ثقافته، وعمق التزامه بمجتمعه والإنسان.

ويعمد ذكر هذا المفكر العربي العظيم هو دائمًا التنظيم والشعور بالمسؤولية. والرغبة في التعليم والوعي العميق للترابط بين العروبة والإسلام. والإيمان بجدية التقارب بين الأديان، ويوحدة الإنسان، ولا محدودية المعرفة أو الثقافة، وشمولية الحضارة واستمراريتها.

وانه ولا ريب أحد كبار مفكري العرب والإسلام<sup>(٢)</sup>.

(١) عبد السلام هارون - الميسر والقداح (المقدمة)

(٢) د. محمد زغلول سلام - ابن قتيبة ص ٦٢ .

## القسم الثاني

### في العقيدة الإسلامية

---

في العقيدة الإسلامية - ماقبل ابن قتيبة.

---

الإمام أحمد بن حنبل - الإمام البخاري

---

مع ابن قتيبة في العقيدة الإسلامية في دراسة كتابه:

---

(الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة)

---



## في العقيدة الإسلامية

أرسل الله تعالى رسوله محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي العربي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بالقرآن الكريم ليعلم للناس الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين. ويتصدّع الرسول العربي بالحق ويتوالى نزول آيات كتاب الله عليه مكبة ومدنية ترسم للناس دروب الخير والرشاد، وتخرجهم من الظلمات إلى النور. ويعطي النبي حديثه يوضح مادّي فهمه من الآي الكريم، ويهدي السائلين عن الحق، والمؤمنين، إلى الحياة المثال، والسلام الخالص الأمين. وتبين من خلال كتاب الله والسنّة النبوية الشريفة أصول العقيدة الإسلامية في الإيمان بالله جلّ وعلا، واحداً أحداً صمدّاً، وتتربيه، وتصديقه رسول الله محمد بن عبد الله، والعمل بكتاب الله، وسنة رسول الله، والاعتقاد بالقضاء والقدر، وبكل ما يمت إليهما من خير وابتلاء، ويرسل الله دونما أي تفرقة بينهم، وبالملائكة، واليوم الآخر والحساب والعبادة بكل فرائضها وواجباتها، والابتعاد عن كل ما يزعّم الله تعالى من تجسيد وتشخيص أو تشبيه، ورفض البدع واعتبارها ضلاّلاً، ولتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلّي.

ويدخل العرب في الإسلام وتتبعهم قنوات من شعوب أخرى، ويقبل هؤلاء جميعاً على استيعاب كتاب الله والحديث النبوي يجدون فيهما ملذتهم الأمين وسلامهم الخالص في الدنيا والآخرة على كل صعيد وفي كل سبيل. ويبادر أفراد من الصحابة بعد موت النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إلى تفسير وتأويل ما أمكن

من القرآن الكريم والحديث النبوى، ويجهدون ما وجب الاجتهد. وما هم يفارقون في ذلك روح الإسلام كتاباً وسنة. ويأخذ هذا الفعل المستجد مكانه في العقيدة الإسلامية. وتعرف هذه العقيدة في مسارها الشامل اتجاهات وتيارات متعددة كاتجاه رجال الحديث المتمثل في عقيدة أهل السنة والجماعة، وتيار الجهمية<sup>(١)</sup> ثم المعترضة<sup>(٢)</sup> ومعتقدات الشيعة<sup>(٣)</sup> والخوارج<sup>(٤)</sup> والمرجئة<sup>(٥)</sup>، وسواهم.

(١) الجهمية: هم أتباع جهم بن صفوان. وهو جهم بن صفوان الرأسي ويكثر ذكره في كتب التاريخ والفرق. وقال الطبرى في تاريخه عنه: إنه كان كاتباً للمحارث بن سريع الذي خرج في خراسان في آخر دولة بني أمية، وقتل الاثنان معًا أول سنة ١٠٨ هجرية. وقد تغلى جهم في التزية تغلى أعدائه في الحشو والتسيء والتجمیع، ويقول عنه جمال الدين القاسمي في كتابه: (تاريخ الجهمية والمعترضة) ص ١٣ «إن جهم بن صفوان كان داعية للكتاب والسنّة، ناقماً على من انحرف عنهم مجتهداً في أبواب من مسائل الصفات». وكان جهم جبراً مسرفاً في الجريمة.

(٢) المعترضة: لقد اعتزل واصل بن عطاء أستاذ الإمام الحسن البصري: فقال هذا الإمام اعتزلنا واصل. فكان ذلك سبباً لإطلاق صفة المعترضة على واصل وأتباعه. وأطلق عليهم أيضاً صفة أهل العدل والتوحيد. وأصولهم الخمسة هي: التوحيد، العدل، والمعترضة بين المترذلين، والوعد والوعيد، والأخذ بالمعروف والنهي عن المنكر.

(٣) الشيعة: هم فرقة قامت على أساس الانتصار للإمام علي بن أبي طالب وأبنائه واعتبارهم أولى بالخلافة من غيرهم، واتضحت الشيعة كفرقة لها كيانها السياسي والديني في نفس الوقت الذي ظهرت فيه الخوارج. وهي الفتنة التي بقيت في جيش الإمام علي بعد خروج الخوارج منه. وانقسمت الشيعة إلى فرق كثيرة مثل الزيدية، والجعفريّة، والإثنى عشرية، والإسماعيلية، ولكل واحدة من هذه الفرق بعد أنقسام جماعتها الأولى إمامها واتجاهاتها العقائدية الخاصة.

(٤) الخوارج: لقد شقت المناذرة بالتحكيم في حرب صفين جيش الإمام علي وخرجت منه فئة سميت فيما بعد بالخوارج وشهر هؤلاء السيف على كل الحكومات فهم يريدون خليفة عادلاً (مثل أبي بكر وعمر) وما دام المخلفاء الذين اتوا بعدهما لم يسيروا في نظر الخوارج على هديهما فالواجب أن تعلن الثورة عليهم في كل سبيل. وكل من خالف الخوارج في ذلك فهو كافر يحل لهم دمه وماله ونساؤه. وهم يرون أن الخلافة في قريش وسواهم من المسلمين.

(٥) المرجئة: وهي جماعة ظهرت في زمن حكم الأمويين وهي ترى أن إيمان المسلمين أمره مرجأ إلى الله فهو الذي يصدر حكمه عليهم ويقرر شأنه فيهم ولا بد إذن من أن يترك أمر ذلك الإيمان إلى الله. وهي تعتقد بأن لا تنفع مع الكفر طاعة، ولا تضر مع الإيمان موصية..

ويؤكد رجال الحديث على إثبات صفات الله كالسمع والبصر والحلم، وغيرها أي أن الله سميع بسمع، وعليم بعلم، وحليم بحلم، وسمعيه صفة له، وما هو عين ذاته، وكذلك هو علمه وحلمه وسواء، . . . ويعارض الجهمية هذا التأكيد الصفتاني الإلهي ويصررون على نفي الصفات عن الذات الإلهية خوفاً من الواقع في التشبيه أو التجسيم، ويقولون بأن الله عليم وعلمه هو عين ذاته، وكذلك هو بصره، وسمعيه، وغيره . . . ويثبت رجال الحديث معانى اليد، والوجه والرؤية وسواها في ما يعني الله، كما وردت في القرآن الكريم والحديث النبوى ودون تطرق في ذلك إلى القول بالكيف. ويرى الجهمية وكذلك المعتزلة أن هذه الألفاظ المعنية لا تتجاوز في معاناتها القرآنية حدود المجاز، وإنما كان في ذلك تشبيه. وهو ما يجب تزريه الله تعالى عنه.

ويغالي الجهمية في اعتقادهم بالجبر أي ياخذون العنان في كل أعماله وتصرفاته لحكم القضاء والقدر ودون أن يكون له في ذلك إرادة أو حرية فاعلة أو قدر من الاختيار. ويعارضهم في هذا الاعتقاد رجال الحديث الذين لا ينفون بشكل أو باخر مسؤولية الإنسان عن أفعاله. وتزداد المعارضة للجهمية عند المعتزلة الذين يكترون من تحمل الإنسان المسؤولية عن أفعاله، وتأكيد حرية في قيامه بها، وأياً كان نوع هذه الأفعال أو وصفها، وقد أطلقت عليهم بسبب ذلك صفة القدرة أو أصحاب القدر.

وتتسع دائرة الصراع بين أهل الجبر من جهة ورجال الحديث وأهل السنة والجماعة، والقدرة من جهة أخرى، ثم بين القدرة وأصحاب الحديث وأهل السنة على غير صعيد.

وتدخل في هذا الصراع فرق وجماعات مختلفة مثل الشيعة، والمرجئة والخوارج، والفلسفه العرب وسواهم.

ويأخذ موضوع الإمامه مكانه في مجال العقيدة الإسلامية ويكتسح فيه

الخلاف، وتباين في مساره مواقف المسلمين ووجهات نظرهم أو معطيات فهمهم واتجاهاتهم واعتقاداتهم.

ويensus المدى في الصراع أو التزاع العقائدي الإسلامي لتقديم الآراء والاجتهادات، وصيغ التنظير أو الإجلاء والتحديد لقواعد ومبادئ العقيدة الإسلامية. وتبرز في هذا المجال مفاهيم ومذاهب تتقارب حيناً وتبتعد حيناً وتتصارع أحياناً دون أن يضيق بها الإسلام أو هي تضعف من شأنه ما دام له كتابه الذي وعد الله تعالى بحفظه، وسنة رسوله ﷺ. وتظهر في مسار العقيدة الإسلامية محاولات دراسية أو دراسات أولية قبل ابن قتيبة.

### ما قبل ابن قتيبة

لقد ألمَّ الصراع في مدى العقيدة الإسلامية أكثر من إمام وعالم وفقهه ورجل حديث، قبل ابن قتيبة، الاهتمام إلى الكتابة في هذه العقيدة أو حولها، واستوى هؤلاء رواداً أو سابقين له في المنحى الفكري العقائدي الإسلامي ونعرض على سبيل المثال والتعريف في كتابنا الحالي لاثنين من هؤلاء الرواد أو السابقين وهما الإمام أحمد بن حنبل، صاحب المذهب الحنفي، والإمام اسماعيل بن ابراهيم البخاري أحد أبرز جامعي الحديث النبوى، وصاحب صحيح البخاري.

# الإمام أحمد بن حنبل وكتابه

## الرد على الزنادقة والجهمية.

### حياته

هو الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن عبد الله بن أنيس بن مازن بن شيبان ولذلك يلقب بالشيباني . حملت به أمه في مرو، وولدته في بغداد في شهر ربيع الأول سنة ١٦٤ هجرية أما أبوه فهو والي سرخس ، واسمه محمد توفي سنة ١٧٩ هـ . ونشأ أحمد بن حنبل في بغداد وتولت أمه تربيته . وظهرت عليه علامات النجابة مبكرة واشتهرت عنده الرغبة فيأخذ الحديث ، فإذا هو يذهب مبكراً لطلبه في المساجد .

وما كان أتم في ذلك الحين السادسة عشرة من عمره . ولم يقتصر فيأخذ العلم عن علماء بغداد فقط . فهو يسافر إلى أكثر من مدينة ويأخذ العلم عن علمائها فقد وصل إلى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن والشام وأرض فارس وخراسان . ثم يعود إلى بغداد ، وأبرز من اتصل بهم في أسفاره ورحلاته العلمية هم : سفيان بن عيينة (ت ١٨٧ هـ) والإمام محمد بن إدريس الشافعي (١٥٠ - ٢٠٤ هـ) وعبد الرزاق .

وتتلمذ على الإمام أحمد بن حنبل الإمامان في الحديث : البخاري ، ومسلم ، (ت ٢٦١ هـ) أبسو بكر الرازي (ت ٢٧٥) والحربي (ت ٢٨٥) وغيرهم .

وعندما ظهرت بدعة خلق القرآن وقف الإمام أحمد بن حنبل موقفه المعارض لها وقاده هذا الموقف إلى معاناته المحنة الصعبة والمعروفة في زمن الخلفاء المأمورون (١٩٨ - ٢١٨ هـ) والمعتصم (٢١٨ - ٢٢١ هـ) والواثق

(٢٢٧ - ٢٣٢ هـ) حتى كان عهد الخليفة المتوكل (٢٤٧ - ٢٣٢ هـ) الذي ضرب المعتزلة الضربة الموجعة، ووضع حداً لقولهم بخلق القرآن وأعاد لرجال الحديث وأهل السنة مكانتهم المميزة. ولقي عنده الإمام بن حنبل حظوة بالغة<sup>(١)</sup>.

وعرفت لهذا الإمام السلفي آثار هي: المسند، كتاب الزهد، وكتاب التاريخ، والرد على الزنادقة والجهمية، والسنة موصلة المعتقد إلى الله. وهو صاحب أحد المذاهب الإسلامية المعروفة بالمذهب الحنبلي حيث التركيز على القرآن والحديث، وإنما فعلى أقوال الصحابة وفتاويهم. وهو يرى أن الإيمان قول وعمل، وأنه ينقص بذلك ويزيد. وكانت وفاته سنة ٢٤١ هجرية في مدينة بغداد.

### **كتابه: الرد على الزنادقة والجهمية**

يتألف هذا الكتاب من قسمين رئيسيين هما:

١ - القسم الأول: يعرض فيه الكاتب لعدة أمثلة من آيات القرآن الكريم. يدعى فريق من الزنادقة التناقض فيما بينها كالتالي:

١ - أ - **﴿هَذَا يَسُومُ لَا يُنطِقُونَ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فِي مُعْتَلِرُونَ﴾** [٣٦ - المرسلات].

ب - **﴿إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ رَبِّكُمْ تَخْتَصِّمُونَ﴾** [٣١ - الزمر].

٢ - أ - **﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتْسَاءَلُونَ﴾** [١٠١ - المؤمنون].

ب - **﴿فَاقْبِلُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتْسَاءَلُونَ﴾** [٥٠ - الصافات].

٣ - أ - **﴿وَرَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾** [٢٨ - الشعرااء].

ب - **﴿بَرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغارِبِ﴾** [٤٠ - المعارج].

(١) دكتور أحمد الشرباصي - الأئمة الأربعة ص ١٧٥.

٤ - أ - **«وجوه يومئذٍ ناضرةٌ إلى ربها ناظرة»** [٢٢ - ٢٣ - القيمة].

ب - **«لا تدركه الأ بصار وهو يدرك الأ بصار»** [١٠٣ - الأنعام].

ويرد الإمام أحمد على زعم التناقض في الأمثلة القرآنية المتقدمة فيرى في المثلين (١) و (٢) أن لكل آية من هذه الآيات زمنها ومعيادها وهي تعني مرحلتها فحسب ويتنفي بذلك التناقض المزعوم.

ويبيّن في المثل (٣) أن **«ربُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ»** يعني اليوم الذي يستوي فيه الليل والنهار . وأن **«بَرْبُ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ»** يعني مشارق السنة ومغاربها ، ولا وجود للتناقض بين هاتين الآيتين . وهو يجعل حقيقة المثل (٤) بتبيانه أن **«وجوه يومئذٍ ناضرةٌ إلى ربها ناظرة»** تعني أنها تعانين ربها في الجنة ، وأنه **«لا تدركه الأ بصار وهو يدرك الأ بصار»** هو في الدنيا ، وليس في الآخرة . ولا أثر للتناقض بين الآيتين المذكورتين .

٢ - القسم الثاني : الرد على الجهمية . وينطلق فيه الإمام أحمد بن حنبل في مناظرة طويلة تتضمن حوار جهم والسمنية<sup>(١)</sup> ، ونجاحه . في ثبات وجود الله دون السرقة ، ثم مواقف كل من الإمام ابن حنبل ، وجهم وجماعته ، من قضايا وأمور اعتقدية مهمة مثل الله شيء أو ليس بشيء ، والقرآن مخلوق أو ليس بخالق ، والفصل بين قول الله وخلقه ، ورؤية الله ، وكلام الله ، والله على العرش أو في كل مكان ، ومعية الله ، والله هو الأول والأخر ، وجزاء من يقول بخلق القرآن . وأخيراً القدرة والإيمان . و يتسلسل كل ذلك على النحو التالي :

- ترى الجهمية ان الله (ليس كمثله شيء) أي ليس بشيء . ويرى ابن حنبل انه الشيء الذي لا كالأشياء ، وهو جلٌ وعلا عند أصحاب العقل أو القدرة ، لا شيء .

(١) السمية: نسبة إلى سومنات بلدة بالهند، وهم البوذية وأظہر نحلة لهم القول بالتتساخ.

- وترى الجهمية أن القرآن مخلوق وذلك استناداً إلى قوله تعالى: «إنا جعلناه قرآنًا حربياً» [٣ - الزخرف] ويرفض ابن حنبل القول بخلق القرآن، ويرى أن الآية المذكورة تفيد غير ما أدعه الجهمية فكلمة (جعلنا) فيها لا تعني خلقنا. وهي تقصد كاملة: هذا بيان مبين لمن أراد الله هداه.

- ويؤكد ابن حنبل على فصل الله بين قوله وخلقه، وذلك كما الآية الكريمة: «ألا له الخلق، والأمر» والخلق هنا غير الأمر، وهو منفصل عنه، وهو يسهب في تأكيده لبطلان القول بخلق القرآن الذي هو قوله تعالى، ويستشهد على ذلك بعدِّه وأفر من الآيات القرآنية مثل: «وإن أحد من المشركين استجاوه فأجره حتى يسمع كلام الله» [٦ - التوبه] ولم يقل حتى يسمع خلق الله.

- وتنتفي الجهمية رؤية الله يوم القيمة، أو في الجنة، وترى أن الآية: «وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة» تفيد انتظار هذه الوجوه الثواب من ربها. ويؤكد ابن حنبل حقيقة رؤية الله يوم القيمة، وفي الجنة، مستنداً في ذلك إلى أكثر من آية وحديث، مثل الآية المتقدمة، حيث يبطل فهم الجهمية لها . . .

ويرى أنَّ (الوجوه) فيها، هي وإن كانت تنتظر الثواب فإنها ترى ربها، وال الحديث «إنكم سترون ربكم»<sup>(١)</sup>.

وال الحديث الآخر: «إن أهل الجنة يرون ربهم».

- ويرى الجهمية أن الله لم يتكلم ولا يتكلم. وإن الكلام لا يكون إلا من جوف ولسان وشفتين.

ويؤكد ابن حنبل على إثبات كلام الله وتكلمه مستنداً في ذلك إلى آيات

---

(١) وقد ورد هذا الحديث في كتاب (تأويل مختلف الحديث) لابن قتيبة على الوجه التالي: (ترون ربكم يوم القيمة كما ترون القمر ليلة البدر، لا تضلون في رؤيته).

وأحاديث عديدة، كقوله تعالى: «وَكَلَمُ اللَّهِ مُوسَى تَكْلِيمًا» [١٦٤ - النساء] وقول رسول الله (ص) (ما منكم أحد إلا وسيكلمه ربه، ما بينه وبينه ترجمان).

- وتتفى الجهمية أن يكون الله على العرش، وترى أنه هو تحت الأرض السابعة كما هو على العرش في السموات، وفي الأرض، وفي كل مكان، وذلك استناداً إلى قوله تعالى: «وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ» ويرد على ذلك ابن حنبل: بأن الله على العرش وفي السماء، مستنداً إلى عدد من الآيات مثل: «إِلَيْهِ يَصْعُدُ الْكَلْمُ الطَّيِّبُ» [١٠ - فاطر].

- وتقول الجهمية: إن الله معنا وفينا، ويرد عليهم ابن حنبل بذكر قوله تعالى: «مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ» يعني الله بعلمه «وَلَا خَمْسَةٌ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ» [المجادلة - ٧] يعني الله بعلمه.

- وترى الجهمية أن الله هو قبل الخلق ويكون الآخر بعد الخلق. ويرى ابن حنبل أن هؤلاء صدقوا في قولهم أن الله هو قبل الخلق، وكذبوا في قولهم: (ويكون الآخر بعد الخلق). وذلك لأن الله أخبرنا عن الجنة، ودوماً أهلها فيها فقال: «لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مَقِيمٌ» [٢١ - التوبه]. وذكر أهل النار فقال: «خَالِدِينٌ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ» [٦ - البينة].

- وقيل لأحمد بن حنبل: من قال: القرآن مخلوق، فهو كافر؟ قال: هو كافر.

- وقال أحمد بن حنبل: الخير والشر من الله.

- وهو يقول: الإيمان قول وعمل، والمعاصي تنقص الإيمان، والإيمان يزيد وينقص.

\*\*\*

ويتمثل في كتاب (الرَّدُّ عَلَى الزَّنَادِقَةِ وَالْجَهَمِيَّةِ) للإمام أحمد بن حنبل صفاء الإيمان، وصلابة الموقف، وكثرة الإدلة بالشواهد وبصورة خاصة

باليات الكريمة والأحاديث النبوية. ولا ينأى الجدل فيه أو التناظر عن التسلسل المنطقي ، والوضوح ، ويشتت فيه الطابع السلفي . وهو يستوي كواحدة من المبادرات الرائدة في البحث العقائدي أو التنظير والتوصيب في مجال العقيدة الإسلامية . وإنه من اللبنات المؤسسة للاتجاه الاعتقادي الإسلامي لأهل السنة والجماعة ، ومحاولاتهم الكلامية الأولى .

## الإمام البخاري وكتابه

### أفعال العباد.

حياته:

ولد محمد بن أبي الحسن إسماعيل بن ابراهيم الجعفي أبو عبد الله بخارى قرب سمرقند في بلاد تركستان سنة ١٦٤ هـ. ونشأ في أسرة كريمة ذات نعم وعلم، وثراء.

وبعد موت والده، تحدب عليه أمه، وتحجج به، وتعود إلى بخارى، بينما يبقى هو في الحجاز. ويرحل البخاري إلى أكثر من بلد ومدينة مثل بلاد الشام، ومصر، والجزيرة، والبصرة.

وأمضى في الحجاز ستة أعوام. ودخل بغداد عدة مرات.

وأشهر من أخذ عنهم علومه: الداخلي، ومحمد بن يوسف البيكتندي وهارون بن الأشعث، وأحمد بن حنبل، وشريح بن النعمان، والفضل بن دكين، والحسن بن عطية، وأبو الوليد هشام بن عبد الملك الطيالي، وإسماعيل بن عبد الله الرقي، وأبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي، وأصيغ بن الفرج، ومحمد بن يوسف الفريجاني، وسواهم<sup>(١)</sup>.

واشتهر البخاري بقوّة ذاكرته، وتدل على ذلك كثرة ما حفظه من الأحاديث النبوية.

وقد وضع عدّة كتب وهي التالية:

(١) د. علي. س. الشار. عمارة الطالبي - عقائد السلف من ٢٨.

الجامع الصحيح الذي اشتهر عند الناس بصحيح البخاري، الأدب المفرد، التاريخ الكبير، التاريخ الأوسط، والتاريخ الصغير. وخلق أفعال العباد، والجامع الكبير، والمسند الكبير، والتفسير الكبير، وكتاب الأشربة، وكتاب سنن الفقهاء، وكتاب قضايا الصحابة والتابعين . وغيرها.

وكانت وفاته سنة ٢٥٦ هجرية - ١٩٦ م.

### كتابه : خلق أفعال العباد

يبحث الكاتب في هذا الكتاب في قضايا وأحداث ومفاهيم عقائدية إسلامية مختلفة وهي التالية :

- خلق القرآن : يهاجم البخاري قول جهنم والجهنمية بخلق القرآن، ويؤيد مهاجمته وتقنيده لهذه المقوله بأدلة وحجج كثيرة لأئمه وعلماء مثل : قال أبو عبد الله بن إدريس<sup>(١)</sup>. «من زعم أن القرآن مخلوق فقد زعم أن الله مخلوق» .

وقال معاوية بن عمارة<sup>(٢)</sup> سمعنا جعفر بن محمد<sup>(٣)</sup> يقول : القرآن كلام الله وليس بمخلوق .

وقال سليمان بن داود الهاشمي<sup>(٤)</sup> : «من قال القرآن مخلوق فهو كافر». - أفعال العباد . يؤكد الكاتب على حكم القدر وأطلاقاته مستندًا في ذلك إلى القرآن والسنة مثل :

---

(١) أبو عبد الله بن إدريس الأزهري الحافظ الكوفي قال فيه أحمد بن حنبل : كان نسيج وحده . توفي سنة ١٩٢ هـ

(٢) معاوية بن عمارة أدركه البخاري توفي سنة ٢٢٤ هـ .

(٣) هو الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر وقد توفي سنة ١٥٢ هـ . ولإمامية قول مختلف إلى حد .

(٤) أبو أيوب سليمان بن داود بن علي الهاشمي روى أن الإمام أحمد أتى عليه ورشحه للمخلافة ، توفي سنة ٢١٩ هـ .

قال الليث عن طاووس عن ابن عباس رضي الله عنهما: إنَّ كُلَّ شَيْءٍ  
خَلَقَنَا بِقَدْرٍ.

وقال طاووس اليماني سمعت عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله  
عنهما يقول: قال رسول الله ﷺ. كل شيء بقدر حتى العجز والكيس او  
الكيس والعجز. وقال عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ: (كل أمرٍ ميسَّرٌ لِمَا  
خلق له).

- أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ: وهي ما يحْلِدُهَا الكاتب عَلَى خَصْرِهِ السَّتَّةِ مِثْلُ: حَدَّثَنَا  
مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي حَمْمَةِ عَنْ جَدِّهِ الشَّفَاءِ رضي الله عنه  
سَمِعَتُ النَّبِيَّ ﷺ، وَقَدْ سَأَلَهُ رَجُلٌ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ «الإِيمَانُ بِاللهِ وَجَهَادُ  
وَحْجَجُ مِيزُورٍ».

- طبيعة أعمال العباد: ويثبت الكاتب أن أعمال العباد مخلوقة مع رجوعه  
إلى مراجع يش بها مثل:

قال أبو عبد الله محمد بن اسماعيل سمعت عبد الله بن سعيد يقول: ما  
زلت اسمع من اصحابنا يقولون: «إِنَّ أَفْعَالَ الْعِبَادِ مُخْلُوقَةٌ».

- الله في السماء: ينطلق الكاتب في الخط السلفي فيعارض جهم بن  
صفوان في مفهوم (استواء الله على العرش) وهو يؤكّد معارضته بتقديمه الأدلة  
على أن الله في السماء مثل:

● قال جبير بن مطعم<sup>(١)</sup> عن النبي ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ عَلَى عَرْشٍ فَوْقَ  
سَمَاوَاتِهِ، وَسَمَاوَاتِهِ فَوْقَ أَرَاضِيهِ مُثْلِقَةٌ).

● وقال ابن مسعود (توفي سنة ٣٢ هـ) في قوله تعالى: «ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى  
الْعَرْشِ»: العرش على الماء والله فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه.

● وذكر ابن عباس (توفي سنة ٦٨ هـ) قوله تعالى: «يَدْبَسُ الْأَمْرَ مِنْ

(١) جبير بن مطعم: هو جبير بن مطعم بن عدي أسلم بعد موقعة بدر، وتوفي سنة ٤٥ هجرية.

السماء إلى الأرض ثم يergus في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون)  
[٥ - السجدة]. وقال: من أيام السنة.

- جبريل والنبي (ﷺ): يورد الكاتب أكثر من أثر عن لقاء جبريل بصورة رجل مع الرسول للتأكيد على التبليغ الحق للإسلام مثل:

● حدثنا محمد بن سلام، عن أبي زرعة، عن أبي ذر... قال: أقبل رجل فقال: السلام عليك يا محمد، فرد عليه، ثم قال: يا محمد ما الإيمان؟ قال: الإيمان بالله والملائكة والكتاب والنبين وتؤمن بالقدر كله. قال فإذا فعلت ذلك آمنت؟ قال: نعم.

● حدثنا موسى بن اسماعيل... عن أنس رضي الله عنه قال: بينما النبي (ﷺ) مع أصحابه إذ جاءه رجل عليه ثياب السفر فتحطى الناس حتى جلس بين يديه، ووضع يديه على ركبتيه، قال ما الإسلام؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله، وأنني رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً، قال: فإذا فعلت ذلك فأنا مؤمن قال: نعم. صدقت... قال ما الإحسان؟ قال: أن تخشى الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قال: متى الساعة؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل ولكن لها أشرطة... وقال النبي (ﷺ) معرفاً بالرجل. ذاك جبريل جاء يعلمكم دينكم، لم يأتني على حال انكرته قبل اليوم.

- السوحي والرسول: يشير الكاتب إلى الرسول عندما يأتيه الوحي بالحديث التالي: يتمثل لي الملك أحياناً رجلاً فيكلمني: فاعي ما يقول، ويأتيبني أحياناً مثل صلصلة الجرس فينفص عني وقد وعيت.

- كلام الله. يعرض البخاري لموقف الجهمية من كلام الله بقوله: قال بعض أهل العلم إن الجهمية هم المشبهة لأنهم شبّهوا ربهم بالصنم، والأصم والأبكم الذي لا يتكلّم<sup>(١)</sup>، وهو يرد عليهم رافضاً موقفهم المذكور بأكثر من حجة مثل:

(١) وفي هذا إشارة إلى مغالاة الجهمية في نفي الصفات الإلهية.

● وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه (ت سنة 13 هـ) عن النبي ﷺ: (وذكر الشفاعة قال: يقول نوح انطلقا إلى إبراهيم فإن الله اتخذه خليلاً فيتلون إبراهيم فيقول: انطلقا إلى موسى فإن الله كلمه تكليمًا).

- رؤية الله: يشير الكاتب إلى نفي الجهمية لرؤيه الله بقوله: حدثني هارون بن معروف، قال ابن المبارك (ت 181 هـ) (كل قوم يعرفون ما يعبدون إلا الجهمية). وهو ينفي هذا النفي الجهمي بقوله: وحدثنا حديث اسماعيل.... عن قيس.... عن جرير. عن النبي ﷺ «انكم راؤون ربكم».

- تلاوة القرآن. يؤكّد البخاري على الفصل بين تلاوة القرآن والوحى مستندًا في ذلك إلى عدّة آيات مثل: «يتلون آيات الله آناء الليل» [١١٣] - آل عمران]. ويبين هنا أن التلاوة هي من النبي ﷺ وأصحابه، وأن الوحي من رب.

\* \* \*

تتعدد مسائل وموضوعات كتاب (أفعال العباد) وتبرز قدرة الكاتب في إجلاء أبعادها ومراميها بتقديمه الردود عليها أو الأجوبة عنها المستندة إلى الأدلة الوافرة والموثقة. ويلتقط في هذا النحو الملائم والمجاد، وبصورة واضحة عمق الإيمان مع المنطقية القادرة. وأيًّا كان الاتّباع السلفي فيه فإنه لا يحجب عطاء صاحبه وشخصيته.

ويثبت كتاب (أفعال العباد) للإمام البخاري مبادرة متقدمة ومحاجة لا بد من الإفادة منها في مدار البحث في العقيدة الإسلامية.



# مَعَ ابْنِ قَتَّيْبَةَ

---

كتاب الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة

---

للإمام عبد الله بن مسلم بن قتيبة<sup>(١)</sup>

---

## الدراسة

---

غايته - منهجه - مضمونه - خصائصه - قيمته وأثره

---

(١) سبق لهذا الكتاب أن نشر ك مجرد نص دون أي تحقيق موضح أو شرح في كتاب (عقائد السلف) لمؤلفيه، د. علي سامي نشار وعمار جمعي الطالبي.



## غايتها

لقد رأى ابن قتيبة طغيان الزيف والادعاء في زمانه على حقائق ومبادئ ثابتة، وأدرك أن أطراً من هنا وهناك تحاول ظالمة النيل من رموز دينية معروفة. وتبين له أن مجادلات ومناظرات تصيب وتفوي في أمور هي قد لا تكون من الإسلام في أركانه أو صميم جوهره. وثبت له أن جهات تزداد تطرفاً في معتقداتها وتطلعاتها الدينية حتى تكاد تكون فعلاً خارج جادة الإسلام. وإن ذلك يشيره ويدفعه إلى وضعه لكتابه (الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة) من أجل أن يعيد الأمر إلى نصابه، ويقدم الإسلام من موقع إيمانه ورؤيته، على حقيقته، مستعيناً في ذلك بما استقام له من تعمق وشمول في الوعي الإسلامي، وفقه العربية والتراجم العربية. وهو يعبر عن ذلك بقوله: «لم أر لنفسي عذراً في ترك ما أوجبه الله عليّ بما وهب من فضل المعرفة في أمر استفحلاً بأن قصر مقصراً، فتكلفت ببعض علمي ومقدار طاقتني ما رجوت أن يقضي بعض الحق عني لعل الله ينفع به، فإنه بما شاء نفع، وليس على من أراد الله بقوله أن يسأل الناس بل عليه التبصير...».

ويعلم أن فئات معينة قد لا تقبل على هذا الكتاب الذي يضعه ولكن طرفاً راشداً سيسقبله وهو يعنيه بقوله: «ورجلًا مسترشدًا يريد الله بعمله لا تأخذله فيه لومة لائم، ولا تدخله من مفارق وحشة، ولا تلفته عن الحق أنفة، فإلى هذا بالقول قصتنا وإياه أردننا...».

### **منهجه :**

يقسم المؤلف كتابه (الاختلاف في اللفظ) إلى مدخل وقسمين رئيين: عام، وخاص. وهو يعالج فيه موضوعة أو مشكل الاختلاف في اللفظ، المتعلق بالقرآن بالذات، وتتعدد نقاط المعالجة في الكتاب المذكور وإذا لم يقدمها الكاتب في أجزاء محددة ومعنونة فإنه يسلسل بحثه المعنى في فقرات متلاحمة متكاملة، أو مقاطع متساوية دونما تنافر فيما بينها أو فتور.

ويعتمد في البحث طريقة المناقضة وبما تقود إليه من عرض، وسرد بصورة مطردة.

ويؤيد ما يقدمه في ذلك من ردود بالحجج والأدلة المأخوذة من القرآن، والستة، ومأثورات تراثية عربية.

ويبين بجلاه الدلالات الأصلية للفاظ وردت في نصوص قرآنية ونبوية. وينطلق الكاتب في كل ذلك من سلفية، وما هو يحمد أو ينخلق في اتباع، وتتجلى وحدة بحثه، وما يضعف في تنوع، وبناء، وأداء.

### **مضمونه :**

يعمد الكاتب في كتابه (الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة) إلى عرض ما آل إليه الصراع بين جهات إسلامية مختلفة، أو أثر ذلك في واقع المجتمع العربي العباسي بصورة عامة، وفي حالته الإسلامية بصورة خاصة. ويشتمل الكتاب المعنى على آراء وجهات نظر حول أسس ومبادئه في العقيدة الإسلامية. وتنقسم هذه الآراء وجهات النظر في الدراسة إلى قسمين: الأول وهو ما يعارضه الكاتب ويرفضه، والثاني، وهو ما يؤمن بسلامته ويركتده. وتتسلسل هذه الدراسة على النحو التالي:

- الموقف من تأويل وفهم لجملة من المفردات والعبارات القرآنية مثل:  
﴿يضل من يشاء﴾ [٩٣ - النحل] و﴿يهدي من يشاء﴾ [٩٣ - النحل] و﴿الا

يأذن الله» [١٠٠ - يونس]، (وما كان لنفسِ إِن تؤمن إِلا يأذن الله) و «لقد ذرأنا»  
[١٧٩] - الأعراف] و «إِن هِيَ إِلَّا فُتُنْكَ تُضْلِلُ بِهَا مِنْ شَاءَ وَتَهْدِي مِنْ شَاءَ»  
[١٥٥] - الأعراف].

فالقدرة أو المعتزلة يرون في تأويلهم عبارة «يُضْلِلُ مِنْ يَشَاءُ» إن الله  
ينسبهم إلى الضلال. وفي «يهدي من يشاء» ينسبهم إلى الهدى، وفي «إِلَّا يأذن  
الله» إِلَّا بعلم الله، وهم يفهمون «ولقد ذرأنا لجهنم» لقد دفعنا وألقينا. و «إِن هِيَ  
إِلَّا فُتُنْكَ» إن هو إِلَّا اختيارك.

ويعارض الكاتب هذا التأويل في رده على أصحابه فيرى أن «يُضْلِلُ مِنْ  
يَشَاءُ» تعني الأضلال فعلاً، وليس (ينسبهم إلى الضلال) وإنَّه صَحَّ أن يقال  
مكانها يضلُّهم، وأن «يهدي من يشاء» تعني الهدى فعلاً (وليس ينسبهم إلى  
الهدى)، ويرى أن عبارة «إِلَّا يأذن الله» المتقدمة لا تعني علم الله بل مشيئته،  
ويدعم هذا التأويل بقول (المثبتين)، أي أوائل أهل السنة وهو (لم يشاَ الله ان  
يؤمن جميع الناس) (ولو شاء ربكم لآمنوا، فليس لنفسِ إِن تؤمن حتى يشاء الله لها  
ذلك ويطلقه) ثم يقول آخر لهم وهو: إن النبي (ص) كان يحب إيمان قريش  
فأنزل الله عليه «ولو شاء ربكم لآمن من في الأرض كلهم جمِيعاً، أَفَأَنْتُ تَكْرِهُ  
الناس حتى يكونوا مُؤْمِنِين» [٩٩ - يونس].

ويستند في دعم رده إلى التداول الحي للعربية فيقول: (على أن القائل  
إذا قال. لو شئت لأتيتك. إنه لم يشاَ إِتِيَانَه، ولو شئت لمحاججت، إنه لم يشاَ  
الحج). .

ويفهم على ضوء هذا التداول البصري العربي قوله تعالى: «لَوْ شَاءَ رَبُّكَ  
لآمِنَ مِنْ فِي الْأَرْضِ» [٩٩ - يونس] و «.. لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَهُدِيَ النَّاسُ جَمِيعًا»  
[٣١ - الرعد] أي أنه لم يشاَ ذلك. ولا يرى من الجائز في اللغة أن يجعل الاذن  
العلم لأنَّه الاذن، وإنَّ اقتضى أن يعتمد عند ذلك قول الإِيدان الذي يعني  
الإِعلام.

ويعد مرة أخرى إلى (الهدي) و (الضلال) في القرآن فإذا ما رأى القدرة أو المعتزلة في قوله تعالى: «فَمَنْ يَرِدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يَرِدُ أَنْ يَضْلِلَ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضِيقاً حَرْجَاهُ» [الانعام - ١٢٥] ان الإرادة هنا في (الهدي) و (الضلال) هي للعبد لا لله. فهو لا يرى في هذا الفهم والتأويل إلا أفسح غلط ويؤكد أن الإرادة لا يجوز أن تكون في الآية المذكورة للعبد، وقد ولبها اسم الله وهو مرفوع بإجماع القراء... ويرفض تأويل أصحاب القدر أو المعتزلة عبارة (ولقد ذرأنا...) بـ (لقد دفعنا وألقينا) ويرى في هذا التأويل خطأً لغرياً، ويؤكد على أن العبارة المعنية تعني (لقد خلقنا) مستندًا في ذلك إلى قوله تعالى: «ذَرْأَكُمْ فِي الْأَرْضِ» [٧٩ - المؤمنون] أي خلقكم وقوله: «يَذْرُؤُكُمْ فِيهِ» [١١ - الشورى] أي يلقىكم في الرحم.

وهو يفتئن تأويل المعتزلة لقوله تعالى: «وَإِنْ هِيَ إِلَّا فَتَنَّتُكُمْ تَضَلُّلُهَا مِنْ تَشَاءُ، وَتَهْدِي مِنْ تَشَاءُ...»، بيان هو إلأ اختيارك تضل به من تشاء أي الفاسقين، وتهدي من تشاء، أي المؤمنين، ويعجب من ذهابهم في هذا التأويل إلى أن الله يضل الضال ويهدي المهدى، ويؤكد أن الفتنة في الآية المذكورة هي الابتلاء وان القوم المعنien فيها فتنوا فعلاً بالعجل إذ انه كان فضة وحليناً فتحول إلى جسد له خوار، فارتدوا عن الإسلام وعبدوه. «ولم يكن مع موسى بنى إسرائيل كافرا».

وهو يعود فيستدرك قوله تعالى: «وَمَا يَضْلُلُ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ» فيبين ان هذا القول قد أنزل في قوم من اليهود استهانوا أكثر من مرة باملة يضر بها الله، حتى قال تعالى: «فَلَمَّا أَذْهَبْنَا أَنْتَمْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ، وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهِذَا مثلاً يَضْلُلُ بِهِ كَثِيرٌ وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرٌ، وَمَا يَضْلُلُ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ» [٢٦ - البقرة]، يعني اليهود خاصة لأنهم ضلوا بالمثل.

ويزيد في الاستدراك فيبين ان المحرف (أي الكلمة) قد يأتي في القرآن وظاهره العموم ومعناه الخصوص والدليل على ذلك هو قول موسى عليه

السلام : «وَأَنَا أَوْلُ الْمُؤْمِنِينَ» [١٤٣ - الأعراف] وقول النبي (ص) : «وَأَنَا أَوْلُ الْمُسْلِمِينَ» [١٦٣ - الأنعام].

والمراد في كل من الآيتين المذكورتين ليس كل المؤمنين وكل المسلمين بل المؤمنون في زمن موسى، وال المسلمين في زمن محمد (ﷺ). وإلى غير ذلك من المعاني القرآنية المماثلة.

- الموقف من اصطلاح اهل القدر تأويلاً لبعض الآيات القرآنية سندًا ودعماً غير جائز لعباده وضعوها وارتضوا لأنفسهم.

يتبع ابن قتيبة سلسلة تأويلات المعتزلة المرتيبة والمنحازة لآيات من القرآن الكريم مثل اعتبارهم قوله تعالى : «أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هُوَهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غَشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ» [٢٣ - الجاثية] وقوله : «وَأَنَا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مَقْمُحُونُونَ»<sup>(١)</sup>. وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأشيناهم فهم لا يصررون [٩ - ٨]. وقوله : «خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غَشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» [٧ - البقرة]، وسوى ذلك، هو حكم على من تعنفهم الآيات المتقدمة.

ويرفض الكاتب هذا التقدير التأويلي الذي يحمل النص القرآني ما لا يعنيه، واتجاهه المنحاز لخدمة مبادئ المعتزلة في مجانتهم الفهم الصحيح لقضاء الله وقدره.

ثم هو يقدم صوراً عن تحريف هؤلاء للنص القرآني رسمًا ومعنى ، وذلك في تأويلهم لأكثر من آية قرآنية مثل قلبهم (الصاد) سيناً في قوله تعالى : «عَذَابٍ أَصَبَّ بِهِ مِنْ أَشَاءَ» [١٥٦ - الأعراف] وكسرهم اللام بدل فتحها في قوله : «إِنَا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالصَّةِ»<sup>(٢)</sup> ذكرى الدار [٤٦ - ص]. وتحويلهم

(١) مقمحون: رافقوا رؤوسهم لا يستطيعون خفضها.. والمراد أنهم لا يلعنون لليمان ولا يخفضون رؤوسهم له.

(٢) أخلصناهم بخالصة: خصصناهم بخصلة لا شوب فيها.

منصوص الآية التالية من حال إلى حال. **فَوْلَا يَحْسِنُ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نَعْلَمْ  
لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنفُسِهِمْ أَنَّمَا نَعْلَمْ لَهُمْ لِيَزَدَادُوا إِثْمًا** [١٧٨ - آل عمران]. لتصبح  
عندهم: (لا يحسن الذين كفروا انما نعلي لهم ليزدادوا اثما إنما نعلي لهم خير  
لأنفسهم) إلى غير ذلك من التزوير والتحريف.

- رفض مقابلة الغلو بالغلو.

وإذا ما أسرف المعتزلة في فرض فهمهم للقدر على النصوص القرآنية  
لتتأتي منسجمة مع مبادئهم الاعتقادية أو الكلامية، فإن ذلك يشير حفيظة فريق  
من رجال الحديث وأهل السنة، وإذا هم يقابلون الغلو في القدر بالغلو في  
الجبرية و يجعلون (العبد المأمور المنهي المكلف لا يستطيع من الخير والشر  
 شيئاً على الحقيقة) ويعتبرون ما ينسب إليه من اعمال فإما ينسب على المجاز.

ويرفض الكاتب هذا التناقض العابر في المغالاة عند القدرة، وفريق من  
أهل الأثبات على حد سواء ويؤكد على استواء القدر فوق تقدير البشرية  
أو الإنسانية، ويقدم الأمثلة على لا مثيلية هذا الاستواء كاختصاص الملائكة حياله،  
واحتاج آدم وموسى وتسليم كل منها بما أصابه أو نزل به<sup>(١)</sup>، وامتلاك انسان  
للقدرة على عمل عجزه عن القيام به ثم كيف تمضي الأمور على غير ما يتنتظر  
لها. في الحال أولياء الله ويقتلون شر قتلة. ويتباين الناس في أماكن النشأة والنعمة  
فيبيتىء الله بعضهم بالنعم ويسكنهم ريف الأرض ويوفر عليهم العقول والافهام.  
وينزل بعضهم الآخر في أطرااف الأرض وتشوه خلقهم وتسلب عقولهم  
وبياعدون عن بعث الرسل فإذا هم كالأنعام بل أضل سبيلاً. وليس لهم أن  
يحتاجوا على الله بما منح غيرهم وما منع عنهم. والحقيقة هي أن الله عادل لا  
يجرور ولا يسأل عما خلق وقلّر. ولا حق لأحد قبله فهو يفعل ما يشاء. وإن ذلك

(١) إشارة إلى ما يروى من الحديث هو التالي: لقى موسى آدم (ص) فقال: أنت آدم أبو البشر الذي  
اشقيت الناس وأخرجتهم من الجنة قال: نعم. فقال: أنت موسى الذي اصطفاك الله على  
الناس برسالته وكلامه؟ قال: بلى. قال: أليس تجد فيما أنزل عليك أنه سيخرجني منها قبل أن  
يدخلنها! قال: بلى. ففتح آدم موسى (ﷺ).

لا يزيل مسلمة أن العباد يستطيعون ويعملون ويجزون بما يفعلون وإن الله يلطف . . . فيهدي ، ويجاري الكفور.

- معارضة نفي الصفات الإلهية . والقول بخلق القرآن : يمنع الجهميون ومن بعدهم المعتزلة في التحااشي من الواقع في التشبيه أو ما يقرب منه حسب تصورهم واعتقادهم ، فينفون وجود الصفات الإلهية ويعتقدون أن الله حليم ولكن ليس بحليم وإن أنه عليم ولكن ليس بعلم وهم لا يفصلون بين سمع الله وبصره ، حتى وإن ورد ذلك واضحاً في القرآن الكريم كقوله تعالى «سميع بصير» وكذلك هي حالهم مع سمع الله وعلمه كما جاء في سورة المجادلة : «قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها . . .» ونظراً لأن دفاعهم في تحسيبهم من الواقع في الشرك أو ما يشبهه ، فهم يقولون بخلق القرآن ويستندون في ذلك وحسب تقديرهم إلى أكثر من آية قرآنية مثل : «إنا جعلناه قرآنًا عريباً» [٣ - الزخرف] . وسوى ذلك من الآيات والأدلة الأخرى .

ويعارض ابن قتيبة نفي الجهمية ، والمعتزلة ، بصورة عامة للصفات الإلهية ويرجع في ذلك إلى التداول السحي والفصيح للكلام العربي كجماع الناس على أن يقولوا : (اسألك بعفوك) ، وأن يقولوا : (يعفو بحليم ، ويعاقب بقدرة) وإذا ما بدا له انهم يرفضون هذا المنحى الدلالي فإنه يرفله بشاهد آخر كقول القائل : (غفر الله لك) و (عفا عنك) أي يغفر الله مغفرة ويعفو عنفواً . وما هو بيراهم قادرين على رفض هذا التدليل الإثباتي أو الحجة البيانية الأصلية وإنما فلنهم يتخطبون في مجال . وهو يمضي في التأييد لإثبات صفات الله تعالى فيذكر قوله عز وجل : «إن كيدي متين» [١٨٣ - الأعراف] وقد أجمع الناس على أن القوة والحول لله ، وهو يفصل بين سماع وبصير بما يخص الله وينفي أن يعني سمع الله وبصره علمه فحسب ، ويشهد بقوله تعالى وقد سمع اليهود يقولون : «إن الله فقير ونحن أغنياء» ولا يصح أن يكون العلم قبل السمع . وكذلك هو قوله تعالى : «إني معكما اسمع وأرى» [طه - ٤٦] فلا يمكن أن يكون هنا السمع والبصر هما العلم .

وهو يرفض قول الجهمية والمعتزلة بخلق القرآن استناداً إلى قوله تعالى: **«إنا جعلناه قرآنأً عربياً»** معتبرين أن العمل هنا يعني الخلق، ودليله في هذا الرفض هو لغو فلان (عمل) تعني خلق في حال تعدّيها إلى مفعول واحد فحسب كقوله تعالى: **«خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور»** [١ - الأنعام] ويکذب قولهم بخلق القرآن باستشهادهم بقول الله: **«مَا يأتِهِمْ مِنْ ذَكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مَحْدُثٌ»** وحجته في تكذيبهم هي قول الله: **«لَعَلَّهُمْ يَتَفَقَّنُ أَوْ يَحْدُثُ لَهُمْ ذَكْرًا»** [١١٢ - طه] ومعنى (يحدث) هنا يجدد ما لم يكن.

- التناقض بين الكاتب والمعتزلة في تأويل كلمتي اليد، والروح في بعض

الآيات القرآنية:

- لقد أولى المعتزلة، على ضوء منطلقاتهم الاعتقادية، كلمة يد في قول الله تعالى: **«وقالت اليهود يد الله مغلولة»** بالنعمة وكلمة: (الروح) في قوله تعالى: **«ونفسنحت فيه من روحه»** [٢٩ - الحجر] بالأمر، أي أمرت أن يكون.

ويرد الكاتب على هذا التأويل فيبيان ما لليد من المعانٍ. مثل النعمة والقدرة كما في قوله تعالى: **«أولي الأيدي والأبصار»** [٤٥ - ص] يزيد أولي القدرة في دين الله ، ومعنى اليد الطاقة . ويرفض تأويل (اليد) بالنعمة في الآية المتقدمة لأن النعمة لا تغلّ وكما في قوله تعالى: **«بِل يداه مبسوطتان»** [٦٤ - المائدة] ولا يجوز أن يزيد (النعمتان مبسوطتان). ويؤكد أن اليد في الآية الأولى والمعنية هي اليد، وأن (اليدين) في الآية المتقدمة الثانية هما (اليدان) وهو يستند في تأكيده إلى قول ابن عباس: (اليدان اليدان) ولكن دون أي كيف . ويقدم أمثلة داعمة وموضحة لوجهة نظره هذه كقول الرسول ﷺ: (كلا يديه يمين) فلا يجوز لأحد أن يجعل اليدين نعمة أو نعمتين و (يداً) الحديث المذكور تعنيان التمام والكمال لما في اليمين عند العرب من التمام والكمال، وقوله تعالى: **«لَمَا خَلَقْتَ** **يَدِي** **»** [٧٥ - ص] فاليد هنا ليست النعمة ولكن هي كما يقول الله ويصف نفسه، وهي تعنيه مع نفي الكيف والتشبيه، وقول رسول الله (ص): (يمين الله سحاء لا يغيبها شيء الليل والنهار) أي هي تصب العطاء، ولا ينقصها ذلك أبداً.

ويعارض تأويل المعتزلة للروح في الآية المتقدمة الذكر بالأمر، وبين ما لكلمة الروح من دلالات معنوية مختلفة فهي تعني الكلام، والملك العظيم، وروح الأجسام، والرحمة والنفح. وهي ما دامت ملزمة للتفسير فلن تفيد إلا معناها الواحد الثابت في التراث كقول الشاعر:

وقلت له ارفعها إليك واحبها      بروحك . . . .

أي النفح من الروح بدون الكيف أو التشبيه.

- الاختلاف في تأويل آية البرفية و (لا أعلم ما في نفسك...) و (العرش). و (الكرسي) و (خلق الإنسان من عجل) و (... ابراهيم خليل) و (الرحمن على العرش استوى) و (إن قلب المؤمن بين أصبعين) ونتائج ذلك الاختلاف: ي يؤول المعتزلة قوله تعالى: (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) [٣٢ - القيامة] فيرون أن (ناظرة) هنا تعني متظاهرة الثواب. ويستندون في ذلك إلى أكثر من دليل كقوله عز وجل: (لا تدركه الأ بصار وهو يدرك الأ بصار) [١٠٣ - الأنعام].

وهم يفهمون قول الله على لسان المسيح (تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك) [١١٦ - المائدة] تعلم ما عندي، وحجتهم قوله تعالى: (وعنده مفاتيح <sup>(١)</sup> الغيب) [٥٩ - الأنعام].

ويطلبون للعرش معنى غير السرير فيعارضون بذلك العلماء بالله وطلبوه للكرسي كما في قوله: (وسع كرسيه السموات والأرض) [٢٥٥ - البقرة] معنى غير معلوم، ودليلهم في ذلك شطر بيت لا يدرى من هو قائله:

ولا يكرسى علم الله مخلوق

أي لا يحيط بعلم الله أحد.. . وهم يفسرون كلمة «عجل» في قوله تعالى: (خلق الإنسان من عجل) [٣٧ - الانبياء] بالطين مستندين في ذلك إلى بيت لا يدرى قائله، أي ليس هو بحجة.

(١) مفاتيح: اسرار.

وفهموا قوله تعالى: «واتخذ الله ابراهيم خليلاً» [١٢٥ - النساء] اتخذه فقيراً إليه .

وقالوا في قوله تعالى: «الرحمن على العرش استوى» [٥ - طه] إنه استولى .

وفسروا الإصبعين في الحديث القائل: (إن قلب المؤمن بين اصبعين من أصابع الرحمن) بالنعمتين. وسندتهم في هذا تفسير بيتهن من الشعر.

وقالوا في الضحك الوارد في بعض الأحاديث النبوية، والذي يعني الله تعالى بأنه مثل ما تقول العرب: (ضحك الأرض بالنبات)، و(ضحك المزن) وغيره. وهم يقعون هنا لا في التشبيه بالإنسان ولكن بالأشياء والنبات.

ويرد الكاتب على هذه المجموعة من التأويلات على النحو التالي:

- فهو يرفض تفسير الجهمية والمعتزلة «إلى ربها ناظرة» في الآية ٢٣ / القيامة بمنتظرة الشواب وإنما كان القول عند ذلك (لربها ناظرة)، ولتشتبه رؤية الله في يوم القيمة. ويرى أن قوله تعالى: «لَا تدركه الأ بصار وهو يدرك الأ بصار» (١٠٣ - الأنعام) إن ذلك يكون في الدنيا وليس في الآخرة. وأن قول الله عزّ وجلّ لموسى: «لَن تراني» [١٤٣ - الأعراف] هو أيضاً في الدنيا، ولكنه سيراه في الآخرة، إذ أن الله سيعطيه يوم القيمة ما يقوى به على النظر ويؤكد الكاتب حقيقة الرؤية يوم القيمة باستناده إلى الحديث النبوي القائل: (سترون ربكم يوم القيمة كما يرى القمر ليلة البدن).

- ويعارض تأويل الجهمية والقدرية قوله تعالى: «تعلم ما في نفسك ولا أعلم ما في نفسك» فيري أولاً أن الله أعلم بما أراده في هذه الآية ويستغرب فهم المعتزلة لها: (تعلم ما عندي ولا أعلم ما عندك) و(عند) تعني (القرب) وهم الذين يقولون أن الله في كل مكان بغير مماسة ولا مبادنة وبغير موافقة ولا مفارقة . . .

ولا يقبل طلب الجهمية والمعتزلة للعرش معنى غير السرير مستنداً في

ذلك إلى قول الشاعر الجاهلي أمية بن أبي الصلت:

بالبناء الأعلى سبق النـ ساس وسوى فوق السماء سريرا  
ـ ويظهر بطلان تأويل المعتزلة (للكرسى) في القرآن بغير ما يعلمه أهل الحديث، ويكتذب شاهدهم لتأييد ذلك التأويل وهو: (ولا يكرس إله مخلوق) أي لا يحيط بعلم الله . نافياً أن يكون فعل يكرسى المهموز مشتقاً من الكرسى .

ـ ويرى تمحلاً تأويل الجهمية والمعزلة (عجل) في قوله تعالى: «وخلق الإنسان من عجل» بالطين ولا يقبل بأية حال شاهدهم الشعري الذي توسلوا به لتأييد ذلك التأويل .

ـ ويرفض تأويل الجهمية (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) [١٢٥ - النساء] أي (اتخذه فقيراً إليه) وإن تساوى أبو الأنبياء إبراهيم هنا مع سائر الناس، وإن هذا يخالف أيضاً اجماع الناس على إن الخلقة بضم الخاء لإبراهيم وهي فضيلة خصّه الله بها كما خصّ سواه من الأنبياء بفضائل أخرى .

ـ ولا يأخذ بفهم .. المعتزلة لقوله تعالى: «الرحمن على العرش استوى» [٥ - طه] إنه استولى على العرش .. ويرى أن هذا التأويل مغایر لحقيقة الدلالة المعنوية لفعل استوى المذكور، وحججه في ذلك قول الله: «فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك» [٢٨ - المؤمنون] أي فإذا استقررت ..

ـ ويكشف خطأ تأويل الجهمية وأتباعهم للمحدث النبوi القائل (إن قلب المؤمن بين أصابع الرحمن) بأن قلب المؤمن بين نعمتين من نعم الله . ولا يأخذ بما هم قدموه لذلك من حجة أو شاهد، ودليله في ابطال التأويل المذكور صحة الحديث المعنى ، وحقيقة دلالات ألفاظ نصه . وذلك هو أن إحدى أزواج النبي سمعته يقول: (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك) فقالت له: (أوتخاف يا رسول الله على نفسك؟) فقال: (إن قلب المؤمن بين أصابع

من اصياع الرحمن) وإن ذكر هذا النحو الزمني للحديث يتعارض مع ما ذهب إليه المعتزلة في تأويله المذكور.

- ويرفض تفسير المعتزلة ما ينسب في الحديث إلى الله من ضحك بتشبيهم له بما تقول العرب مثل: (ضحك الأرض بالنبات) و(ضحك المزن) ويرى انهم في هذا التفسير التمثيلي قد سقطوا في تشبيه الله تعالى بالأشياء، وهم الذين طالما تحاوشوا تشبيهه بأي شكل وحال

- ويتحدث الكاتب عن تمادي الجهمية والمعزلة بتأويلهم في المجاز والنفي، وعن تأثير ذلك على فريق من رجال الحديث، ودفعه لهم إلى القول بالتشبيه المحسن، وبالكيفية، والقبول بأحاديث موضوعة. وفي غاية التشبيه والتجسيم وخلص إلى تأكيد تصديقه لما نقل من الأخبار عن الثقات، وإيمانه بالرؤيا، والتجلّي، وأن الله على العرش استوى، وما ثبت لله من صفات في القرآن والحديث، من غير ما قول بكيف أو حد، أو قياس.

- تبّين المواقف من الإمام علي بن أبي طالب:

ويعرض الكاتب في سياق بحثه الحالي لاختلاف مواقف جهات إسلامية من الإمام علي بن أبي طالب ويرى أن اندفاع جهة في هذا المجال إلى المغالاة في حبه مع عدم انصافها لفريق من خيار السلف دفع بجهات أخرى لتغالي في بعض الإمام علي، فنسبت إليه باطلًا ما ليس منه أو له، واتهمته بالسماوة على قتل عثمان (رض). وهي تتنكر، لما خصّه الله به، وتقر بالخلافة ليزيد بن معاوية وتنكرها له، وتغافل عن أحاديث تشيد بفضلها، ثم تقف موقفاً عجيباً وغريباً من ولده الإمام الحسين (ع) فترى في موقفه المعارض ليزيد بن معاوية خروجاً منهاً عنه. وهي لا تنظر بعدل وصدق إلى شورى الخليفة عمر بن الخطاب لوجهة علي... وإذا لم تستطع أن تنفي أو تغفل أحاديث صريحة ومحروقة في سمو مقام علي وأهل بيته، في الإسلام فإنها تكيد لها لتضعف من شأنه فيها. ويخلص الكاتب إلى طلب الإنصاف والاعتدال في الموقف من

الإمام علي، وأن يهتدى في ذلك باعتبار خيار السلف له، وإن يلقي من التقدير ما يلقاء كل من وقف مع النبي ﷺ وخدمه. ولا يضن بذلك عليه أو يبخس حقه فيه، لما بينه وبين النبي من القرابة والدناوة، وهو ما أوحى به الله تعالى في قوله: «فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم» [٦١ - آل عمران] وإن كلمة أنفسنا هنا تجمع بين النبي ﷺ وعلي ع).

## ال موقف من القرآن وقراءة القرآن .

ويالج الكاتب قضية القرآن أم مخلوق هو أم غير مخلوق ثم قراءة القرآن  
أم مخلوقة هي أم غير مخلوقة. ويلتزم في موضوع القرآن المذكور بموقف أهل  
الحديث المعروف فيؤكد أنه غير مخلوق، ويقف وقوفه المتروبة مع مشكلة  
القراءة القرآنية، وقد اتسعت فيها دائرة الخلاف، ففريق يرى أن قراءة القرآن هي  
القرآن نفسه وهي غير مخلوقة، ويرى فريق آخر في هذه القراءة عملاً يقع عليه  
الثواب، ولذلك يقال قراءة فلان أحسن من قراءة فلان اي أداء فلان للقرآن  
أحسن من أداء فلان له. وتدفع السحيرة الناس في هذه المشكلة ليفرغوا إلى  
علمائهم. ويختلف هؤلاء بدورهم حول القراءة القرآنية فتقول فئة منهم إنها  
مخلوقة، وتقول فئة إنها هي القرآن، وغير مخلوقة، وترى فئة أخرى أن مجرد  
القول في هذه القراءة هو بدعة. وينسب في هذا المجال إلى الإمام ابن حنبل  
تكفيره لمن يقول بأن قراءة القرآن مخلوقة. ووصفه بالمبتدع لمن يقول بأنها غير  
مخلوقة. ويرفض ابن قتيبة نسبة هذا الموقف إلى ابن حنبل، لما هو فيه من  
الرشاد، ولأن الحق لا يخلو من أن يكون في أحد أمرتين.

وكان لا بد من أن تعود مشكلة القراءة القرآنية إلى العلماء الذين استطاعوا أن يثبتوا أن القرآن غير مخلوق مستندين في ذلك إلى عدّة آيات فيه. ويعارض ابن قتيبة أي انصراف أو انكفاء عن جلاء هذه المشكلة، كما أنه يقف موقف المستريب من فئات حولتها إلى مكيدة ومحنة تبتلى فيها فئات معينة من الناس. وبالتالي إلى تحليل مفهوم القراءة القرآنية فيرى أنها لفظ واحد يشتمل على

معنيين. فال الأول عمل والآخر قرآن، وان القرآن لا يقوم بنفسه بل بواحدة من أربع وهي الكتابة أو القراءة أو الحفظ أو الاستماع. وهو بالعمل بالقراءة قائم وهذا العمل مخلوق. والمقرؤ قرآن وهو غير مخلوق، لتكوين القراءة القرآنية قرآنًا متصلةً بعمل فال الأول غير مخلوق والآخر مخلوق. وقد يمكن تشبيهها بالجمرة التي هي جسم ونار أو بالنجم الذي هو نار ونور. أو بالقتل الذي هو ذبح وموت. ويزيد الكاتب في الإيضاح فيقدم مثل من يقول لزيد ما أحسن قراءة محمد فيقول له ما قرأ؟ فيقول القرآن وليعنى ذلك عملاً وقرآنًا في آن معاً.

### الموقف من الإيمان والروح

ويتعجب الكاتب من قوم يتظاهرون باعتقادهم بالستة يقولون بأن الإيمان غير مخلوق لكون أولى أولياته: (لا إله إلا الله) ويجعلون بذلك أفعال العباد غير مخلوقة صفات الله. ويرى أن مقوله (غير مخلوق) تكاد تصبح بسبب جهم تياراً يشبع الببلة والخطأ في أكثر من لفظ، أو مفهوم في المجال العقائدي الإسلامي. وهو يبني استغرابه لقول آخرين بأن الروح غير مخلوق. وقد غاب عن هؤلاء أنه الله تعالى فالتعبدة، وباريء النسمة، أي خالق الروح.

\* \* \*

وينتهي الكاتب في كتابه (الاختلاف في اللفظ) إلى حوار يجريه مع جهمي يبين له فيه كيف أن الحرف الواحد، أو اللفظ مثل (لا إله) يصبح حيناً كفراً بالنسبة، وحياناً آخر إيماناً بالنسبة. وكيف أن القول في القرآن يصير غير قرآن بالنسبة، وذلك كقوله تعالى: «ويخزهم وينصركم عليهم، ويشف صدور قوم مؤمنين» [١٤ - التوبية]. وقد اقتبس الشاعر العباسي دعبد الخزاعي (توفي سنة ٢٤٦ هـ) معنى هذه الآية إذ قال:

ويخزهم وينصركم عليهم      ويشف صدور قوم مؤمنين  
فإن هذا القول الشعري ليس قرآنًا، وذلك بسبب نية الشاعر، وهو مخلوق.

### خصائصه:

تبين لنا في قراءتنا وتحليلنا لنص كتاب (الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشيّة) **الخصائص المتنوّعة التالية:**  
ـ عمق استجلاء الواقع وحدهة وصفه.

يتأمل الكاتب في واقع مجتمعه المائل له. ويتحدث عمّا آلت إليه أوضاعه، وما هو يجامل فيه، أو يداري، بل يستجليه على حقيقته الموجعة، والمتجاوزة لمعاني الهدى والرشاد. ويصفه وصفاً مجرداً وحاداً وذلك بقوله: «فَاصْبِحُ النَّاسُ، إِلَّا قَلِيلًا مِّنْ عَصْمِ اللَّهِ مُفْتَوِنِينَ وَفِيمَا يُؤْيِّدُهُمْ<sup>(١)</sup> خَاطِئِينَ، وَعَنْ سَبِيلِ نِجَاحِهِمْ نَاكِيْنَ، وَبِمَا وَضَعَهُ اللَّهُ عَنْهُمْ مُتَكَلِّفِينَ، وَعَمَّا كَلَّفُوهُمْ مُعْرِضِيْنَ، وَإِنْ دَعُوا أَنْفُوْنَا، وَإِنْ وَعَظُوا هَزَاؤَا، وَإِنْ سُئُّلُوْنَا تَعْسَفُوا، وَإِنْ سُأَلُوْنَا أَعْتَوْا، قَدْ فَرَقُوا الدِّينَ، وَصَارُوا يَتَابِدُوْنَ<sup>(٢)</sup> بِالْأَلْقَابِ، وَيَتَسَابُّوْنَ بِالْكُفُّرِ، وَيَتَعَاضُّوْنَ بِالنَّحْلِ، وَيَتَنَاصِرُوْنَ عَلَى الْهُوَى...».ـ البروز السلفي ، وحرارة الدفق البياني .

ويمضي الكاتب في حديثه عن حاضره العباسي في القرن الثالث الهجري وهو يبين ما استجدّ فيه من احتلال المقايس، والتختلط في مجال الفكر والثقافة، والابتعاد المندفع عن طريق السلف المتّبع، والتجربة على التعرّض لرموز مرجعية معروفة، والتعلق بما هو طاريء ومسرف في الغموض والتعقيد. وأنه يعطي في ذلك من سلفية جادة. ويدفع ببيانه خالصاً في أسي، ويشيع الأكفهم:

«وَعَادَ الْإِسْلَامُ غَرِيباً كَمَا بَدَأَ فَمَاذَا يَعْجِبُ مِنْ سَلَةٍ<sup>(٣)</sup> السِّيفِ، وَشَمْوَلِ الْخُوفِ، وَهَلْ يَتَوَقَّعُ تَرَايِدُنَا فِي الْغَوَّاْيَةِ إِلَّا التَّرَيَدُ بِالْبَلَاءِ... وَكَانَ طَالِبُ

(١) يُؤْيِّدُهُمْ: ثَابِقُ الشَّيْءِ أَنْكَرَهُ وَتَبَرَّأَ مِنْهُ.

(٢) يَتَابِدُونَ: تَابِدُ الْقَوْمُ: اخْتَلَفُوا، أَوْ تَفَارَقُوا عَنْ عِدَادَهُ.

(٣) سَلَةُ السِّيفِ: إِخْرَاجُهُ مِنْ غَمْدَهُ.

العلم فيما مضى يسمع ليعمل ويعلم ليعمل، ويتفقه في دين الله ليتتفق ويتفق فـقد صار طالب العلم الآن يسمع ليجمع ويجمع ليذكر ويحفظ ليغالب ويفخر. وكان المتناظرون في الفقه يتـنـاظـرـونـ فيـ الجـلـيلـ منـ الـوـاقـعـ والـمـسـتـعـمـلـ منـ الـواـضـعـ وفيـماـ يـنـوبـ النـاسـ فـيـنـفعـ اللهـ بـهـ القـائـلـ وـالـسـامـعـ، فـقـدـ صـارـ أـكـثـرـ التـنـاظـرـ فـيـماـ دـقـ وـخـفـيـ، وـفـيـماـ لـاـ يـقـعـ. وـصـارـ الغـرضـ فـيـ اـخـرـاجـ لـطـيفـةـ، وـغـوـصـاـ عـلـىـ غـرـيـةـ وـرـدـاـ عـلـىـ مـتـقـلـمـ، فـهـذـاـ يـرـدـ عـلـىـ أـبـيـ حـنـيفـةـ، وـهـذـاـ يـرـدـ عـلـىـ مـالـكـ، وـأـخـرـ يـرـدـ عـلـىـ الشـافـعـيـ<sup>(١)</sup> بـزـخـرـفـ منـ القـولـ وـلـطـيفـ منـ الـحـيـلـ وـهـذـاـ يـطـعنـ بـالـسـرـأـيـ عـلـىـ مـاضـ منـ السـلـفـ وـهـوـ بـرـيءـ. وـكـانـ المـتـنـاظـرـونـ فـيـماـ مـضـىـ يـتـنـاظـرـونـ فيـ مـعـادـلـةـ الصـبـرـ بـالـشـكـرـ وـفـيـ تـفـضـيلـ أـحـدـهـمـ عـلـىـ الـآخـرـ. وـمـجـاهـدـةـ النـفـسـ فـقـدـ صـارـ المـتـنـاظـرـونـ يـتـنـاظـرـونـ فـيـ الـاسـطـاعـةـ<sup>(٢)</sup> وـالـتـوـلـدـ<sup>(٣)</sup> فـهـمـ «ـدـائـبـوـنـ يـخـبـطـونـ فـيـ الـعـشـوـاتـ . . . وـقـادـهـمـ الـهـوـيـ بـزـمـامـ الرـدـ» .

- صدق الغيرة وسمو الرازق القيادي، ووهج الأداء.

---

(١) أقدم التعريف بهؤلاء الأئمة في القسم الثالث من هذا الكتاب.

(٢) الاستطاعة: ويعناها هو أن القدرة متفقمة على مقدورها غير مقارنة له وتسمى أيضًا قوة وطاقة. ويفرق المتكلمون بين المقدورات فهي عندهم على ضربين مبتدأ كالإرادة، ومتولد كالصوت. ومن رأى المعتزلة أن القدرة متفقمة على مقدورها، ومن رأى المجبرة أنها مقارنة له. وقد انكر المعتزلة أن يكلف الله عبداً ما لا يقدر عليه لكنهم اختلفوا في الاستطاعة هل تبقى أم لا بعد الفعل؟ فقال أكثر المعتزلة إنها تبقى وهذا قول أبي الهذيل وهشام وعبد وجمعفر بن حرب... والإسکافي وأكثر المعتزلة.

ويرى الفريق الثاني أن الاستطاعة تزول بانتهاء الفعل وتتجدد مع كل فعل جديد، أي أن كل فعل يستلزم خلق قدرة جديدة.

(٣) التولد: هو أن يحصل الفعل من فاعله بتوسيط فعل آخر: كحركة المفتاح تحرّك اليد، وحدوث جرح بسبب الإصابة بحجر أو سهم أطلقه إنسان، وذهاب الحجر الحادث عندما يدفعه دافع له وانحداره الحادث عن طرحة، وكنمو الألم الحادث عند الضرب.

وقال ابن حزم: تنازع المتكلمون في معنى التولد فقالت طائفة: ما تولد عن فعل إنسان أو حي فهو فعل الإنسان والحي. واختلفوا فيما تولد من غير حي فقالت طائفة: هو فعل الله، وقالت طائفة: ما تولد من غير حي فهو فعل الطبيعة. وقال آخرون: كل ذلك فعل الله عز وجل.

وتشتد غيرة الكاتب على أصحاب الحديث وبهوله ما هم فيه من فرق، وتنابذ، وسوء مآل، ويستطيع خلال ذلك وازعه القيادي بل شعوره العميق بالمسؤولية تجاه من كادوا يتناسون الأمانة، ويصلّون درب الرسالة. ويقوى في جلاء وضعهم العاشر. والمؤثر، إيداناً بكشف أسراره. ويصفو أداهه ويسلس ويتوهّج بقوله:

«وكان آخر ما وقع من الاختلاف أمراً خاصاً بأصحاب الحديث الذين لم يزالوا بالسنة ظاهرين وبالاتباع قاهرين يداجون<sup>(١)</sup> بكل بلد ولا يداجون، ويستر منهم بالتحل ولا يسترّون، ويصدّعون الناس بحقهم ولا يستغشون. لا يرتفع بالعلم إلا من رفعوا، ولا يتضُّع إلا من وضعوا.. إلى أن كادهم الشيطان بمسألة لم يجعلها الله تعالى أصلاً في الدين ولا فرعاً.. فنها شرّها وعظم شأنها حتى فرقت جماعتهم وشتّت كلمتهم، ووهنت أمرهم وأشمت حاسدهم وكفت عدوهم.. فهو دائم بضمّحك منهم ويستهزئ بهم حين رأى بعضهم يكفر بعضاً.. ورأى نفسه قد صار لهم سلماً بعد أن كان لهم حرباً».

- الشعور بتبعية المعرفة، وتلقائية الالتزام العقائدي، وصفاء السياق والبلاغ.

وإذا ما استشرى الخلاف فيما بين أصحاب الحديث ولا أحد ينكِّب على مدواهاته، حتى ليصبح جزءاً من حياة المجتمع، انطلق الشعور بتبعية المعرفة عند الكاتب، واندفع تلقائياً مع التزامه العقائدي ليضع حدّاً لذلك الخلاف بإجلاء أسراره فإعطاء رأيه فيه وتبليغه بشكل أو باخر إلى من يلقي له السمع ويحسن الوعي. ويصفو سياقه ويعذّب سرده الوصفي، ويتواءزَّن بناؤه..

«ولما رأيت اعراض أهل النظر عن الكلام في هذا الشأن قد وقع وتركهم تلقّيه بالدواء حين بدا.. إلى أن استحكم أساسه.. وجرى على اعتياد الخطأ فيه الكهل، ونشأ عليه الطفل.. لم أر لنفسي عذرًا في ترك ما أوجبه الله عليّ بما وهب من فضل المعرفة في أمْر استفحّل بأن قصر مقصّر، فتكلّفت بمبلغ علمي

(١) يداجون: داجاه سائره بالعداوة ولم يدخلها له.

ومقدار طاقتى ما رجوت أن يقضى بعض الحق على لعل الله ينفع به... وليس على من أراد الله بقوله أن يسأل الناس بل عليه التبصير. وسيوفق قولي هذا من الناس ثلاثة: رجلاً منقاداً سمع قوماً يقولون فقال كما قالوا فهو لا يرعوي... ورجلًا تطمع به عزة الرياسة ولا يشنى عنانه إلا الذي خلقه... ورجلًا يريد الله بعمله لا تأخذنـه فيه لومة لائم... فإلى هذا بالقول قصتنا وإيه أردنا... .

### - الريادة في الدرس والتأليف.

لم يشاَ الكاتب أن يبادر في بحثه الراهن إلى معالجة ما نجم من اختلاف في (لفظ معين) بين أصحاب الحديث بل هو يؤثر أن يدرس ما سبق ذلك في النطاق العقائدي الإسلامي من تباين حاد في وجهات النظر بين أصحاب الحديث وأهل السنة من جهة والجهمية والمعتزلة وسواهم من جهة، ولا سيما فيما يعني القرآن والسنة، وتوجهات عقائدية معينة. وهو ينحو في هذا الاتجاه نحوً جديداً في الدرس والتأليف خصوصاً على صعيد المنهج لجهة إضاءة موضوع البحث حقه المطلوب في التعمق والشمول، ثم توضيح هذا المنهج المعتمد، والمضي على رصانة في التقديم، وصراحة في الأداء.

«ولم أر صواباً أن يكون الكتاب محرراً يذكر هذا الباب خاصة دون غيره فقدمت القول فيه بذكر بعض ما تأولته الجهمية في الكتاب والحديث، وإن قل لحمد الله على النعمة، ونعلم، أن الحق مستغنٌ عن الحيلة، ولم أعد في أكثر الرد عليهم طريق اللغة. فاما الكلام<sup>(١)</sup> فليس من شأننا ولا أرى أكثر من هكـ

(١) الكلام: والمقصود بالكلام هنا هو علم الكلام أو علم التوحيد وهو علم يتضمن الدفاع عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية وهو (التاج الخاص للMuslimين...) ويصدر المسلمين فيه عن ذاتهم... وقد كان المتكلمون في وسط فلسي وآباء هجمات فلسفية من آديان مختلفة، وعقائد فلسفية متعددة ومذاهب شرقية منتشرة في البلاد المفتوحة، ولم يفهـمـ أن يأخذوا منها بعض الأفكار الجزئية، وان علم الكلام (بقي في جوهره العام حتى القرن الخامس الهجري إسلامياً بحتاً) وبعد هذا شابتـه عناصر يونانية وغير يونانية ومزج بالعلوم الفلسفية. ولكن فقهاء المسلمين لم يوافقـوا على هذا المزج وقاوموه مقاومة عنيفة. ويرى ان علم الكلام هو البحث في كلام الله.

الأَبَهُ وَيَحْمِلُ الدِّينَ عَلَى مَا يَوْجِبُهُ الْقِيَاسُ<sup>(١)</sup> أَلَا تَرَى أَنَّ أَهْلَ الْقَدْرِ هُنَّ نَظَرُوا فِي قَدْرِ اللَّهِ الَّذِي هُوَ سُرُّ بَارَائِهِمْ وَحَمْلُوهُ عَلَى مَقَايِيسِهِمْ أَرْتَهُمْ أَنفُسَهُمْ قِيَاسًاً عَلَى مَا جَعَلَ فِي تَرْكِيبِ الْمُخْلوقِ مِنْ مَعْرِفَةِ الْعَدْلِ مِنَ الْخَلْقِ عَلَى الْخَالِقِ إِن يَجْعَلُوا ذَلِكَ حُكْمًا بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ الْعَبْدِ فَقَالُوا بِالْتَّخْلِيةِ وَالْإِهْمَالِ<sup>(٢)</sup>. وَجَعَلُوا الْعَبَادَ فَاعِلِينَ لِمَا لَا يَشَاءُ اللَّهُ وَقَادِرِينَ عَلَى مَا لَا يَرِيدُ، كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا بِالْجَمَاعِ النَّاسِ عَلَى «مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ، وَمَا لَا يَشَاءَ لَا يَكُونُ».

- أصولية السرفن، ومطلقيـة المشيـة الإلهـية، ودقـة التـبيـن. يـسرـفـض الكـاتـبـ من مـوقـعـ اـصـوليـ ما تـذهبـ إـلـيـهـ الجـهـمـيـةـ وـمـنـ اـتـبعـهاـ مـنـ المـعـتـزـلـةـ، مـنـ تـطـيـقـ لـلـأـقـيـسـةـ الـبـشـرـيـةـ عـلـىـ الـخـالـقـ، مـؤـمـنـاـ بـمـطـلـقـةـ الـمـشـيـةـ الإـلـهـيـةـ، فـعـدـلـ اللـهـ لـاـ يـقـاسـ بـعـدـ الـمـخـلـوقـ، وـإـنـهـ تـعـالـىـ يـمـلـكـ الـكـلـ وـعـدـلـهـ هـوـ بـالـنـسـبـةـ إـلـيـهـ، وـفـيـ كـلـ الـكـوـنـ وـالـوـجـودـ، بـيـنـهـاـ، عـدـلـ الـإـنـسـانـ هـوـ فـيـهـ يـعـنـيـهـ فـيـ جـمـعـهـ أـوـ عـالـمـ. وـالـلـهـ يـبـتـلـيـ الـإـنـسـانـ فـيـ مـطـلـقـ مـشـيـتـهـ وـهـوـ يـعـلـمـ إـلـىـ مـاـ سـيـؤـلـ الـابـلـاءـ، أـيـ أـنـ يـهـدـيـ وـيـضـلـ فـيـ الـمـدـارـ الـإـلـهـيـ وـمـاـ هـوـ يـظـلـمـ فـيـ ذـلـكـ شـيـئـاـ. وـالـقـدـرـ هـوـ سـرـهـ وـحـكـمـهـ، وـيـعـلـوـ عـلـىـ كـلـ تـحـدـيـدـ بـشـرـيـ أـوـ اـنـسـانـيـ. وـيـقـوـيـ الـكـاتـبـ فـيـ مـعـارـضـتـهـ لـلـاتـجـاهـ الـاعـقـادـيـ أـوـ (ـالـكـلامـيـ)ـ الـمـتـقـدـمـ عـنـ الـجـهـمـيـةـ وـالـمـعـتـزـلـةـ، وـيـسـاعـدـهـ فـيـ ذـلـكـ وـعـيـ لـغـوـيـ وـثـيقـ وـيـغـنـيـ فـيـ جـدـالـهـ، وـيـوـجـزـ جـلـيـاـ فـيـ بـيـانـهـ، وـذـلـكـ عـلـىـ النـحوـ التـالـيـ:

«وَقَالُوا كَيْفَ يَضْلِلُ وَيَعْذِبُ، وَيَرِيدُ وَيَكْرِهُ، وَيَحْوِلُ وَيَكْلِفُ، وَهُلْ قَصْرٌ فَاعِلٌ هـذـاـ عـنـ اـفـحـشـ الـظـلـمـ، و~نـسـواـ مـاـ يـلـزـمـهـمـ فـيـ اـخـتـلـافـ الـحـكـمـيـنـ، وـأـنـ مـنـ

(١) الـقـيـاسـ: هـوـ رـدـ الشـيـءـ إـلـىـ نـظـيرـهـ. وـيـقـوـيـ الـإـمامـ أـحـمـدـ بـنـ حـنـبلـ: «إـنـ الـقـيـاسـ أـنـ يـقـاسـ الشـيـءـ عـلـىـ الشـيـءـ إـذـاـ كـانـ مـثـلـهـ فـيـ كـلـ أـحـوالـهـ فـاـمـاـ إـذـاـ اـشـبـهـهـ فـيـ حـالـ وـخـالـفـهـ فـيـ حـالـ فـارـدـتـ أـنـ تـقـيـسـ عـلـيـهـ فـهـوـ خـطاـ.

وـيـقـوـيـ أـبـنـ قـيمـ الـجـوزـيـةـ: يـجـوزـ اـسـتـعـمـالـ الـقـيـاسـ الـذـيـ يـكـونـ الشـيـءـ فـيـهـ تـامـاـ بـيـنـ الـمـقـيـسـ وـالـمـقـيـسـ عـلـيـهـ عـنـدـمـاـ تـخـفـيـ دـلـالـةـ النـصـ عـلـىـ الـعـالـمـ، فـالـنـصـ مـوـجـدـ لـكـنـ خـفـاءـ دـلـالـهـ يـتـبـعـ لـلـعـالـمـ الـقـيـاسـ فـإـذـاـ فـيـهـمـ النـصـ وـاتـفـسـحـتـ موـافـقـةـ الـقـيـاسـ لـهـ كـانـ صـحـيـحاـ، وـإـنـ ظـهـرـ خـلـافـ الـقـيـاسـ مـعـ النـصـ كـانـ فـاسـداـ.

(٢) التـخـلـيـةـ وـالـإـهـمـالـ: أـيـ تـعـودـ إـلـىـ الـإـنـسـانـ أـمـورـهـ فـيـكـونـ حـرـأـ فـيـ الـقـيـامـ بـأـعـالـهـ وـمـسـؤـلـاـ عـنـهـ.

ملك البعض ليس كمن ملك الكل ، وأن المخلق كله لله، يحيى ويحيي ، ويفقر ويغنى . . . ويبدئ بالنعم من شاء ويصطفى للرسالة من شاء، ويؤديه بالتوفيق . . . وبعاصمه من الذنوب ، وأنه لو لم يرد المعصية لما هياهم هيئة المعصية . . . ولا سلط عليهم عدوهم ثم أمرهم بالاحتراض من حرست منه السموات بالنجوم . . . ولا خلق الله آدم وحرم عليه الشجرة، وقد علم انه سيفر فيفتر. ولما اطرب لهم القول على ما أصلوا ورأوه حسن الظاهر نظروا في كتاب الله فوجدو ينقض ما قاسوا . فطلبوا له التأويلات المستكرونة والمخارج البعيدة ، وإن كانوا لم يقدروا من تلك الحيل على ما يصبح في النظر ولا في الدين كقولهم في : «يضل من يشاء» [٩٣ - النحل] ينسبهم إلى الضلال و«يهدي من يشاء» [٩٣ - النحل] ينسبهم إلى الهدایة . ولو أراد النسبة لقال يضلهم . . . وقالوا في قوله عز وجل : «ما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله» [يونس: ١٠٠] أي ما كان لنفس ان تؤمن إلا بعلم الله . وهذا من تأويلهم لا يرجح في نظر أو لغة .

- الأخذ بأصل الدلالة للفظ العربي في التأويل القرآني ، وتأيد موقف أصحاب الحديث ، والافتتاح الجدلـي . إذا كان الجهمية ومنتبعهم من المعتزلة<sup>(١)</sup> يفترضون لالفاظ بعض الآيات القرآنية دلالات أو معانٍ تتناسب مع مفاهيمهم الكلامية فإن ابن قتيبة يرد عليهم في ذلك بالتمسك بأصل دلالات تلك الألفاظ القرآنية العربية ، لا سيما في موضوع الإيمان ، وسواء خص هذا الفرد ، أم الجماعة ، فهو يعود إلى المشيّة الإلهية . وما كان لأحد أن يؤمن إلا إذا شاء الله . ويقف الكاتب في هذا المنحى العقائدي مع أصحاب الحديث على افتتاح في الجدال واتساع في الأفق الدلالي أو البنوي القرآني ، والشائع في النطق العربي السليم بقوله :

**«أما النظر فإنه لم يقل أحد من الناس أن شيئاً يحدث في الأرض إلا بعلم**

---

(١) يرى بعض الباحثين وبصورة خاصة جمال الدين القاسمي : أن ليس الجهمية وحدهم الذين يرجعون إلى الجهم بن صفوان ، بل والمـعتزلة . وأيـا كانت صحة هذا القول فإن المـعتزلة لا يشاركون الجهم في الجير .

الله... وإنما اختلفوا في الإذن الذي هو المشيئة والإطلاق فقال المثبتون<sup>(١)</sup> «لم يشأ الله أن يؤمن جميع الناس ولو شاء لآمنوا فليس لنفس أن تؤمن حتى يشاء الله ذلك ويطلقه، وقال أهل القدر<sup>(٢)</sup> قد شاء الله هذا لكل نفس وأطلقه فلها أن تؤمن إن شاءت، وفي صدر هذا الكلام دليل على ما قاله أهل الإثبات لأن النبي ﷺ كان يحب إيمان قريش فأنزل الله عليه: ﴿... ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جمِيعاً فأفانت تكره الناس حتى يكونوا مُؤمنين﴾ [٩٩ - يونس] ثم قال على أثر ذلك: «وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله» [١٠٠ - يونس] يريد بمشيئته وإطلاقه فأول الكلام دليل على آخره. والناس مجتمعون لا يختلفون على أن القائل إذا قال: «لو شئت لأتيتك أنه لم يشا إتيانه».

- الاختقام في تأويل اللفظ القرآني إلى تداوله الحي الثابت في أكثر من مجال قرآنی وتراثي عربي، ورفض ما يتعدى ذلك إلى مجرد التصور أو التقدير النظري. ودقة التحليل اللغوي.

ويشدد الكاتب في معارضته لتساويس الجهمية وسوادهم لكلمة (إذن) في الآية المتقدمة بعلم أو إعلام، ويرجع في هذه المعاشرة إلى التداول الحي لهذه الكلمة حاضراً وتراثاً، رافضاً تحميلها غير دلالتها العربية المتتبعة، ويقوى في إثباته وتحليله اللغوي بقوله:

«وَقَيْلَ وَاللَّهُ يَفْعُلُ بِعِبَادِهِ مَا هُوَ أَصْلُحُ لَهُمْ أَنْ يُجْبِرُوهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ فَيُؤْمِنُوا وَيُخْلِيَّهُمْ وَشُؤُونَهُمْ فَيَكْفُرُوا فَهَذَا النَّظَرُ.

وأما اللغة فانه لا يجوز فيها أن يجعل الإذن العلم لأن الإذن، الا ترى أن قاتلاً لو قال لك قد آذنتك بخروج الأمير إيزданاً أي أعلمتك خروجه إعلاماً، إن جوابك كان يكون له قد آذنت لقومك اذناً أي سمعته فعلمته والإذن المأذوذ

(١) المثبتون: هم الذين يقولون بآيات صفات الله تعالى.

(٢) أهل القدر: المعترلة لكونهم يقولون بالتخلية والإهمال.

من الأذن إنما هو ايقاع الخبر في الأذن، والأذن استماعه وعلمه، قال عدي بن زيد<sup>(١)</sup>:

أيها القلب تعلل بددن<sup>(٢)</sup> إن همّي في سمع وأذن  
ومنه أذان الصلاة إنما هو إسماع الناس ذكرها حتى يعلموا، قول الله عزّ  
وجلّ: «وأذان من الله ورسوله» [٣ - التوبية] أي إسماع وإعلام والإذن في  
الشيء أن تشاءه وتطلقه... .

- أصولية نقد التأويل. وسعة الأفق ومتابعة الجدل ورصانة التبيين: ويتقد  
الكاتب في أصولية دينية ولغوية تأويل المعتزلة الكلامي لبعض الآيات القرآنية  
حيث يحرفون الحقائق والصفات فينسبون إلى المخلوق ما هو خاص بالخالق  
انسجاماً مع ما يؤمنون به في مدى مذهبهم الكلامي دون مراعاة لخصائص  
الكلام العربي، لا سيما في نطاقه النحوي.

وهو يكشف في نقده اصطناع الجهمية والمعتزلة دلالات بعض  
المفردات القرآنية ليست هي لها أصلاً، ويثبت في تفنيد هذا الاصطناع المعتمد  
سعة أفقه على غير صعيد لغوي قرآنی وتراثي عربي، ويقدر على متابعة الجدل  
بمسؤولية وروح علمية ليقوى اقناعاً، ويغنى وضوحاً بيتاً بقوله:

- «قالوا في قوله عزّ وجلّ: «فمن يرد الله أن يهدى يشرح صدره للإسلام  
ومن يرد أن يضلله يجعل صدره ضيقاً حرجاً» [١٢٥ - الأنعام] فجعلوا الإرادة  
في الهدایة والإضلal للعبد لا لله وركبوا في ذلك أفحش غلط، والإرادة لا يجوز  
أن تكون للعبد وقد ولها اسم الله وهو مرفوع باجماع القراء، ولو كان أحد منهم

(١) عدي بن زيد: هو عدي بن زيد بن حماد.. كان والده متولى البريد في الحيرة من قبل كسرى  
أنوشروان، كما تولى تربية النعمان بن المندز الرابع . وقد انصل ابنه عدي بفارس وتعلم الفارسية  
وكان ترجمان كسرى أبوريز ملك الفرس وكانته بالعربية. ولما قتل عمرو بن هند أشار عدي  
على ملك الفرس بتولية النعمان بن المندز ففعل. ثم ان النعمان سمع لأقوال الوشاة في عدي  
فسجهه وأرسل إليه كسرى يأمره بإطلاقه فلم يفعل بل أمر بقتله وكان ذلك سنة ٦٠٤ م. وعدي  
شاعر جاهلي غالب على شعره طابع الحكمة والزهد.

(٢) ددن: لهو ولعب.

نصب الله لكان أقرب إلى المعنى الذي أراده، وإن كان لا يجوز أيضاً لأنه يضم في الكلام (من) فيكون معناه من يريد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ثم يحذف (من) وينصب الله لما نزع حرف الصلة، كما يقال: من يسرق القوم مالهم يقطع، أي يسرق من القوم مالهم.

وقالوا في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسَ﴾ [١٧٩ - الأعراف] دفعنا وألقينا... .

وهذا جهل باللغة وتصحيف: واحسهم سمعوا قول العرب: «أذرته الدابة عن ظهرها» أي ألقته فتوهموا ان (ذرانا) من ذلك، ولو أريد ذلك المعنى لكان (لقد أذربنا بجهنم). وليس يجوز ان تكون (ذرانا) في هذا الموضع إلا خلقنا. كما قال: ﴿ذَرْأُكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [٧٩ - المؤمنون] وقالوا في قوله : ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فَتَنَّتُكُمْ تَضَلُّ بِهَا مِنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مِنْ تَشَاءُ﴾ [١٥٥ - الأعراف] أراد إن هو إلآ اختيارك تضلّ به من تشاء.. يعني الفاسقين وتهدي من تشاء يعني المؤمنين.. وكيف يصل الضال، وبهدي المهتدى».

- حزم القاضي، وأحكام الرد، وعمق دراية النص القرآني. وتعادل الشكل والمضمون.

وإذا ما استعان الجهمية والمعتزلة لدعم تأويلهم الآية المتقدمة: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فَتَنَّتُكُمْ تَضَلُّ بِهَا مِنْ تَشَاءُ . . .﴾ بآلية القائلة: ﴿وَمَا يَضُلُّ بِهِ إِلَّا فَاسِقُونَ﴾ [٢٦ - البقرة] فإن ابن قتيبة القاضي والفقير لا يدعهم ينفذون بهذا الجمع أو الدعم غير السليم بل يجد في تفنيده وإسقاطه بتبسيطه الجلي والمتكامل لما تعنيه فعلًا الآية الأخيرة (وما نضل به . . .) وذلك هو أن قوماً من اليهود اعترضوا المرة تلو المرة على أمثلة يضر بها الله . . . حتى فصدتهم عز وجل بقوله: ﴿. . . وَمَا يَضُلُّ بِهِ إِلَّا فَاسِقُونَ﴾ ثم هو يتبع ذلك للتاكيد والإيضاح بخاصية أو قاعدة بيانية قرآنية وتلك هي أن النص القرآني قد يرد بشكل عام ولكنه يعني ضمناً معنى خاصاً كقوله تعالى على لسان موسى (ع) ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ثم قوله على لسان محمد (ص) ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ والمؤمنون

المعنيون هم معاصر وموسى وال المسلمين المعنيون هم معاصر و محمد . وقد قال بذلك قبل ابن قتيبة كل من الفراء<sup>(١)</sup> في كتابه معاني القرآن ، وأبي عبيدة<sup>(٢)</sup> في كتابه مجاز القرآن . ويبين الكاتب ذلك على النحو التالي :

«أَمَا قُولُهُ عَزَّ وَجَلَّ : 『وَمَا يُضْلِلُ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقُونَ』 فَإِنَّهُ نَزَّلَ فِي قَوْمٍ مِّنَ الْيَهُودِ سَمِعُوا قُولَهُ عَزَّ وَجَلَّ : 『مَثِيلُ الدِّينِ اتَّخَذُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أُولَئِكَ كَمِثْلِ الْعَنْكَبُوتِ...』 [٤١ - الْعَنْكَبُوتُ] وَقُولُهُ : 『إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذَبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ، وَإِنْ يُسْلِبُوهُمُ الذَّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَقْدُوهُ مِنْهُ』 [٧٣ - الْحِجَّةُ] فَقَالُوا مَا هَذِهِ الْأُمَّالُ الَّتِي لَا تَلِيقُ بِاللَّهِ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : 『إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحِي أَنْ يُضْرِبَ مِثْلًا مَا بِعُوْضَةٍ فِي فُوقَهَا』 [٢٦ - الْبَقْرَةُ] مِنَ الذَّبَابِ وَالْعَنْكَبُوتِ فَقَالُوا : مَا أَرَادَ بِمِثْلِ يَنْكِرُهُ النَّاسُ فَيُضْلِلُ بِهِ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : 『فَإِنَّمَا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ... وَمَا يُضْلِلُ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقُونَ』 [٢٦ - الْبَقْرَةُ] يَعْنِي الْيَهُودَ خَاصَّةً .

«وَقَدْ يَأْتِي الْحَرْفُ وَظَاهِرُهُ الْعُمُومُ وَمَعْنَاهُ الْخُصُوصُ كَمَقْولُ مُوسَى (ع)

(١) الفراء : هو أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي . والدليل إقليل في بلاد فارس (ياقوت - معجم البلدان) وبهذا يعتبر الفراء فارسي الأصل وقد انتهى بالولاية لبني منقر من تميم أو لاسلم من أسد . وقد ولد في الكوفة سنة أربع وأربعين ومائة للهجرة . وتلهمد على شيوخها وكان الكسائي عملته في دراسته . كما أخذ الفراء عن فصحاء العرب كأبي الجراح وأبي زيد الكلبي . ويعتبر الفراء من علماء الكوفة في التحرر واللغة وكتابه معاني القرآن يكفي لعنة من المفسرين وتوفي سنة ٢٠٧ هـ .

(٢) أبو عبيدة : وهو معمري المشتى ولد سنة ١١٢ هـ ويتنمي بالولاية لشیم قريش ، وتذكر المراجع أن أبي عبيدة من أصل يهودي وأن أبوه كان يهودياً ويؤكد المؤرخون بتفقون على أنه كان من الخارج . ولم يكن أبو عبيدة صريحاً فيما يعتقد أو لم يكن يرغب بأن يعرف حقيقة اتجاهه الديني وكان متھماً بالشعوبية . وقد كان عالماً لغويًّا ومسنداً ومحدثاً عارفاً ب أيام العرب وأعيادهم في الجاهلية والإسلام . وقال فيه الجاحظ : «لَمْ يَكُنْ فِي الْأَرْضِ خَارِجِيًّا أَعْلَمَ بِجَمِيعِ الْعِلْمِ مِنْهُ» وأشهر كتبه (مجاز القرآن) وتوفي سنة ٢١٠ هـ .

(٣) فَمَا فُوقَهَا أَيْ أَكْبَرُ مِنْهَا .

**﴿وَأَنَا أَوْلُ الْمُؤْمِنِين﴾** [١٤٣ - الأعراف] وقول النبي محمد (ص) **﴿وَأَنَا أَوْلُ الْمُسْلِمِين﴾** [١٦٣ - الأنعام] لم يرد كل المؤمنين وكل المسلمين في جميع الأزمنة بل مؤمني زمن موسى ومسلمي زمن نبينا عليهما السلام...».

- قوة الدافع الإيماني، وإقدامية الذب عن النص القرآني. وغنى الإبانة.

يصفو الإيمان ويعمق عند الكاتب ويساعده ذلك على اكتشاف المنهجية المفترضة لدى الجهمية ومن لف لفهم في تأويل النصوص، فهم يحولون دلالاتها من حال إلى حال لتدعم مبادئهم بدلاً من أن تخضع هذه الأخيرة لتلك الدلالات في حالاتها الأصلية المعنية. وهو يقوى في الذب عن النص القرآني في دفعه لما تقرفه الجهمية واتباعها من تزوير فاضح في رسم بعض المفردات القرآنية والنطق بها، وتغنى ابانته بالأدلة الدامغة والمؤثرة في قوله: «وشيء لم تزل تسمعه منهم على قديم الأيام قد ارتفضوا لأنفسهم ودونسوه في كتبهم وأجمع عليه عالمهم وجاهلهم وكهالهم وحدثهم في تأويل قول الله عز وجل: **﴿إِنَّمَا يَنْهَا مَنْ أَنْتَنَاهُ عَنِ الْحَقِيقَةِ إِنَّمَا يَنْهَا مَنْ أَنْتَنَاهُ عَنِ الْحَقِيقَةِ﴾** [٢٣ - الجاثية] وقوله: **﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مَقْمُحُونٌ وَجَعَلْنَا مِنْ أَيْدِيهِمْ سَدًا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يَبْصِرُونَ﴾** [٨ - ٩ - يس]. وأشباه هذا إنه حكم عليهم. فإذا نحن تدبّرنا هذا التأويل قابلين به التنزيل لم نجد هذا المتأول حمل كتاب الله على مثل هذه التأويلات إلا لإقامة مذهبة. وحاول بعضهم إيداع حروفه بغيرها فقرأ: **﴿عَذَابِي أَصِيبُ بِهِ مِنْ أَشَاء﴾** [١٥٦ - الأعراف] بالسين غير المعجمة والنصب وقرأ جميع ما في القرآن من المخلصين بكسر اللام وإن كان قرأ بذلك بعض القراء يريد أن يجعل الإخلاص لهم وألا يكون لله فيه صنع... وقرأ: **﴿وَلَا يَحْسِنُ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّا نَعْلَمْ لَهُمْ﴾** خير لأنفسهم إنما نعلمه لهم ليزيدوا إنما [١٧٨ - آل عمران] بكسر

(١) إنما نعلمه لهم: أي إملاقنا (لهم) بتطويل الأعمار.

إنما الأولى وفتح الثانية يريد لا يحسّن الذين كفروا إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً  
إنما نملي لهم خيراً لأنفسهم فحرف المعنى عن جهته ونقله عن سنته<sup>(١)</sup>.

- الالتزام بجاذبية منطوق النص، والأخذ بواقع الحياة حتى الإغراء،  
وخصوصية الموقف. والسمة التعليمية. وإذا ما رأى الكاتب اشتداد الخلاف  
بين القدرة المعتزلة من جهة والمتشددين في المعارضة لهم في موضوع  
القضاء والقدر فإنه لا يندفع ليأخذ مكانه إلى جانب أي من هذين الفريقين، وما  
هو يذهب إلى المزيد من حرية الإنسان ومسؤوليته كما عند المعتزلة أو إلى  
تضليل هذه الحرية وشل فعاليتها كما هي الحال عند الجبرية على اختلاف  
جهاتهم أو مصادرهم، بل يعود إلى مقولته المعروفة وهي أن القدر سرّ الله وما  
كان حكم الله تعالى كحكم البشر أو مشيّته عَزَّ وجلَّ كمشيّتهم. ومن هنا كان تخاصم  
الملائكة، وكذلك آدم وموسى، ثم تسليمهم جميعهم بقضاء الله وقدره.  
ويحاول الأخذ في هذا السياق بما هو حاصل ومثال في واقع الحياة. وما ينجو  
في ذلك من الإغراء أو المغالاة لا سيما وهو يتسع في رؤيته الواقعية الخاصة،  
أو غير المجردة من الذاتية عندما يرى قادراً وهو عاجز وعاجزاً وهو ممزوج،  
وعاقلاً لا يستشار، وساقطاً لا يعطل، ويرى الاختلاف الكبير والمقدار بين أماكن  
نشأة الناس وما يجر ذلك عليهم من النقص والتخلّف المحتوم وعلى غير صعيد  
حتى ليكاد ذلك أن يتفرد في صنع مصائرهم. ثم يحسن الكاتب موقفه ويحمله  
حيث يؤكّد على عدل الله الذي لا يجور ولا يكون في ملكوته في السموات  
والأرض إلّا ما أراده. وتتجلى خصوصيته أو وسطيّته الخاصة في موضوع القضاء  
والقدر باعتقاده أن الناس يستطيعون ويعملون ويجزون بما يكسبون، ثم إن الله  
تعالى يلطف بمن شاء فيهديه، ويمنع لطفه عنمن حفت عليه كلمته. وتظهر السمة  
التعليمية في ما يقدمه الكاتب من مقارنة وتدليل وإصرار على التأكيد والإقناع

---

(١) سنته: مفهومه المعروف.

وذلك كما يلي : «ولما رأى القوم من أهل الإثبات إفراط هؤلاء<sup>(١)</sup> في القدر، وكثري بينهم التنازع حملهم البغض لهم واللجاج على أن قابلوا غلوتهم بغلة، وعارضوا إفراطهم بإفراط فقالوا بمذهب جهنم في الجبر المحسن، وجعلوا العبد المنهى المكلف - لا يستطيع من الخير والشر شيئاً على الحقيقة وذهبوا إلى أن كل فعل ينسب إليه على المجاز كما يقال في الموات<sup>(٢)</sup> : مال الحائط، وإنما يراد أميل . . . وكلما الفريقين غالط : ولو كان الأمر على ما قالوا، لم يكن القدر سرآ ففيه اختصم الملائكة، وفيه احتاج آدم وموسى . وإنما صار سرآ لأنك ترى قادراً وهو عاجز - وترى حازماً محروماً وعاجزاً مرزوقاً وعاقلاً لا يستشار في الأمور وساقط لا يعقل .

وترى أعداء الله يدالون<sup>(٣)</sup> أولياءه حتى يقتلوهم شر قتلة، وترى الناس اصنافاً في الفضل فمنهم قوم ابتدأهم الله بالنعم وأسكنهم ريف الأرض وأكرمههم وأخدمهم . . . ورزقهم من الطيبات . . . ووفر عليهم العقول والأفهام وبعث فيهم بالقرب منهم الرسل . . . ومنهم قوم انزلهم الله أطراف الأرض وجذوبية البلاد . . . وستقاهم الملحق الأجاج<sup>(٤)</sup>، وسلبهم العقول . . . وباعدتهم عن مبعث الرسل . فهل لهؤلاء أن يحتاجوا على الله لما منح غيرهم . . . لا لعمر الله ما لأحد عليه حجة بل له الحجارة البالغة . . .

«وعدل القول في القدر أن نعلم أن الله عدل لا يجوز . . . وأنه لا يخرج من قدرته شيء ولا يكون في ملكوتة من السموات والأرض إلا ما أراد . . . فإن أعطى ففضل وإن منع فبعدل، وأن العباد يستطيعون ويعملون، ويجزون بما يكسبون وإن الله لطيفة يبتدىء بها من أراد . . . يوقعها في القلوب فيعود بها إلى طاعته، ويعندها من حقق عليه كلمته».

(١) هؤلاء: أي المعتزلة.

(٢) الأرض التي لم تزرع ولم تعمر ولا جرى عليها ملك أحد.

(٣) يدالون: أداء: تغلب.

(٤) الأجاج: هرما يلذع القم بماراته أو ملوحته.

- السلفية في إثبات الصفات الإلهية، واغناؤها، والمسحة الكلامية والمنطقية المناسبة.

يتصر ابن قتيبة لدعوه لإثبات الصفات الإلهية متبوعاً في ذلك السلف، وهو يرفض نفي هذه الصفات تحت آية ذريعة كالقول بأن الله حليم ولكن ليس بحلم وعليم وليس بعلم وسوى ذلك... . ويعد في تأييد تلك الدعوه حسب منهجه إلى مصطلح لغوي وعرفي ، وهو إجماع الناس على أن يقولوا : (أسألك عفوك) و (يعفو بحلم ، ويعاقب بقدرة) ويرى بوعي خاص ما دام الله تعالى يحلم ويعفوحقيقة لا مجازاً فقد وجب في المصدر ما وجب في الصدر ولأننا نقول: غفر الله مغفرة وعفا عفواً، وحلم حلماً ومن المحال أن يكون واحداً منها حقيقة والآخر مجازاً ثم هو يعطي من جنة إذ يرفض قول القدرة بالمعنى الواحد في قوله تعالى : «سميع بصير» ويدعم رفضه بأكثر من مثل قوله تعالى على لسان اليهود: «إن الله فقير ونحن أغنياء» [آل عمران] فإن سمع الله فيها سابق لعلمه . وقوله: «قد سمع الله رسول التي تجادلك في زوجها» [المجادلة] فسمع الله هنا سابق لعلمه . وهو يثبت في هذا التوجه كلامية خاصة ، ومنطقية مناسبة وهي متمثلة في الدعم والتحليل . ويتجلّ ذلك في قوله :

«وتعمق آخرون في النظر وزعموا أنهم يريدون تصحيح التوحيد ببني التشبيه عن الخالق فأبطلوا الصفات مثل الحلم والقدرة وأشبه ذلك ، فقالوا: (نقول هو الحليم ولا نقول بحلم وهو القادر ولا نقول بقدرة ، وهو العالم ولا نقول بعلم كأنهم لم يسمعوا إجماع الناس على أن يقولوا : (أسألك عفوك) وأن يقولوا (يعفو بحلم ويعاقب بقدرة) والقدير هو ذو القدرة» والعليم هو ذو العلم».

«فإن زعموا أن هذا مجاز قيل لهم : ما تقولون في قول القائل: (غفر الله لك ، وعفا عنك) أمجاز هو أم حقيقة فإن قالوا هو مجاز فالله لا يغفر لأحد ولا يعفو عن أحد... وإن يركبوا هذه... وإن قالوا حقيقة فقد وجب في المصدر ما وجب في الصدر، لأننا نقول غفر الله مغفرة... فمن المحال أن يكون واحد حقيقة

والآخر مجازاً . وقال الله : ﴿إِنَّ كَيْسِيْ مُتِين﴾ [الأعراف] وأجمع الناس على أن الحول والقوة لله والحول الحيلة . وقالوا في (سميع وبصير) هما سواء ، ليس في سميع من المعنى إلا ما في بصير . . وقد سمع الله قول اليهود ﴿أَنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء﴾ [آل عمران] . . . فهل يجوز لأخر أن يقول : إن الله سمعه قبل أن يقولوه . . .

«وكذلك قول المجادلة في زوجها قد سمع الله جداها . . . فهل لأحد أن يقول : إن الله قد سمعه قبل أن يكون ؟ وإذا لم يجز ذلك فقد علم أن في (سميع معنى غير معنى (عليم))» .

- تجذير وتأصيل سلفية رفض دعوة خلق القرآن ، وتنوع تفنيد هذه الدعوة على الصعيد اللغوي .

لا يفارق الكاتب السلف في الرفض لقول الجهمية ومنتبعهم من المعتزلة بخلق القرآن . وهو يجدر هذا الرفض ويؤصله ، ويساعده في ذلك تضلعه المعروف في علوم القرآن ، والعربية ، وهو يتميز في تنوع رده أو تفنيده وتوسيعه وذلك في ما يلي :

- التأكيد على إثبات صفة الكلام لله تعالى في قوله : ﴿وَكَلَمُ اللَّهِ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء] وذلك انسجاماً مع قواعد اللغة العربية ، وانتفاء لكل ما يعارضه .

- ابطال تأويل الجهمية لفعل جعل بخلق في قوله تعالى : ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قَرآنًا عَرِيَّاً﴾ [الزخرف] لكون هذا التأويل يتعارض مع الوضع النحوي الثابت للفعل المذكور .

- عدم الأخذ بتأويل الجهمية ومنتبعهم لكلمة محدث بمخلوق في قوله تعالى : ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مَحْدُث﴾ [الأنبياء] لتعارض ذلك مع مفهوم اللفظ المعنى في الآية المذكورة .

ويطبع أداءه في هذا التناظر الجدلية دقة وسداد فما هو يتزيد في لفظ أو يذهب في إنشاء بقوله:

وقالوا في كلام الله انه خلوق لأن الله تعالى قال: «إنا جعلناه قرآنًا عربياً» [٣ - الزخرف] والجعل بمعنى الخلق ولأنه قال: «ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث» [٢ - الأنبياء]، وكل محدث مخلوق، وإن معنى كلّم الله أوجد كلاماً و«كلّم الله موسى تكليماً» [١٦٤ - النساء]، أوجد كلاماً فخرجوا بهذا التأويل عن اللغة وعن المعقول لأن معنى تكلّم الله أتى بالكلام من عنده، ولو كان المراد أوجد كلاماً لم يجز أن يقال: (تكلّم) وكان الواجب أن يقال (أكلّم) كما يقال (أقيح الرجل) أتى بالقباحة، وأن يقال (أكلّم الله موسى كلاماً) كما يقال: (أقبر الله الميت) والعرب تسمّي الكلام لساناً لأنّه من اللسان يكون..

اما استشهادهم بالجعل على خلق القرآن في قوله تعالى: «إنا جعلناه قرآنًا عربياً» [٣ - الزخرف] فإنّ الجعل يكون بمعنىين أحدهما خلق، والأخر غير خلق، فأما الموضع الذي يكون فيه خلق فإذا رأيته متعدّياً إلى مفعول واحد لا يجاوزه كقول الله تعالى: «خلق السموات والأرض» [١ - الأنعام] وأما الموضع الذي يكون فيه غير الخلق فإذا رأيته متعدّياً إلى مفعولين كقوله: «وقد جعلتم الله عليكم وكفيلآ» [٩١ - النحل] وكذلك المحدث ليس هو في موضع بمعنى مخلوق فإنّ أنكروا ذلك فليقولوا في قول الله: «لعلّ الله يحدث بعد ذلك أمراً» [١ - الطلاق] إنه يخلق... والمعنى يجتذب عندهم ما لم يكن... .

- الالتزام بخط أصحاب الحديث في التأويل مع الافتتاح على التراث والمعقول وتحاشي التشبيه، وجودة الإيصال.

يتنظم الكتاب في خط كبار رجال الحديث ومن واكبهم من أئمة المذاهب الإسلامية في تأويله لجملة من المفردات القرآنية ودون انغلاق، بل مع افتتاح على أكثر من مرجع ديني وتراثي، وذلك كما يلي:

اليد: فهو يرفض تأويل الجهمية والمعتزلة لها بالنعمة في الآية **﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَة﴾** [٦٤ - المائدة]. ويبين أن لها أكثر من معنى في القرآن كما في أقوال الناس، ويتدبرها على ضوء المعقول فيستحصل عنده أن تكون النعمة في الآية المذكورة لأن النعمة لا تغلل. وتتأكد صحة ما يراه بما انتهت إليه الآية نفسها وهو: **﴿وَغَلَّتِ أَيْدِيهِمْ﴾** ...

ويدعم هذا الإثبات بالحديث تارة مثل: (كلتا يديه يمين) و (يد الله سحاء لا يغيبها شيء الليل والنهر) وبالتراث تارة كقول المرار<sup>(١)</sup>

وان على الأوانة<sup>(٢)</sup> من عقيل فتى كلتا اليدين له يمين الروح: هو يعارض تأويل الجهمية للروح بالأمر في الآية الثالثة: **﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾** ويرى لها عدة معان في القرآن مثل الكلام في قوله تعالى: **﴿يُلْقِي الرُّوحُ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِه﴾** [١٥ - غافر]، والرحمة في قوله تعالى: **﴿وَأَيَّدْهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾** [٢٢ - المجادلة]، ويرى أن النفح من الروح لا يعني الا معنى واحداً كما في قول ذي الرمة (ت ١١٧ هـ).

وقلت له ارفعها اليك وأحيها بروحك

وهو يخلص إلى أتباعه السلف على افتتاح وإغناه في النهج غيري أن اليد في الآية: إن **﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَة﴾** هي اليد وإن اليدين في الآية: **﴿بِلْ يَدَاهُ مَبْسُوتَاتٍ﴾** هما اليدان وكذلك الحال في قول النبي (ص): «بل كلتا يديه يمين» وإن النفح من الروح في الآية **﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾** هما النفح والروح. ويتنهى في صفات الله إلى حيث انتهى الله ورسوله وأمن السلف.

ولا يصرف اللفظ العربي عما تعرف به العرب ويلتفي مع الإمام مالك في ذلك بعدم القول بالكيف. وهو لا يضعف في إبراز حجّة، أو بسط موقف، وجودة

(١) المرار: هو المرار بن منذر بن عمرو الحنظلي العلوى من بني العدوى وهو شاعر إسلامي مشهور، ومعاصر لجرير، وقد هاج المجلاء بيتها.

(٢) الأوانة: أونت عظمت. والمقصود بالأوانة هنا رفعة المكانة أو الإمارة.

ل يصل: «و فعلوا في كتاب الله أكثر مما فعل الأولون في تحريف التأويل عن جهته فقالوا في قوله تعالى: ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة...﴾ [٦٤ - المائدة] ان اليد هنا النعمة وما نكر أن اليد قد تنصرف على ثلاثة وجوه من التأويل أحدها النعمة والآخر القوة: ﴿أولي الابدي والأبصار﴾ [٤٥ - ص] يريد أولي القوة في دين الله والبصائر. ولكنه لا يجوز أن يكون أراد في هذا الموضع النعمة لأنه قال: ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة﴾ [٦٤ - المائدة] والنعيم لا تغلق. وقال: ﴿غلت أيديهم﴾ [٦٤ - المائدة] ولا يجوز أن يكون أراد غلت نعمتهم ثم قال: ﴿بل يداه مسوطتان﴾ [٦٤ - المائدة] وكان مما احتجوا به للنعمه قوله: (غلت أيديهم) ولو أراد اليد يعنيها لم يكن في الأرض يهودي غير مغلول اليد... الم يسمعوا بقوله تعالى: ﴿قتل الإنسان ما أكفره﴾ [١٧ - عبس] فهل قتل الله الناس جميعا... .

كذلك قال ابن عباس في هذه الآية: اليدان اليدان. وقال النبي ﷺ: «كلتا يديه يمين» هل يجوز لأحد أن يجعل اليدين هناء نعمة أو نعمتين، ولكننا لا نقول كيف اليدان... . وتأويل الآية، ان اليهود قالت «ان يد الله مغلولة...» أي ممسكة عن العطاء. فقال الله تعالى: ﴿غلت أيديهم﴾ أي قبضت عن العطاء... . وأما قول النبي ﷺ: «كلتا يديه يمين» فإنه أراد معنى التمام والكمال... . وقال الرسول ﷺ: «يد الله سحاء ولا يغيبها شيء الليل والنهار» أي تصب في العطاء... .

وقالوا في قوله تعالى: ﴿و نفخت فيه من روحه﴾ [٢٩ - الحجر] إن الروح الأمر... . والروح كلام الله في بعض المواضع نحو قوله: ﴿يلقي الروح﴾... [١٥ / غافر]، والروح أيضاً روح الأجسام... . والروح الرحمة، قال الله تعالى: ﴿وأيدهم بروح منه﴾ [٢٢ - المجادلة] أي برحمه والروح النفخ... . وأي شيء جعلت الروح من هذه التأويلات فإن (نفخت) لا تحمل إلا معنى واحداً - قال ذو الرمة وذكر ناراً قدحها.

بروحك... .

وقلت له ارفعها اليك وأحيها

يقول أخي النار بتفشك، فنحن نؤمن بالفع و بالروح ولا نقول كيف ذلك لأن الواجب علينا أن ننتهي في صفات الله إلى حيث انتهى في صفتة أو حيث انتهى رسوله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ولا نزيل اللفظ عما تعرفه العرب وتضعه عليه، ونمسك عما سوى ذلك .

- تأصيل إثبات حقيقة الرؤية الإلهية وبراعة جدليتها. وإذا كان الكاتب يؤمن مسبقاً بحقيقة الرؤية الإلهية فهو لا يسادر إلى فرضها على الآخرين أو التشهير بمن لا يقر بها، كشأن بعض من سبقه، ولكنه ينطلق في دائرتها بمنهج مزدوج إيجابي وسلبي وصولاً إلى التأكيد الإيجابي وثبت ذلك في موقفه من الآية: «وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة» [٢٢ - ٢٣ - القيامة] فهو يرى في (نظرة إلى ربها) المذكورة إثباتاً لحقيقة الرؤية الإلهية. وينفي نفي المعتزلة لها لكون ناظرة تعني عندهم متظاهرة، وذلك لا يصح والأوجب التغيير في صيغة الآية فتصبح (... لربها ناظرة) ثم هو يثبت حقيقة «لن تراني» وينفي نفي المعتزلة لها، مبيناً أنها في الدنيا وما هي تكون في الآخرة ويخلس في جدليته مع الرؤية إلى إيجابية تأكيدها وذلك بالاستناد إلى آية تفسيط إثباتها: «للذين أحسنوا الحسنة وزيادة» وحديث نبوي «إنكم ترون ربكم يوم القيمة كالقمر في ليلة البدار» وينتكامل تعاطيه المنهجي مع مبدأ الرؤية الإلهية ويربع في تأكيد إثباتها على غير صعيد تأويلي قرآنوي وتحليل لغوي . وذلك في كلامه التالي :

وقالوا في قوله: «وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة» [٢٢ - ٢٣ - القيامة] أي متظاهرة ، والعرب تقول نظرتك وانتظرتك بمعنى واحد وفي قوله تعالى: «انظروا نفسي من نوركم» [١٣ - الحديد]. أي انتظرونا . وما ننكر ان نظرت قد تكون بمعنى انتظرت وان الناظر بمعنى المتضرر غير انه يقال انا لك ناظر اي انا لك منتظر ولا يقال انا إليك ناظر اي اليك منتظر، ان يريد نظر العين والله يقول: «وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة» ولم يقل لربها ناظرة لتحمل ما تأولوا . . ويقول موسى عليه السلام «رببي أرجي انظر إليك قال لن تراني» [١٤٣ - الأعراف] وارد (لن تراني) في الدنيا .

وجاء عن رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): «ترؤن الله يوم القيمة» ولو كان الله لا يرى

على حال من الأحوال ولا يجوز عليه النظر لكان موسى قد خفي عليه من صفة الله ما علمناه<sup>(١)</sup>. ومن قال أن الله يدرك بالبصر يوم القيمة فقد حذه عندهم ومن كان الله عنده محدوداً فقد شبّهه بالمخلوق... فما يقول في موسى وفيما بين أنه نبأ الله عز وجل وكلمه من الشجرة إلى الوقت الذي قال له فيه: (أرني انظر إليك) أنقضي عليه بأنه كان مشبهًا... ما يجوز أن يجعل موسى من الله مثل هذا ولكن موسى علم أن الله يرى يوم القيمة فسأل الله أن يجعل له في الدنيا ما أحلى لأنبيائه... يوم القيمة فقال (ولن تراني) يعني في الدنيا.

- المنطلق السلفي، والتأصيل البشري الدلالي والكلامي، والتأسيس المنهجي.

إذا ما تجذر الكاتب في السلفية، وهو يعارض الجهمية والمعتزلة، في تأويل مفردات ورموز قرآنية فإنه ليدعم منطلقه السلفي بتعملقه القرآني والفقهي واللغوي في كشف الدلالات الأصلية لتلك المفردات والرموز المعنية في مقابل عقلانية المعتزلة، وتأسيسهم الكلامي والمبدئي. ويثبت هذا التوجه على النحو التالي...

- «تعلم ما في نفسك ولا أعلم ما في نفسك» [١١٦ - المائدة]. يتحاشى الكاتب من موقعه السلفي ادعاء معرفة ما في نفس الله في الآية المذكورة، ولكن دون التمنّع عن ملامسة ما قد تعنيه هذه الآية، ويقف حيال تأويل المعتزلة لها لا سيمما (ما في نفسي) بعند، وما هو يرفض هذا التأويل ولكنه يستغرب به لكونه يصدر عنمن يقولون إن الله في كل مكان بغير مساسة<sup>(٢)</sup>.

ويرى أن (عند) تدل على (قرب) وهو يأخذ بها سلفاً.

ويدعم هذا التدليل تراثياً وقرآنياً، فيقدم أكثر من دليل شعرى وأية قرآنية. ويوضح ويحلل كل ذلك في المجال اللغوي العربي الواحد:

- العرش، الكرسي، عجل، خليل، فغوى..

(١) الضمير هنا راجع إلى الجهمية والمعتزلة. (٢) ويلتقي المعتزلة هنا مع الإثنى عشرية.

يعارض الكاتب في سلفيته تأويلي المعتزلة للمفردات القرآنية: العرش، الكرسي، عجل، خليل، فغوى... .

انسجاماً مع مفاهيمهم الكلامية، بما يعارضها في دلالاتها العربية المعروفة في الدين كما في التراث، وإذا ما حاولوا الاستناد في تأويلها وبصورة غير جادة إلى معطيات في التراث العربي فإنه يرفض ومن موقعه التأصيلي التراثي والبياني سطحية هذا الاستناد التراثي وغير المعروف أو الثابت. وهو لا يضعف في مجابهه كلاميتهم في هذا السياق بكلامية معقوله ومتناوبة، ويبيّن ما لتلك المفردات المعنية من الدلالات المعنوية والتراشية ودون وقوع في أي حال من أحوال الكيف وهو ثبت في تأسيسه المنهجي وذلك على النحو التالي :

«وقالوا في قوله: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [١٦ - المائدة] أي تعلم ما عندي ولا أعلم ما عندك كما قال: ﴿وَعَنْهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ [٥٩ - الأنعام] وكما يقول القائل: عندي علم ذاك، وهذا كما ذهبوا إليه في احتمال التأويل على بعد، والله أعلم بما أراده ولكن (عند) تدل على قرب، وهم يزعمون أن الله تعالى لا يكون إلى شيء أقرب منه إلى شيء آخر. وأنه على العرش استوى في الحقيقة مثله في الأرض. العجب لقوم لا يؤمنون إلا بما يصح في المعقول ثم هم خرجوا من كل معقول بقولهم: إن الله في كل مكان بغير مساسة ولا مبادنة... وقد قال أمية بن أبي الصلت: يذكر قرب موسى (ع) من الله حين كلمه.

وهو أقرب الأنسام إلى الله كقرب المداد لسلمنوال يقول وهو كقرب مداد الثوب من الخشبة التي ينسج الثوب عليها والله تعالى يقول: ﴿وَقَرَبَنَاهُ نَجِيَا﴾ [٥٢ - مريم] النجي في معنى المناجي وهو من كلمك من قرب كما يقال جلس مجالس... وكذلك كلم الله بمعنى مكالم وخليل الله بمعنى مخال الله قال الله عزوجل: ﴿خَلَصُوا نَجِيَا﴾<sup>(١)</sup>.

(١) خلصوا نجيَا: خلصوا: اعتزلوا. نجيَا: ينادي بعضهم ببعض.

وطلبوا للعرش معنى غير السرير<sup>(١)</sup>، والعلماء بالله لا يعرفون للعرش معنى إلا السرير وما عرش من السقوف وأشباهها؛ قال أمية بن أبي الصلت: مجدوا الله وهو للمجد أهل رينا في السماء أمسى كبيرا بالبناء الأعلى الذي سبق النّاس وسوى فوق السماء سريرا وطلبوا للكرسي غير ما نعلم وجاؤوا بشطريت لا يعرف ما هو، ولا يدرى من قائله: «ولا يكرسي علم الله مخلوق». والكرسي غير مهموز بإجماع الناس جميعاً ويكرسي مهموز وقالوا في قوله عز وجل: «خلق الإنسان من عجل» [٣٧ - الأنبياء] أي من طين وجاؤوا بيت لا يعرف ولا يدرى من قائله:

ولما اشتبه عليهم قوله: «خلق الإنسان من عجل» تخلعوا<sup>(٢)</sup> له هذه الحيلة وهذه من المقدم والمؤخر أراد خلق العجل من الإنسان: وزرھوا الله فيما زعموا أن يكون خليلاً لمخلوق فقالوا في قوله تعالى: «واتخذ الله إبراهيم خليلاً» [١٢٥ - النساء] اتخذه فقيراً إليه وجعلوه من الخلة بنصب الخاء واحتجوا بقول زهير (ت - ٦١٥ م):

وأن أتاهم خليل يوم مسألة.

(أي فقير). أما سمعوا وبحهم بإجماع الناس على أن الخلة بضم الخاء لابراهيم. فإن كان معنى خليل الفقير إلى الله فائي فضيلة لابراهيم في هذا القول ان كان الناس جميعاً فقراء إلى الله . وما اشتبه هذا بقولهم في: «وعصى آدم رباه فغوى» [١٢١ - طه] أي بضم من أكل الشجر... ، وهذا غوى يغوي وذلك غوى يغوى بكسر الواو غالباً.

- تغلب أصالة دلالات الألفاظ العربية، ووثاقة النقل في التأويل، على الرأي ومجرد النظر. والتجدد في الجدال ومرونة الأداء.

ويتابع الكاتب اعتماد خطه السلفي في التأويل على افتتاح وإغفاء. ويتمسك فيه بأصالة دلالة اللفظ العربي، والنقل الأمين والثابت، وما يتضمن

(١) ويلتقي المعتزلة هنا مع الآلني عشرية.

(٢) تخلعوا: التمسوا.

ذلك من وقائع ثابتة ومؤكدة، وهو يغلب هذه المبادئ في تأويل القرآن والحديث على ما عند المعتزلة من مجرد الرأي والنظر ويرز ذلك على النحو التالي :

- (الرحمن على العرش استوى) [٥ - طه]. يرفض الكاتب تأويل الجهمية والمعتزلة كلمة استوى في الآية المذكورة بـ(استولى) ويرى في هذا التأويل مجرد القول بالرأي، والدليل الأصح عنده هو (استقر) ومرجعه تردد الكلمة المعنية في أكثر من آية قرآنية، وفي مأثور التخاطب العربي كان يقول الرجل لصاحبه إذا رأه مستوفزاً: استو. وهو ما يعني بوجه آخر إجماع الناس.

- (قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن). يعارض الكاتب تأويل الجهمية والمعتزلة للفظ [إصبعين] في الحديث المذكور بنعمتين ورغم استنادهم في ذلك إلى أكثر من شاهد شعري. والثابت عنده هو عدم إزالة هذا اللفظ مما يعرفه العرب ودون قول بكيف... وهو يرجع في رفضه للتأويل المعنى أي إلى واقعة سبب نشأة الحديث المذكور أو النطق به أي إلى صحة نقله. بما تضمنه من معطيات لا ترد.

- نسبة الضحك إلى الله. إذا ما كانت القدرة تمنع في نفي الصفات الإلهية فإنها تقبل بنسبة الضحك إلى الله كما ورد في بعض الأحاديث وترى فيه مثل قول العرب! ضحكت الأرض بالنبات. ويأخذ الكاتب على القدرة هذا الانسياق غير المقصود أصلاً أي تشبيه الله بالأشياء ويغلب عليه في القبول، الرجوع إلى صحة نقل الحديث المعنى فحسب.

وهو يركز على استقامة منهجه في التأويل والاعتقاد برفضه للمغالاة سواء عند المثبتين أم الناففين ليكون مع التوسط، والإيمان بما صحي من الأخبار بنقل الثقات.

وما هو ينساق في ذلك مع هوى أو بدعة، ويمرن في تناظره على غير صعيد، دونما توصل بصناعة لفظية أو تزيين أداء، وذلك في قوله: وقالوا في قوله: (الرحمن على العرش استوى) [٥ - طه] إنه

استولى . . وليس يعرف في اللغة استوليت على الدار أي استوليت عليها. وإنما استوى في هذا المكان استقر. كما قال تعالى : «فإذا استوليت أنت ومن معك على الفلك» [٢٨ - المؤمنون] أي استقررت، وقد يقول الرجل لصاحبه إذا رأه مستوفزاً (استو) يريد (استقر) وأما قوله : «ثُمَّ أَسْتَوَ إِلَى السَّمَاءِ» [٢٩ - البقرة] فإنه أراد عمد لها وقصد فكل من كان في شيء ثم تركه لفراغ أو غير فراغ وعمد لغيره فقد استوى إليه. وهذا مذهب القوم في تأويل الكتاب بآرائهم وعلى ما أصلوا من قولهم .

وأما حديث رسول الله (ص) فإنهم اعترضوه بالنظر فما كان له وجه في النظر من هذه الجهة صدقوا به، وما لم يكن له مخرج رده واستثنواه وكذبوا تأويله ولم يلتفتوا إلى صحيح من الحديث ولا سقيم، فأنموذجاً بمثل قول النبي ﷺ : (إن قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن) لأنه عندهم يحتمل المخرج في اللغة، وقالوا : الإصبع النعمة. وهم يذهبون إلى قول الراعي (ت ٩٠ هـ) .

ضعف العصا بادي العروق له عليه إذا ما أدخل الناس إصبعاً  
أي ترى له عليها أثراً حسناً .

ومن تدبر هذا التأويل وجده لا يشากل ما تقدم من قول النبي ﷺ في هذا الحديث لأنه قال في دعائه (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك) فقالت إحدى أزواجه أو تحالف يا رسول الله على نفسك؟ فقال : (إن قلب المؤمن بين اصبعين من أصابع الرحمن) فلو كان قلب المؤمن بين نعمتين من نعم الله لكان القلب محفوظاً بتينك النعمتين. وقالوا في الضحك : هو مثل قول العرب : ضحكت الأرض بالنبات أي طلع فيها ضروب الزهر . . فإن كان الضحك الذي هربوا منه فيه تشبيه بالإنسان فإن في هذا تشبيهاً بهذه المعاني . .

ولما رأى قوم من الناس إفراط هؤلاء في النفي عارضوهم بإفراط في التمثيل فقالوا بالتشبيه الممحض .

وعدل القول في هذه الأخبار أن نؤمن بما صح منها بنقل الثقات لها فنؤمن بالرؤبة والتجلي . . . وأنه على العرش استوى . . . من غير أن نقول في ذلك بكيفية أحد . . .

- جدية الاصلاح وعمق تأسيسه . والشمول في العرض والمرونة ، والإلفة في الخطاب .

ويعالج الكاتب في مضمون الإمامة والإصلاح مشكلة تصبح بالتطرف المتبادل والمغالاة ، وهي التزاع القائم فعلاً بين فئة تغالي في حب الإمام علي ولا توقي بعض خيار السلف حقهم في الإنفاق ، وأخرى معارضة لها ومغالاة في بعض الإمام علي . ويرفض كذابه في التوفيق للتطرف عند كل من الفتنين المعنيتين وهو يعمق في استطلاع جذور ذلك التزاع وتأسيس الإصلاح الذي ينشد . ويؤكد على ما للإمام علي وأهل بيته من فضائل وما ثار في الإسلام ، ويدعو المתחاصمين حوله إلى التلاقي على الاعتراف بفضائله ، والتخلّي عن التطرف في الحب والبغض وسواء عن ذلك الإمام علياً أو سواه من خيار السلف ، ليكونوا جميعاً على جادة الحق ، والصواب ، وكما يقضي الإيمان ، والعدل ، والإحسان وحسبما ينص الكتاب ، ويقول الحديث ، ويجمع السلف . . . وهو يشمل في العرض ، ويجرؤ في المقاومة ، ويخلص في رأيه وقناعته المسؤولة أو تقديره ، ويقدر على التنوع والتنفيذ :

وقد رأيت هؤلاء أيضاً حين رأوا غلو الرافضة في حب علي وتقديمه على من قدمه رسول الله (ﷺ) وصحابته عليه وادعاءهم شركة النبي (ﷺ) في نبوته وعلم الغيب للأئمة من ولده ، وتلك الأقاويل والأمور السرية التي جمعت إلى الكذب والكفر إفراط الجهل والعبادة . ورأوا شتمهم خيار السلف وبغضهم وتبرؤهم منهم قابلوا ذلك أيضاً بالغلو في تأثير عليٍّ كرم الله وجهه ، وبخسه حقه ، ولحقنا في القول<sup>(1)</sup> إلى المعالاة على قتل عثمان رضي الله عنه .

(1) ولحقنا في القول: تكلموا بصورة مفرضة .

وأخرجوه من أئمة الهدى إلى جملة أئمة الفتن. ولم يوجبوا اسم الخلافة له وأوجبوا لها ليزيد بن معاوية لاجماع الناس عليه، واتهموا من ذكره بغير خير.

وتحاشى كثير من المحدثين أن يحدّثوا بفضائله كرم الله وجهه أو يظهروا ما يجب له، وكل تلك الأحاديث لها مخارج صاحح. وجعلوا ابنه الحسين (ع) خارجياً شافعاً لعصا المسلمين حلال الدم، لقول النبي ﷺ (من خرج على أمتي وهو جميع فاقتهوا كائناً من كان) وسروا بيته في الفضل وبين أهل الشورى... وأهملوا من ذكره أو رووا حديثاً من فضائله... فإن قال قائل (أخو رسول الله ﷺ) وأبو سبطيه الحسن والحسين) وأصحاب الكساء علي وفاطمة والحسن والحسين تعمّرت الوجهة<sup>(١)</sup> وتذكرت العيون... وإن ذكر ذاكر قول النبي ﷺ (من كنت مولاه فعلي مولاه) و(أنت مني بمنزلة هارون من موسى) وأشباه هذا. التمسوا لتلك الأحاديث المخارج لكي يتقصّوه... بغضّاً منهم للرافضة والزاماً لعلي بسبّهم ما لا يلزمهم... والسلامة لك أن لا تهلك بمحبّته ولا تهلك ببغضّته... وأن تعرّف له مكانته من رسول الله ﷺ بالتربيّة والأخوة. والصهر... من غير أن تتجاوز به الموضع الذي وضعه به خيار السلف، لما تسمعه من كثير فضائله... ولأن ما اجمعوا عليه هو العيان الذي لا يشك فيه... ولو كان إكرامك لرسول الله ﷺ هو الذي دعاك إلى محنة من نازع عليها. إذ صحب رسول الله ﷺ وخدمه... لأنّ بذلك في علي (ع) أولى لسابقته وفضله والدناءة التي جعلها الله بينه وبين رسول الله ﷺ عند المباهلة حين قال: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْ نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ (فدعنا حسناً وحسيناً) ونساءنا ونساءكم (فدعنا فاطمة) وأنفسنا وأنفسكم﴾ [٦١ - آل عمران] فدعا عليه... .

- الاجتهاد وموضوعية تأسيسه وبنائه. وعلمية المعالجة، وانطلاق الأداء.

ويقف الكاتب في سياق كتابه الحالي أمام موضوعة القرآن، القراءة

(١) تعمّرت الوجهة: أصفرت أو زالت نضرتها.

القرآنية، فيراها تزداد التباساً وتعقيداً ويختلف الناس فيها أشد الاختلاف، وليس من ينقد في ذلك شاملاً، أو يصل إلى حسم خصوصاً فيما يعني القراءة القرآنية ففريق يعتبرها هي القرآن ذاته وفريق يفصل بينها وبين القرآن، وأخر يرى الكلام فيها بدعة... وما أمرها بهم، وهي متعلقة بالقرآن غير المخلوق ويأفعال العباد المخلوقة وما يذعن الكاتب للسكون أو للتبعية الجامدة حيالها وينبئي للرد على إشكاليتها بموقف اجتهادي ويقدر على تأسيسه وبنائه وذلك على النحو التالي:

- رفض النهي عن التكلم في موضوع القراءة القرآنية لا سيما بعد أن أصبح مثار جدل وشك بالغين.

- وعدم القبول بنسبة هذا النهي عن التكلم سلباً وإيجاباً إلى الإمام أحمد ابن حنبل لما هو فيه من الرشاد. ولأن الحق لا يعدو أن يكون في واحد من الحالين المعنين، وإنما صار الحق في كفر وضلال.

- لقد مر القرآن نفسه في مرحلة صعبة واشتد الخلاف حوله فهو مخلوق أم غير مخلوق؟ وانبرى العلماء يدافعون عنه غير واجدين في ذلك الدفاع بدعة. وأثبتوا أنه غير مخلوق بالمناظرة والاستنباط، بتقديهم الشواهد من كتاب الله بل الحجج الدامجة.

- ليس من الجائز الخشية من البدعة أو السكوت عن الباطل بل لا بد من دفع البدعة بالسنة، ودحض الباطل وإجلاء الحقيقة في كل ما يمتد إلى القرآن بصلة، ولا يفيد التذرع في هذا المجال بمجرد التمثل بعالم من هنا أو عالم من هناك. ولا شك بأن الحق هو في أحد الأمرين اللذين وقف بينهما.

- لا بد من وضع حد لنسج المكائد لمجرد اتباع رأي بدا أو غرض فيما يعني القرآن لفظاً أو قراءة وإنما كان ذلك هو الجهل.

ويثبت الكاتب اجتهاده في مجال القراءة القرآنية أو اللفظ بالقرآن، فيجزئ هذا الشأن القرآني إلى عناصر، ويرى أن القرآن لا يقوم إلا بواحدة من

أربع: كتابة، او قراءة أو حفظ او استماع، فهو بالعمل في القراءة قائم والعمل هنا مخلوق والمقرؤ القرآن وهو غير مخلوق، وكذلك هي الحال في كتابة القرآن، والاستماع اليه.

وهو يعمد إلى ايضاحات متعددة في بناء هذا الاجتهاد فيشبه القراءة القرآنية بلون الجسم، والقدرة، فإن كلاً من اللون والقدرة لا يمكن ان يفرد عن الجسم، وكذلك هي الحال بالنسبة إلى الحركة والاستطاعة.

ويشبه الكاتب قراءة القرآن بالجمرة والتجم والتجم والاكل والقتل فالجمرة تجمع معنین الجسم والنار، والنجم النار والنور، والاكل المضغ والبلع والقتل الجرح والموت.

ويمضي في التبيين والتقرير وحسية التوضيح وسوق المثل : ما أحسن قراءة فلان! وماذا قرأ؟ القرآن. وما أحسن لفظ فلان! وماذا لفظ؟ القرآن. ويكون القرآن هنا للتمييز والتبيين ويكون اللفظ والقرآن عملاً وقراناً.

وتبرز السمة العلمية في معالجة الكاتب لمشكلة القراءة واللفظ بالقرآن تمهيداً وصلب موضوع، ونتائج وامثلة موضحة. وما يفتر في سياق ذلك تعيره او يجف بل يقوى ويتناسب في صفاء.

وذلك في قوله :

«ثم انتهى بنا القول إلى ذكر غرضنا من هذا الكتاب وغايتها من اختلاف أهل الحديث في اللفظ بالقرآن... وإكفار بعضهم بعضاً. وليس ما اختلفوا فيه بما يقطع الإلفة ولا مما يوجب الوحشة لأنهم مجتمعون على أصل واحد، وهو القرآن كلام الله غير مخلوق، في كل موضع... وعلى كل حال، وإنما اختلفوا في فرع لم يفهموه لغموصه، ولطف معناه، فتعلق كل فريق منهم بشعبه منه ولم يكن معهم آلة التمييز، ولا فحص النظاريين، ولا علم أهل اللغة فإذا فكر أحدهم في القراءة وجدتها قد تكون قرأتاً لأن السامع يسمع القراءة... وقال الله عز وجل: ﴿فَاسْتَمِعُوا لِهِ﴾ [٢٠ - الأعراف].

وقال ابو عبيد: يقال قرأت قراءة وقرآنًا بمعنى واحد فجعلهما مصدرين لقرأت وقال الله تعالى: ﴿وَقُرْآنُ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء] فيعتقدون من هذه الجهات أن القراءة هي القرآن غير مخلوق. ويفكر آخر في جدها عملاً لأن التواب يقع على عمل. ونجد الناس يقولون قرأت اليوم كذا وكذا سورة.. ونجدتهم يقولون: قراءة فلان أحسن من قراءة فلان... وإنما يراد في جميع هذا العمل لأنه لا يكون القرآن أحسن من القرآن... وان من قال القراءة غير مخلوقة فقد قال: ان اعمال العباد غير مخلوقة فلما وقعت هذه الحيرة فزع الناس الى علمائهم... فاختلقو عليهم فقال فريق منهم: القراءة فعل محسن... وقالت فرقه: هي القرآن بعينه، وقالت فرقه: هذه بدعة لم يتكلم الناس فيها.. واحتللت عن أبي عبد الله احمد بن حنبل الروايات، ومن عجيب ما حكى عنه مما لا شك انه كذب عليه اذ كان يحمد الله رشيداً: من زعم أن القراءة مخلوقة فهو جهمي والجهمي كافر ومن زعم أنها مخلوقة فهو مبتدع وكل بدعة ضلاله. فكيف يتوهם.. مثل هذا القول... والحق لا يخلو من ان يكون في أحد الأمرين... وقد كان لهؤلاء أسوة فيمن تقدمهم من العلماء حين تكلم جهم وأبو حنيفة. فلما فزع الناس إلى علمائهم لم يقولوا هذه بدعة لم يتكلم الناس فيها... ولكن أزالوا الشك باليقين... وأدلو بالحجج والبراهين... وأما قولهم: هذه بدعة لم يتكلم الناس فيها.. فالكلام لا يعارض بالسكتوت... والبدعة لا تدفع إلا بالسنة. وان كان الوقف في الملفظ بالقرآن حتى لا يقال فيه مخلوق... فما حججنا على الواقعه في القرآن. ولما جعلناهم شكاكاً، وجعلناهم ضلالاً وأكفرهم بعض أهل السنة، وأكفر من شك في كفرهم... وكل من ادعى شيئاً او اتتحل تحلة فهو يزعم أن الحق فيما ادعى، وفيما اتتحل خلا الواقف الشاك.. وقد بلي بالفرقين المستنصر المسترشد.. فإنه ربما ورد الشيخ المصر فقد المحدث وهو من الأدب غفل. فيبدأونه قبل الكتاب بالمحنة... فكيف لو سئلوا من أين قلتم ما رجعوا في ذلك إلى وثيقة من حديث يأثرونـه.. إنما هو رأي راؤه.. وظن ظنـه.

«وعدل القول فيها اختلفوا فيه من القراءة واللفظ بالقرآن، ان القراءة لفظ واحد يشتمل على معندين أحدهما عمل والأخر قرآن... والقرآن لا يقوم بنفسه وحده، وإنما يقوم بوحد من أربعة: كتابة أو قراءة أو حفظ أو استماع، فهو بالعمل في الكتابة قائم والعمل خط وهو مخلوق والمكتوب قرآن وهو غير مخلوق... فإن قال قائل ما يقول في القراءة قلت: قرآن متصل بعمل... أحدهما مخلوق وهو العمل والأخر غير مخلوق وهو القرآن... فإن قال قائل فما شبه هذا؟... فالجملة مثل للقراءة لأنها اسم واحد تجمع معندين: الجسم والنار، كما ان القراءة تجمع معندين العمل والقرآن «وقد بقى بعدما بَيَّنتُ لطيفَة» قد يغلط في مثلها. وهي ان السامع إذا سمع قائلاً يقول: قراءتي للقرآن ولفظي بالقرآن... وسائله ايضاً كان رجلاً يسمى عمداً فرأى فسمعه رجل يقال له زيد فقال لآخر له، يقال له عبد الله: ما أحسن قراءة محمد، فقال عبد الله ماذا قرأ؟ فيقول له زيد: القرآن. وكذلك لو قال: ما أحسن لفظ محمد؟ وبماذا لفظ؟... بالقرآن. وكل واحد من القرآن واللفظ يجمع معندين: عملاً وقرأناً...».

- عمق الشعور المرجعي ، والنقد العقائدي الاصلاحي وسمة السخرية .  
يعمق الشعور عند الكاتب بالتزامه ومرجعيته تجاه العقيدة الإسلامية وحياً، وفكراً، ووعياً، وممارسة. فهو يراقبها على غير صعيد وإذا ما رأى خطأ في أي شأن من شؤونها أو ما يمت إليها بصلة فما هو يكتفي بأن يشير إليه أو يدل عليه ولكنه يعمل على تصحيحه وذلك بطريقة نقدية وإصلاحية بناءة كشأنه مع الخطأ في فهم بعض متحلي السنة للإيمان، باعتبارهم له غير مخلوق لكونه يشتمل على أولى معاني التوحيد وغاب عنهم أنه من أفعال العباد. وكذلك الحال في اعتقاد قوم آخرين بأن الروح غير مخلوق لورودها في قوله تعالى **﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾** [٢٩ - الحجر] وهو ما يتعارض مع التراث، وإجماع الناس على أن الله فالق الحبة وباريء النسمة أي خالق الروح. وان كان الكاتب يعنف في بعض الفاظه فإن تعبيره يتتنوع فيرشع سخرية، ويخلص سلساً هادثاً وذلك بقوله:

«وذهب قوم من متحلي السنة إلى أن الإيمان غير مخلوق خوفاً من أن يلزمهم أن يقولوا: لا إله إلا الله، مخلوق إذ كانت رأس الإيمان فركبوا شناعه، وجعلوا أفاعيل العباد غير مخلوقة... فيا سبحان الله ما أعجب هذا... ولقد ألف الناس (غير مخلوق) وانسوا به حتى ليخيل إلى أن رجلاً لو أدعى أن العرش غير مخلوق... لوجد على ذلك أشياعاً... فماذا جرّ جهنم. لا رحمة الله... وقد بلغني أن قوماً يذهبون إلى أن روح الإنسان غير مخلوق، وأنهم يستدلّون على ذلك بقول الله في آدم ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ وهذا هو النصرانية والقول باللاهوت والناسوت، قال النابغة الجعدي:

..... تخلق منها الإنسان والنسما

والنسم الأرواح وأجمع الناس على أن الله فالج الحبة وباريء النسمة أي خالق الروح».

- الاستبساط وصوابية المنطق وطرافة الحوار.

وإذا ما اجتمع الكاتب مع جهمي في الحوار فإنه يقوى ويقدر على التجدد والاستبساط ويرى بلصحة خاصة النظر الواحد (لا إله) المجسد لأصلية الكفر عند شخص ملحد يتحول إلى أصلية الإيمان عند آخر مؤمن إذا ما نطق به، وتوقف عن متابعة الكلام لأنقطاع نفسه، وكذلك الحال مع القرآن. فهو يتحول بالنية إلى غير قرآن. ويشفت ذلك عن اشراق وجдан وثبات إيمان ويعنى الحوار بالطرافة، والوجازة البليغة. وذلك في التالي :

قال أبو محمد: وقد كان بعض الجهمية سألهي مرة عن تكلم الناس في الحرف والحرفين. ولذلك أصل في الكتاب أمخلوق هو أم غير مخلوق فقلت هو مخلوق ما لم يقصد به إلى تلاوة القرآن فقال لي : فإذا ذكر القرآن يصير كلاماً بنيناً، والكلام يصير قرآنناً بنيناً؟ قلت له: إن القول القليل قد يتغير بالنية والقصد... أما تعلم أن لا إله إلا الله رأس الإيمان... ! قال: بل قلت، فما تقول في ملحد قال: (لا إله) يريد النفي: ماذا تكون كلمته؟ فقال: كفراً...

ثم قلت له ما تقول في مؤمن أراد أن يقول: (لا إله إلا الله) فقال: (لا إله) ثم انقطع نفسه... قال أيماناً بحاله. قلت له: ما كان هناك كفراً بالنية قد صار هنا إيماناً بالنية... قلت ما تقول في قول الله: «ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين» [١٤ - التوبية] ما هو؟ قال: آية، قلت فهي عندك مخلوقة أم غير مخلوقة... فإن دعبل جعلها بيّنا في شعر له وذلك بقول: ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنينا فما هي في شعر دعبل؟ قال قول لدعبل... قلت: فأراه صار فعلًا بالنية وخلقًا بالنية.

### قيمته

لقد، أعطى ابن قتيبة في كتابه (الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة) أكثر من موقف وقدم الحل لأكثر من مشكلة ومسألة، وجلا عدداً من المبادئ والأصول والمفاهيم والاصطلاحات والرموز في مجال العقيدة الإسلامية. وأبدى خلال ذلك سعة في المعرف وأثبت نضجاً وعمقاً في الثقة. وإذا ما أظهر أتباعاً للسلف، فإنه لا يجده في سلفيته بل هو يقدر على العطاء الخاص أو المستقل ويجهد دونما مفارقة في ذلك للكتاب والسنة، وهديهما، أو تعمد للقياس. وإذا ما أبدى خلال ذلك حرصه البارز على صوابية خط رجال الحديث وأهل السنة فاعطى في ذلك دفاعاً ونقداً وتوجيهها وإجلاء التباس، ودفع ضلاله، فإنه لا ينفك يصدر عن اصولية جامعة. ويجد في توفيقية مؤمنة قادرة. وما يضعف إصلاحه في المسار العقائدي الإسلامي فكراً ومارسة. وإنه يتسلسل في كتابه الحالي ضمن خطة مدروسة ويفني تسلسله بعلمه وإيمانه. وما هو يجسّف أو يغمض. ويكثر من الأمثلة الأدلة من القرآن والحديث، والتراجم العربي، وما هو ينصرف عن اعطائها في تناول او دعم موقف ودحض بدعة، وكشف زيف انتقال، وإسقاط حجة ملتوية. وما يميل في سياق درسه، ومناقشته، إلى صناعة لفظية إنما هو يقتصر في تعبيره، ويتعادل في ذلك مضمونه

مع شكله. وتتنوع سمات اسلوبه وما يفارقه التسلسل التأليفي . ويختلف في هذا المجال بالذات عن أبي عثمان المباحث ، وهو يتقدمه في منهجية البحث والدرس حيث لا تمتلكه فوضى أو يشوقه استطراد ، فإن لموضوعه عليه سطوة وما هو يتفلت من دائرته ، وإيفائه حقه من الإجلاء والوضوح .

ويستوي كتاب (الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة) مفصلاً مهماً في مسار العقيدة الإسلامية والتراجم العربية والإسلامي .

### أثره

لقد تميزت مكانة كتاب (الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة) وثبت فعل عطائه في مجال موضوعه وحقله . وكان له اشعاعه وأثره في أكثر من كتاب ظهر بعده ، وعلى غير صعيد<sup>(١)</sup> ويزز أثره في الكتب التالية<sup>(٢)</sup> .

- الرد على الجهمية للإمام أبي سعيد الدارمي (ت ٢٨٠ هـ) .
- رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على المرسي العيني .
- العقيدة الطحاوية للإمام أبي جعفر الطحاوي (ت ٣٢١ هـ) .
- الرد على الجهمية للإمام الحافظ بن منده (ت ٣٩٥ هـ) .
- لمع الأدلة في قواعد أهل السنة والجماعة للإمام المحرمين أبي المعالي عبد الملك الجوني (ت ٤٧٨ هـ) .

إلى غير ذلك من الدراسات والأبحاث الإسلامية . . . وهو يستمر مرجعاً مميزاً في العقيدة الإسلامية تاريخاً وفكراً، وعملاً يشهد على صدق التزوع إلى الهدایة والوحدة والإصلاح في الدين .

(١) د. عبد الحميد الجندي - ابن قتيبة ص ١٦٠ .

(٢) المؤلف - ابن قتيبة آثاره وأثره في الفكر العربي (بالفرنسية) ص ٥٥٠ .



القسم الثالث

تحقيق وشرح كتاب

الاختلاف في الفنون والرد على الجهمية والمشبهة

---

للإمام عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري

---



## الاختلاف في النقطة والردد على الجهمية والمشبهة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله مرتضي الحمد لنفسه، وجعله فاتحة وحيه<sup>(١)</sup>، ومتنه شكره، وكفاعة نعمته، ودعوى أهل جنته عند إفضائهم إلى كرامته، البر بخلقه العواد<sup>(٢)</sup> على المذنبين بعفوه، الذي لا يخيب راجيه، ولا يرده داعيه، ولا ينسى ذاكيه، ولا يقطع حبل عصيته<sup>(٣)</sup> من تمسك بعروته<sup>(٤)</sup>. أحمله بجميع محامده على جميع نعمه، وندعوه أن يشعرنا خشيته، ويشرب قلوبنا مراقبته، عند كل لفظ وعقد، وكل قبض وبسط. وأن يجعل كلامنا له ودلالتنا عليه، وارشادنا إليه، ويؤم بنا سمت<sup>(٥)</sup> الحق وقصد السبيل، وأن يبلغ نبينا المصطفى (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَسْلَمَ) أفضل صلاة وأنماها وأذكاكها وأقضائها لما فرض من حقه، وأوجب من ذكره صلى الله عليه، ولملائكته، والمقربون عليه، وعلى آله الطيبين، وعلى جميع النبيين والمرسلين<sup>(٦)</sup> ونعود من نزع الشيطان<sup>(٧)</sup> ومصاداته، ولطيف خدشه ومكائده، فقد

(١) إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

(٢) عواد: كثير العودة.

(٣) إشارة إلى الآية الكريمة:

﴿وَاعْتَصُمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَنْزَعُوا...﴾

(٤) عروته: إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿فَلَمَّا اسْتَمْسَكَ بِالصُّرُورَةِ الْوَثْقَى﴾ والعروة الوثقى هنا ما يستمسك به أو يستعصى به.

(٥) سمت الحق: طريق الحق الواضح.

(٦) جميع النبيين والمرسلين: ليس كل نبي رسولاً، بينما كل رسول نبي وهو أكرم عند الله.

(٧) نعود من نزع الشيطان: إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿وَإِمَّا يَنْزَعَنَّكُمْ مِّنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِدُّ بِاللَّهِمَّ وَيَقَالُ نَزَعَهُ الشَّيْطَانُ: وَسُوسٌ لَّهُ﴾.

صدق على هذه الأمة ظنه، وأجلب عليهم بخيله ورجله<sup>(١)</sup> وقد لهم رصداً بكل مرصد، ونصب لهم شركاً بكل ريع<sup>(٢)</sup>، وطرق لغوايتهم بكل شبهة، فاصبح الناس إلا قليلاً من عصم الله مفتونين، وفيما يؤتّهم خائضين. وعن سبيل نجاتهم ناكبين<sup>(٣)</sup>. ولما وضعه الله عنهم متکلفين<sup>(٤)</sup> وعما كلفهم معرضين، وإن دعوا أنفوا، وإن عظوا هزوا، وإن سئلوا تعسفاً<sup>(٥)</sup>، وإن سألوا اعتوا<sup>(٦)</sup>، قد فرقوا الدين وصاروا شيعاً<sup>(٧)</sup>. فهم يتنابدون بالألقاب، ويتسابون بالكفر، ويتناقضون بالنحل<sup>(٨)</sup> ويتناصرون على الهوى. وعاد الإسلام غريباً كما بدا<sup>(٩)</sup> فإذا يعجب من سلة السيف وشمول الخوف ونقص الأموال والأنفس، وهل يتوقع بعد ترددنا في الغواية، إلا التزيد في البلاء حتى يحكم الله بما شاء بيننا وهو خير الحاكمين. وكان طالب العلم فيما مضى يسمع ليعلم، ويعلم ليعمل<sup>(١٠)</sup> ويتفقه<sup>(١١)</sup> في دين الله ليتفق وينفع، فقد صار طالب العلم الآن يسمع ليجمع ويجمع ليذكر. ويحفظ ليغالب ويغتر، وكان المنتظرون في الفقه ينتظرون في الجليل من الواقع، والمستعمل من الواضح، وفيما ينوب الناس، فينفع الله به القائل والسامع، فقد صار أكثر التناظر فيما دقّ وخفى، وفيما لا ينفع، وفيما

(١) رجله: جمع للراجل الماشي على رجله.

(٢) ريع: أول كل شيء.

(٣) ناكبين: ضالين منحرفين.

(٤) متکلفين: فاعلين.

(٥) تعسفاً: تعسف: استعمل حقه بأكثر مما له.

(٦) اعتوا: أعتن: أوقعه في مشقة.

(٧) شيع: فرق، جماعات.

(٨) بالنحل. انتسب إلى مذهب. والنحل المذاهب.

(٩) إشارة إلى الحديث القائل: بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ غريباً فطوي للغرباء.

(١٠) إشارة إلى الحديث: (إذا علمتم فاعملوا).

(١١) يتفقه: فقه الأمر: أحسن إدراكه.

قد انقرض من حكم الكتابة وحكم اللعنان<sup>(١)</sup> وحكم الرجم<sup>(٢)</sup> وصار الغرض فيه إخراج لطيفة<sup>(٣)</sup> وغوصاً على غريبة ورداً على متقدم، فهذا يرد على أبي حنيفة<sup>(٤)</sup> وهذا يرد على مالك<sup>(٥)</sup> وأخر يرد على الشافعي<sup>(٦)</sup> بزخرف من القول،

---

(١) حكم اللعنان (في الشريعة) أن يقسم الزوج أربع مرات على صدقه في قتل زوجته بالزنى والخامسة باستحقاقه لعنة الله إن كان من الكاذبين. ثم تقسم الزوجة أربع مرات على كذبه، والخامسة باستحقاقها لعنة الله إن كان صادقاً فتبرأ من حدة الزنى.

(٢) حكم الرجم (شرعماً) أن يقتل الزاني رمياً بالحجارة.

(٣) لطيفة: الرقيق من الكلام.

(٤) أبو حنيفة: هو النعمان بن ثابت وكتبه أبو حنيفة، ولد في الكوفة سنة ٨٠ هجرية. تلقى الفقه عن حماد بن لقمان، عن إبراهيم النخعي، عن علقة بن قيس عن عبد الله بن مسعود، وقد أخذ عن كثير من العلماء. وكان يستغل بتجارة الشاب المتختلفة من الحرير واشتهر بذلك بأنه خزار. وعرف بين الناس بالصدق في المعاملة وجلس في حلقة علماء الكلام فترة، ثم انتقل إلى حلقات الفقه حتى استقر إلى حلقة شيخه حماد. ونبغ في الفقه نوعاً فذاً، وكانت مسائل فقهه لا تقتصر إلا بعد المناورة والأخذ والرد فيها غالباً. وهو إمام المذهب الحنفي أوسع المذاهب الإسلامية انتشاراً. وتوفي سنة ١٥٠ هجرية.

(٥) مالك: هو الإمام مالك بن أنس ولد سنة ٩٣ هجرية، وقد عاش حياته في المدينة ولم يرحل عنها إلا إلى مكة حاجاً. وتلقى العلم عن علماء المدينة، وشيخه في الفقه هو بريعة بن فرزخ المعروف بريعة الرأي. وكانت منزلته في الحديث والفقه من الرفعة بدرجة حذف عنها الإمام الشافعي فقال: (إذا ذكر العلماء فمالك النجم، وما أحد أمن عليّ من مالك...).

وكان يجل العلماء فوق إجلاله لتدوين السلطان. ولقد أراد أكثر من خليفة حمل الناس في الحديث والفقه على (موطأ) مالك ولكن مالكاً يرفض... وكان اعتماد مالك في فتواه على كتاب الله ثم على السنة لكنه كان يقلّم عمل أهل المدينة. وهو بعد السنة يرجع إلى القیاس. وبين كثيراً من وسائل مذهبة على المصالح المرسلة. وتوفي عام ١٧٦ هجرية في خلافة هارون الرشيد.

(٦) الشافعي: هو محمد بن إدريس الشافعي يلتقي بشبه مع النبي (ص) في عيد مناف. ولد في غزة سنة ١٥٠ هجرية ثم انتقلت به أمه إلى مكة. وقد حفظ القرآن الكريم ثم رحل إلى قبائل هليل بادية العرب، فاستفاد الفصاحة منهم وحفظ كثيراً من أشعارهم. وأخذ الفقه في مكة على سلم بن خالد شيخ الحرم ومتنه. وحفظ الموطأ. ورحل إلى المدينة فقرأ على الإمام مالك، وأخذ العلم عنه. ثم سافر إلى العراق ثلاث مرات التقى في خلالها بأصحاب الإمام أبي حنيفة وكانت له مناظرات مع محمد بن الحسن الشيباني (ت ١٨٩ هـ). ورحل إلى مصر ونزل بمدينة الفسطاط. ونشر علمه بين المصريين وكوئ مذهب الجديد في مصر. وتأثر الإمام الشافعي بدراسة =

ولطيف من الحيل، كأنه لا يعلم أنه إذا رد على الأول صواباً عند الله بتمويهه فقد تقلد الماثم<sup>(١)</sup> عن العاملين به دهر الذاهرين، وهذا يطعن بالرأي<sup>(٢)</sup> على ماضٍ من السلف<sup>(٣)</sup> وهو بريء وبالابتداع<sup>(٤)</sup> في دين الله على آخر وهو يبتدع، وكان المتناظرون فيما مضى يتناظرون في معادلة الصبر والشکر، وفي تفضيل أحدهما على الآخر، وفي الوساوس والخطرات، ومجاهدة النفس، وقمع الهوى، فقد صار المتناظرون يتناظرون في الاستطاعة، والتولد، والطفرة<sup>(٥)</sup>

= فقه من سبقة من المجتهدين وبعثة مسالك مدرستي أهل الحديث وأهل الرأي، وبهذا تكونت لديه طريقة فقهية مثل جمعت بين طرفي هاتين المدرستين... واستخرج بذلك مذهبًا جديداً وسطأً بين المدرستين المذكورتين... . واستنبط علم أصول الفقه وأصول الشافعي هي القرآن والسنّة والإجماع والقياس وقد أخذ بخبر الواحد الصحيح وقدمه على القياس واعتمد أدلة أخرى كالاستصحاب والعرف. وأهم آثاره: الرسالة في أصول الفقه، وكتاب الأم. وكتاب مختلف الحديث. وقد توفي الإمام الشافعي بمصر في آخر ليلة من شهر رجب سنة ٢٠٤ هـ. وعمره ٥٤ عاماً.

(١) تقلد الماثم: ارتكب الذنب.

(٢) بالرأي: أي ما لا يبني على أساس من نص قرآني أو حديث.

(٣) السلف: المعنى بالسلف هو ما تقدم من أمثلة وقدوة صالحة: كقوله تعالى: «كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية». [٢٤ / الحاقة]. . وقول رسول الله ﷺ لما ماتت ابنته: زينب الحق بسلفنا الصالح.. عثمان بن مظعون.

والسلف يعني التمسك بالتصوّص... المتواترة ورفض كل ما يتعارض معها. وهو يعني الإسلام في شأنه البسيط والابتعاد عن كل ما أحاط به أو دخله من علم كلام وبدع وهو إيمان ويقين.

(٤) الابتداع: هو الإتيان بشيء على غير مثال. والبدعة هي اختراع أو تجديد، لا أصل له في النصوص والتأثيرات الدينية.

(٥) الطفرة: من أغرب الأراء المنسوبة إلى النظام في الطبيعيات قوله بالطفرة، وذلك أنه قال: إن الماء على سطح الجسم يسير من مكان إلى مكان بينهما أماكن لم يقطعاها ولا مربها ولا حاذها، ولا حل فيها.

ويقول الأشعري:

«زعم النظام أنه قد يجوز أن يكون الجسم الواحد في مكان ثم يصير إلى المكان الثالث ولم يمر بالثاني على جهة الطفرة. واعتزل في ذلك باشياء: منها: الدوامة: يتحرك أعلاها أكثر من

والجزء<sup>(١)</sup> . . . .

## والعرض<sup>(٢)</sup> والجوهر<sup>(٣)</sup> فهم دائمون يخبطون في العشوارات<sup>(٤)</sup> قد تشعبت

= أسلفها، وقطبها وإنما ذلك لأن أعلاما يعساشيء لم يكن حانى ما قبلها، وقد انكر أكثر أهل الكلام قوله، منهم أبو هليل وغيره، وأحالوا أن يصير الجسم إلى مكان لم يمر بما قبله، وقالوا: هذا مجال لا يصح. وقالوا: إن الجسم قد يسكن بعضه وأكثره متحرك وإن للفرس في حال سيره وقفات خفية وفي شدة عدو مع وقع رجله ورفعها، ولهذا كان أحد الفرسين أبطأ من صاحبه، وكذلك للحجر في حال اندحاره وقفات خفية بها كان أبطأ من حجر آخر أثقل منه أرسل معه.

(١) الجزء: أورد أبو الحسن الأشعري في الجزء الثاني من كتابه: مقالات الإسلاميين ما يلي: إن بعض المتكلمة قال بأن الجزء لا يتجزأ ولتجزئته غاية في الفعل. فاما في القوة والإمكان فليس لتجزئته غاية. وهذا هو رأي ارسطو كما ورد في «الأراء الطبيعية» المعنوس إلى فلوبطخس. وقد انكر النظام الجزء الذي لا يتجزأ وقال: إنه لا جزء إلا وله جزء ولا بعض إلا وله بعض، ولا نصف إلا وله نصف وإن الجزء جائز تجزئته أبداً ولا غاية له في باب التجزء.

(٢) العرض: يقول علي بن محمد بن عبد الوهاب الجبائي: إن كل ما فعله الحي في نفسه مباشرةً من الأعراض فهو غير باق. ويقول أيضاً: إنباقي من الأعراض يبقى لا يبقاء. وفناه الجسم يوجد لا في مكان وهو مضاد له. ولكل جسم فناء من جنسه. وقال إن السود الذي كان في حال وجوده بعد البياض هو فناء لبياض، وكذلك شيء في وجوده عدم شيء فهو فناء ذلك الشيء وفناه العرض يحل في الجسم والفناء لا يفنى (مقالات الإسلاميين ج ٢ ص ٥١ - ٥٢).

(٣) الجوهر: هو يعني في الفلسفة الإسلامية ما كان يعني في الفلسفة اليونانية وهو أنه ما يقوم بذلك ولا يفتقر إلى غيره ليقوم به بخلاف العرض الذي يفتقر إلى غيره ليقوم به.

ويقول أبو الحسن الأشعري في كتابه: (مقالات الإسلاميين ج ٢ ص ٨). واختلف الناس في الجوهر وفي معناه على أربعة أقوال:

١ - فقللت النصارى: الجوهر هو القائم بذلك وكل قائم بذلك جوهر وكل جوهر قائم بذلك.

٢ - وقال بعض المتكلمة: الجوهر القائم بالذات القابل للمتضادات.

٣ - وقال قائلون: الجوهر ما إذا وجد كان حاملا للأعراض.

وزعم صاحب هذا القول أن الجوهر جواهر يانفسها وإنها تعلم جواهر قبل أن تكون والقاتل بهذا القول هو الجبائي.

٤ - وقال «الصالحي» الجوهر هو ما احتمل الأعراض وقد يجوز عنده أن يوجد الجوهر ولا يخلق الله فيه عرضاً ولا يكون محلًا للأعراض إلا أنه محتمل لها.

(٤) العشوارات: المتهاudas، والسير على غير هدى.

بهم الطرق وقادهم الهوى بزمام الردى.

وكان آخر ما وقع من الاختلاف أمراً خاصاً ب أصحاب الحديث الذين لم يزالوا بالسنة ظاهرين<sup>(١)</sup> وبالاتباع<sup>(٢)</sup> قاهرين، يداجون<sup>(٣)</sup> بكل بلد ولا يداجون ويستر منهم بالتحل ولا يستترون، ويصدعون بحقهم الناس، ولا يستغشون، لا يرتفع بالعلم إلا من رفعوا، ولا يتضع فيه إلا من رضوا، ولا تسير الركبان إلا بذكر من ذكروا إلى أن كادهم الشيطان بمسألة لم يجعلها الله تعالى أصلاً في الدين ولا فرعاً، في جهلها سعة. وفي العلم بها فضيلة فنما شرّها وعظم شأنها حتى فرقت جماعتهم، وشتّت كلمتهم، ووهنت أمرهم، وأشمت حاسديهم وكفت عدوهم بالستهم، وعلى أيديهم، فهو دائم بضحك منهم، ويستهزئ بهم حين رأى بعضهم يكفر ببعضاً، وببعضهم يلعن ببعضاً، ورأهم مختلفين وهم كالمتفقين، ومتباهين وهم كال مجتمعين<sup>(٤)</sup> ورأى نفسه قد صار لهم سلماً بعد أن كان لهم حريراً.

كما رأيت إعراض أهل النظر<sup>(٥)</sup> عن الكلام في هذا الشأن منذ وقع وتركهم تلقّيه بالدواء حين بدا، وبكشف النقاب حين نجم<sup>(٦)</sup> إلى أن استحكم أساسه، ويسق<sup>(٧)</sup> رأسه، وجري على اعتياد الخطأ فيه الكهل، ونشأ عليه الطفل، وعسر على المداوين أن يخرجوا من القلوب ما قد استحكم بالإلف<sup>(٨)</sup> وشبّ على شراء اللحم<sup>(٩)</sup> لمن أر لنفسه عذراً في ترك ما أوجبه الله عليه بما وهب من فضل المعرفة في أمر استفحلاً بأن قصر مقصراً، فتكلفت بمبليغ

(١) ظاهرين: متصرفين.

(٢) الاتباع: الالتزام.

(٣) يداجون: دانجي: سائرة بالعداوة. ولم يدها له.

(٤) قوله تعالى: وترامم جميعاً وقلوهم شتى.

(٥) أهل النظر: أهل الفكر والعقل.

(٦) نجم: ظهر.

(٧) يسق: طال وارتفع.

(٨) الإلف: ألف: يائف إلهاً ولفقة: القبول العميق.

(٩) شراءة اللحم: شدة النهم.

علمي ومقدار طاقتني ما رجوت أن يقضي بعض الحق عنّي، لعل الله ينفع به فإنه بما شاء نفع، وليس على من أراد الله بقوله أن يسأل الناس، بل عليه التبصير، وعلى الله التيسير. وسيوافق قولي هذا من الناس ثلاثة: رجلًا منقاداً سمع قوماً يقولون فقال كما قالوا فهو لا يرجع، ولا يرجع، لأنه لم يعتقد الأمر بنظر حتى يرجع عنه بنظر. ورجلًا تطمع به عزة الرياسة، وطاعة الأخوان، وحب الشهرة، فليس يرد عزته ولا يبني عناه إلا الذي خلقه، إن شاء، لأنّ في رجوعه إقراره بالغلط، واعترافه بالجهل، وتأييده عليه الأنفة، وفي ذلك تشتبّه جمّع، وانقطاع نظام، واختلاف إخوان عقدتهم له النحلة<sup>(١)</sup>. ورجلًا مسترشداً، يريد الله بعمله، لا تأخذه فيه لومة لائم ولا تدخله في مفارق وحشة، ولا تلفته عن الحق أنفة، فإلى هذا بالقول قصدنا، وإيّاه أردنا.

ولم أر صواباً أن يكون الكتاب محرراً بذكر هذا الباب خاصة دون غيره، فقدّمت القول فيه بذكر ما أولته<sup>(٢)</sup> الجهمية في الكتاب والحديث، وإن قلل لنحمد الله تعالى على النعمة، وتفكر أن الحق مستغنٍ عن الحيلة، ولم أعد في أكثر الرد عليهم طريق اللغة، فاما الكلام<sup>(٣)</sup> فليس من شأننا ولا أرى أكثر من هلك إلا به. ويحمل الدين على ما يوجبه القياس<sup>(٤)</sup>. الا ترى أن أهل القدر<sup>(٥)</sup> حين نظروا في قدر الله الذي هو سره بلوائهم<sup>(٦)</sup> وحملوه على مقاييسهم أرائهم أنفسهم قياساً على ما جعل في تركيب المخلوق من معرفة العدل من الخلق على الخلق أن يجعلوا ذلك حكماً بين الله وبين العبد فقبلوا: بالتخلية والإهمال، يجعلوا العباد فاعلين لما لا يشاء، وقدرین على ما لا يريد، كأنهم

(١) عقدتهم له النحلة: جمع بينه وبينهم المعتقد.

(٢) أولته: ردت الشيء إلى أصله.

(٣) الكلام: علم الكلام (ولكن الكاتب سيعطي فيه كما سترى دون تعمد أو قصد)(وتأثير بعلم دخيل).

(٤) القياس: أي القياس الذي لا يستند إلى أي نص من قريب أو بعيد.

(٥) أهل القدر: المعتزلة.

(٦) بأرائهم: أي دون رجوع إلى نص. وقد قال الإمام أحمد بن حنبل في هذا المجال: «لا يثبت

شيء من الرأي. عليكم بالقرآن وال الحديث والأثر».

لم يسمعوا بِأجمعَ النَّاسِ عَلَىٰ «مَا يَشَاءُ اللَّهُ كَانَ وَمَا لَا يَشَاءُ لَا يَكُونُ»<sup>(١)</sup>.

وقالوا: كَيْفَ يَضْلُلُ وَيَعْذِبُ وَيَرِيدُ وَيَكْرِهُ وَيَحْوِلُ وَيَكْلِفُ؟ وَهَلْ قَصْرٌ فَاعْلَمُ هَذَا عَنْ أَفْحَشِ الظُّلْمِ؟ وَنَسَوا مَا يَلْزَمُهُمْ فِي اخْتِلَافِ الْحَكَمَيْنِ<sup>(٢)</sup> وَأَنَّ مِنْ يَمْلِكُ الْبَعْضَ لَيْسَ كَمَنْ يَمْلِكُ الْكُلُّ. وَأَنَّ الْخَلْقَ كُلُّهُ لِلَّهِ يَبْيَطُ وَيَحْبِي، وَيَقْرَرُ وَيَعْنِي، وَيَصْحَّ وَيَسْقُمُ، وَيَبْتَدِئُ بِالنَّعْمَ مِنْ يَشَاءُ، وَيَصْطَفِي لِلرِّسَالَةِ مِنْ شَاءَ، وَيُؤْرِيْهُ بِالتَّوْفِيقِ وَيَمْلِأُ قَلْبَهُ، وَيَعْصِمُهُ مِنَ الذَّنْبِ، وَيَجْعَلُ مِنْ بَيْنِ يَدِيهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصْدًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَإِنَّهُ لَوْ لَمْ يَرِيدِ الْمُعْصِيَةَ لَمَا هَيَّاهُمْ هَيَّةً لِلْمُعْصِيَةِ، وَلَمَّا رَكَبَ فِيهِمْ آلَهَ الشَّهْوَةِ، كَمَا طَبَعَ الْمَلَائِكَةَ، وَلَا سُلْطَنٌ عَلَيْهِمْ عَدُوُهُمْ ثُمَّ أَمْرَهُمْ بِالْإِخْرَاسِ، وَأَنَّ لِلْفَسِيفِ الْإِخْرَاسَ مَنْ حَرَسَتْ مِنْهُ السَّمُومَاتِ بِالنَّجُومِ، وَمَنْعَ مِنْهُ الْإِسْتِمَاعَ بِالرِّجُومِ<sup>(٣)</sup> وَجَعَلَ لَهُ السَّبِيلَ إِلَى الْقُلُوبِ مِنْ حِيثِ لَا يَرِيْهُ فَهُوَ يَجْرِي مَجْرِيَ الدَّمِ<sup>(٤)</sup> وَيُوسُوسُ وَيَخْنُسُ<sup>(٥)</sup> وَلَا يَعْصِمُهُ اللَّهُ؟ وَلَا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ لِلأَرْضِ وَأَسْكَنَهُ الْجَنَّةَ وَحَرَمَ عَلَيْهِ الشَّجَرَةَ، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ سَيَغْرِيْهُ فَيَغُرِيْهُ، وَيُسْتَرِلُ فِي زِلْ، حَتَّىٰ يَخْرُجَ مِنْهَا إِلَى حِيثَ جَعَلَ لَهُ فِيهِ مُسْتَقْرَأً وَمَتَاعًا إِلَى حَيْنِ، وَلَمَّا اطْرَدَ لَهُمُ الْقَوْلَ عَلَىٰ مَا أَصْلَوْا<sup>(٦)</sup> وَرَأَوْهُ حَسْنَ الظَّاهِرِ قَرِيبًا مِنَ النُّفُوسِ، يَرُونَ السَّامِعِينَ، وَيَسْتَمِيلُ قُلُوبَ الْغَافِلِينَ، نَظَرُوا فِي كِتَابِ اللَّهِ فَوَجَدُوهُ يَنْقُضُ مَا قَاسُوا<sup>(٧)</sup> وَيُبْطِلُ مَا أَسْسُوا، فَطَلَبُوا لَهُ التَّأْوِيلَاتِ الْمُسْتَكْرَهَةِ، وَالْمُخَارِجَ الْبَعِيْدَةِ وَجَعَلُوهُ عَوِيْصًا وَالْغَازَاً. إِنْ كَانُوا لَمْ يَقْدِرُوا مِنْ تِلْكُ الْحِيلَ عَلَىٰ مَا يَصْحُ فِي النَّظَرِ، وَلَا فِي الْلُّغَةِ كَفَولُهُمْ فِي: «يَضْلُلُ مِنْ يَشَاءُ»

(١) إِشارةٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: «مَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ».

(٢) اخْتِلَافُ الْحَكَمَيْنِ: أَيْ حَكْمُ اللَّهِ وَحَكْمُ الْبَشَرِ.

(٣) بِالرِّجُومِ: الرِّجُومُ هُوَ أَصْلًا الرَّوْمَى بِالْحَجَارَةِ.

(٤) يَجْرِي مَجْرِيَ الدَّمِ: هَذَا الْقَوْلُ هُوَ مَضْمُونُ حَدِيثِ نَبِيِّ.

(٥) يَخْنُسُ: خَنْسٌ تَخْلُفُ وَتَوَارِيْ أوْ هُوَ عَادٌ مِنْ حِيثِ أَنَّ.

(٦) أَصْلَوْا: جَعَلُوا لَهُ أَصْلًا.

(٧) قَاسُوا: ابْتَدَعُوا.

[٩٣ - النحل]، ينسبهم إلى الضلال (ويهدي من يشاء) ينسبهم إلى الهدى، وما في نسبتهم إلى ذلك؟ حتى يعید ويیدي، ولو أراد نسبة لقال يضلهم كما يقال يخونهم ويفسقهم ويظلمهم أي ينسبهم إلى الظلم. وقالوا في قوله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [١٠٠ - يومنس] أي ما كان لها أن تؤمن إلا بعلم الله، وعلموا ما يلزمهم إن جعلوا الإذن هنا المشيئة والإطلاق، وذهبوا إلى قول القائل: «آذنتك بالأمر»، أي أعلمتك، وهذا من تأويلهم لا يصح في نظر ولا لغة<sup>(١)</sup>.

أما النظر<sup>(٢)</sup> فإنه لم يقل أحد من الناس إن شيئاً يحدث في الأرض لا يعلمه الله فيقول: (وما كان لنفس أن تؤمن إلا بعلم الله).

وإنما اختلفوا في الأذن الذي هو المشيئة والإطلاق فقال المثبتون<sup>(٣)</sup>: لم يشا الله أن يؤمن جميع الناس، ولو شاء لأمنوا فليس لنفس أن تؤمن حتى يشاء الله ذلك ويطلقه.

وقال أهل القدر: قد شاء الله هذا لكل نفس، وأطلقه فلها أن تؤمن إن شاءت . وفي صدر هذا الكلام دليل على ما قال أهل الإثبات لأن النبي ﷺ كان يحب إيمان قريش فأنزل الله عليه: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمِنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تَكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [٩٩ - يومنس] ثم قال على أثر ذلك: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [١٠٠ - يومنس] يزيد بمشيته وإطلاقه<sup>(٤)</sup> فأول الكلام دليل على آخره، والناس مجتمعون لا يختلفون على أن القائل إذا قال: لو شئت لأتتيتك انه لم يشا إتيانه، ولو شئت لحججت، أنه لم يشا الحج . ولو شئت لتزوجت انه لم يشا الزواج، فكذلك يلزم في ﴿لَوْ شَاءَ﴾

(١) أي هو تأويل باطل.

(٢) النظر: هو يعني هنا العرف.

(٣) المثبتون: ومفردتها المثبت وهو الذي يثبت الصفات الإلهية ويسمون أيضاً الصفاتية.

(٤) إطلاقه: دونما حد أو تحديد.

ربك لامن من في الأرض» [٩٩ - يومن] انه لم يشا ذلك ومثله: «أن لو يشاء الله لهدى الناس جميماً» [٣١ - الرعد] «ولو شئنا لأتينا كل نفس هداها» [١٣ - السجدة] فإن قال: اراد لو شاء لامنوا [إجباراً] ولكنه لم يشا أن يجبرهم على ذلك قيل له: لم يشا على حال<sup>(١)</sup> فاجعله بآي وجه شئت.

وقيل : والله يفعل بعباده ما هو أصلح لهم في كل حال عندهم فاي الأمرين  
كان أصح لهم أن يجبرهم على الإيمان فيؤمنوا أو يخلوهم وشأنونهم فيكفروا .  
فهذا النظر .

وأما اللغة: فإنه لا يجوز فيها أن يجعل الإذن العلم لأنَّه الإذن، ألا ترى  
أن قائلًا لو قال لك: قد آذنتك بخروج الأمير إليناً أيْ أعلمتك خروجه إعلاماً إن  
جوابك كان يكون له قد آذنت لقومك أذناً أيْ سمعته فعلمه. والإيدان الماخوذ  
من الأذن إنما هو ايقاع الخبر في الأذن، والأذن استماعه وعلمه، قال عدي بن  
زيد<sup>(٤)</sup>:

**أيَّهَا الْقُلُوبُ تَعْلَمُ بِذَكْرِنِي** (٣) إِنْ هُمْ مِنْ سَمَاعٍ وَإِذْنٍ  
 وَمِنْهُ أَذْنَانُ الصَّلَاةِ إِنَّمَا هُوَ إِسْمَاعٌ النَّاسِ ذَكْرَهَا حَتَّى يَعْلَمُوا. وَقَوْلُ اللَّهِ عَزَّ  
 وَجَلَّ: «وَأَذْنَانُ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ» [٣ - التَّوْبَةِ] أَيْ إِسْمَاعٌ وَإِعْلَامٌ وَالْإِذْنُ فِي  
 الشَّيْءِ أَنْ تَشَاءُهُ وَتَطْلُقُهُ، تَقُولُ: (أَذْنَتْ لَهُ فِي الْخُرُوفِ أَذْنًا) هَذَا مَا لَيْسَ بِهِ  
 خَفَاءً عَلَى مَنْ نَظَرَ إِلَيْهِ الْلُّغَةُ وَفَهْمُهَا.

وقالوا في قوله عزّ وجلّ: «فمن يرد الله أن يهديه يشرح»<sup>(٤)</sup> صدره

(١) لم يشاء على حال: أي هو يعود إلى مشيّة الله فحسب .

(٢) علی بن زید: هو علی بن زید العبدی کان یسكن الحیرة وعمل کاتباً لکسری ایرویز ملك الفرس وبلغ النعمان بن المنذر عن علی شيء فخافه فاحتال حتی وقع في يده فحبسه ولم یزل علی في حبسه . وقيل ان النعمان قتلہ .

ولعله قصائد غراء ويفلّب عليها طابع المحكمة والمثل وكانت وفاته سنة ٦٠٤ م.

(٣) يندن: بل هو وقد جاء في الحديث (ما أنا من ددن ولا ددن مني).

(٤) يشرح مصدره للإسلام: أن يقذف في قلبه نوراً فينضج ويقبله، كما ورد في الحديث.

للإسلام، ومن يرد أن يصله يجعل صدره ضيقاً حرجاً<sup>(١)</sup> [١٢٥ - الانعام] فجعلوا الإرادة في الهدایة والإضلal للعبد لا لله، وركبوا في ذلك غلطًا وأحوال<sup>(٢)</sup> كلام، والإرادة لا تجوز أن تكون للعبد وقد ولها اسم الله وهو مرفوع بإجماع القراء ولو كان أحد منهم نصب الله لكان أقرب من المعنى الذي أراده وإن كان لا يجوز أيضًا لأنه يضم في الكلام (من) فيكون معناه من يريد من الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ثم يحذف (من) وينصب الله لما نزع حرف الصلة كما يقال «من يسرق القوم مالهم يقطع وهذا ليس يجوز إلا مع حروف معلوقة محكية عند العرب لا تحمل عليها غيرها وتقيسها عليها. وقالوا في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسَ﴾ [١٧٩ - الأعراف] دفعنا وألقينا. واحتاج من احتاج منهم يقول المتنبّع العبد<sup>(٣)</sup> حكاية عن ناقته:

تقول إذا ذرأت لها وضيئني<sup>(٤)</sup> أمدا دينه أبداً ودينسي<sup>(٥)</sup>  
وهذا جهل باللغة وتصحيف<sup>(٦)</sup> وإنما هو ذرأت بالذال غير المعجمة والله<sup>(٧)</sup>  
يقول: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾ بالذال وأحسبيهم سمعوا بقول العرب: (أذرته الدابة عن  
ظهرها) أي ألقته، فتوهموا أن (ذرأنا) من ذلك، وذرأنا في تقدير فعلنا غير  
مهماز، ولو أريد ذلك المعنى لكان: (ولقد أذرتنا لجهنم) وسمعوا بقولهم:  
ذرة الريح، ويقول الله: ﴿فَاصْبِحْ هَشِيمًا﴾<sup>(٨)</sup> تذروه الرياح<sup>(٩)</sup> [٤٥ - الكهف]  
أي تنفسه وتلقنه فتوهموه منه، ولو أريد ذلك لكان ولقد ذرنا لجهنم. وليس

(١) حرجاً: شديد الضيق.

(٢) أحوال: غير مستقيم.

(٣) المتنبّع العبد: هو شاعر جاهلي واسمه عاذل الله محسن بن ثعلب عاش في زمان الملك العربي عمرو بن هند وتوفي سنة ٥٢٠ هجرية.

(٤) وضيئني: وضن الشيء جعل بعضه فوق بعض.

(٥) دينه: دأبه.

(٦) تصحيف: تغير في بعض أحرف الكلمة.

(٧) هشيمًا: المتکسر من كل شيء.

يجوز أن يكون ذرأننا في هذا الموضوع إلا خلقنا، كما قال: «ذرأكم في الأرض» [٧٩ - المؤمنون] وقال: «يذرؤكم فيه» [١١ - الشورى] أي يخلقكم في الرحم، ومنه قيل ذرية الرجل لولده، وإنما هو خلق الله. وقالوا في قوله: «إن هي إلا فتنتك<sup>(١)</sup> تضل بها من شاء ويهدي بها من شاء» [١٥٥ - الأعراف] أراد إن هو إلا اختيارك تضل به من شاء، يعني الفاسقين والفساقون هنا الكافرون، لأنه قال في صدر الآية: «وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا» [٢٦ - البقرة] وكيف يضل الضال، ويهدي المهدى؟ وإن قالوا: يزيد الكافر ضلالاً، والمؤمن هداية، أكذبهم في هذا الموضوع معنى الآية، لأن فتنة القوم بالعجل إنه كان فضة وحلينا، فتحول جسداً له خوار، فارتدوا عن الإسلام وعبدوه، ولم يكن مع موسى بنى إسرائيل كافر . ولو كانوا كفاراً ما غضب ولا ألقى الألواح<sup>(٢)</sup>، فإنما وقع الضلال هنا ب المسلمين<sup>(٣)</sup>. وأما قوله عز وجل: «وما يضل به إلا الفاسقين» فإنه نزل في قوم من اليهود سمعوا قوله عز وجل: «ممثل الدين اتخذوا من دون الله أولياء»<sup>(٤)</sup> كمثل العنكبوت<sup>(٥)</sup> [٤١ - العنكبوت] قوله: «إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً. ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه» [٧٣ - السجدة] فقالوا ما هذه الأمثال التي لا تليق بالله فأنزل الله عز وجل: «إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها» [٢٦ - البقرة] من الذباب والعنكبوت، فقالوا ما أراد بمثل ينكره الناس فيفضل به كثيراً منهم فقال الله تعالى: «فاما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً وما يضل به إلا الفاسقين» [٢٦ - البقرة] تعني

(١) فتنتك: ابتلاؤك.

(٢) ارتدوا عن الإسلام: وذلك لأن الدين عند الله الإسلام أيًا كان الرسول سواء أكان موسى أم عيسى أم محمد صلوات الله عليهم جميعاً.

(٣) الألواح: مفردها لوح وهو هنا ما يكتب عليه، وما يتعلق بالتوراة.

(٤) ب المسلمين: أي مؤمنين برسالة موسى.

(٥) أولياء: مفردتها ولبي وهو يعني هنا رب أو السيد.

اليهود خاصة لأنهم خلوا بالمثل وأنكروا ولم ينكروه غيرهم.

وقد يأتي المحرف<sup>(١)</sup> وظاهره العموم، ومعناه الخصوص كقول موسى عليه السلام : **﴿وَأَنَا أُولُ الْمُؤْمِنِين﴾** [١٤٣ - الأعراف] وقول النبي ﷺ : **﴿لَأَنَّكُوْنَ أُولَ الْمُسْلِمِينَ﴾** [١٦٣ - الأنعام] لم يربدا كل المؤمنين، وكل المسلمين في جميع الأزمنة بل مؤمني زمن موسى ومسلمي زمن نبينا، عليهمما السلام ، وكذلك قوله تعالى في بني إسرائيل : **﴿فَضْلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾** [١٤٠ - الأعراف] لم يفضلهم على محمد ﷺ ، ولا انتهم على أمته وإنما أراد عالمي أزمنتهم.

وشيء لم نزل نسمعه منهم على قديم الأيام قد ارتفسوه لأنفسهم<sup>(٢)</sup> ودونوه في كتبهم ، وأجمع عليه عالمهم وجاهلهم وكهلكم وحدثهم في تأويل قول الله عز وجل : **﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هُوَ وَأَضَلَّ اللَّهَ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ خُشَّاً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾** [٢٣ - الجاثية] وقوله : **﴿إِنَا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا﴾**<sup>(٣)</sup> فهي إلى الأذقان لهم مقمحون وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يصررون<sup>(٤)</sup> [٨ - ٩ - يس] وقوله : **﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ خُشَّاً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾** [٧ - البقرة] وأشبهه هذا انه حكم عليهم ، فإذا نحن تدبّرنا هذا التأويل وقابلنا به التنزيل<sup>(٥)</sup> لم نجد هذا المتأول حمل كتاب الله على مثل هذه التأويلات إلا لإقامة مذهب<sup>(٦)</sup> وحاول بعضهم إبدال بعض حروفه بغيرها فقرأ : **﴿عَذَابٍ أَصَبَّ بِهِ مِنْ أَشَاء﴾** [١٥٦ - الأعراف] بالسين غير المعجمة ، والنصب . وقرأ جميع ما في القرآن من المخلصين بكسر

(١) المحرف: الكلمة أو اللفظ.

(٢) لأنفسهم: أي القدرة فحسب وليس الجهمية.

(٣) إنا جعلنا في عنقهم أغلالاً: وذلك لأن القل يجمع اليد إلى العنق .

(٤) فأغشيناهم فهم لا يصررون: تمثيل لسد طريق الإيمان عنهم .

(٥) التنزيل: القرآن الكريم.

(٦) لإقامة مذهب: لدعم مذهب الكلامي حتى ولو كان ذلك على حساب النص القرآني في تحريفه .

اللام وان كان قرأ بذلك بعض القراء<sup>(١)</sup> يريد أن يجعل الإخلاص لهم ولا يكون الله في ذلك صنع فكيف يصنع بقوله: «إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار»<sup>(٢)</sup> [٤٦ - ص] وقرأ: «ولا يحسين الذين كفروا إنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما» [١٧٨ - آل عمران] بكسر إنما الأولى وفتح الثانية، يريد لا يحسين الذين كفروا إنما نملي لهم ليزدادوا إثما إنما نملي لهم خير لأنفسهم، فحرف المعنى عن جهته ونقله عن سنته، وجعل الإملاء للكفار من الله إنما هو لخير يريد بهم.

وقد حمل بعضهم نفسه على أن قرأ: ليزدادوا إيماناً والحقها في بعض المصاحف طمعاً في أن تبقى على الدهر ويجعلها الناس وجهاً<sup>(٣)</sup> وكيف له ما قدر، والله يقول إلى جنبها: «ولهم عذاب مهين»<sup>(٤)</sup> [١٧٨ - آل عمران].

ولما رأى قوم من أهل الإثبات إفراط هؤلاء في القدر وكثرة بينهم التنازع حمل البغض لهم والمجاج<sup>(٥)</sup> على أن يقابلوا غلوthem بغلو، وعارضوا إفراطهم بإفراط فقالوا بمذهب جهم في الجبر<sup>(٦)</sup> وجعلوا العبد المأمور والمنهي المكلف لا يستطيع من الخير والشر شيئاً على الحقيقة، ولا يفعل شيئاً على الصحة وذهبوا إلى أن كل فعل ينسب إليه فإنما ينسب إليه على المجاز كما يقال في الموات<sup>(٧)</sup> مال الحائط، وإنما يراد أميل . . .

وذهب البرد وإنما ذهب به وكلما الفريقين غالط وعن سوء<sup>(٨)</sup> الحق حائد ولو كان الأمر على ما قالوا ولم يكن القدر سرّاً ولم يكن الناظر فيه كالناظر في

(١) وإن كان قرأ بذلك بعض القراء: وهذا يفيد الشك بصحة هذه القراءة.

(٢) إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار: ذكر الدار: الأخيرة أي ذكرها والعمل بها.

(٣) وجهاً: أي وجه من وجوه القراءة القرآنية عملاً بالحديث: «إنما أنزل القرآن على سبعة أحرف».

(٤) ولهم عذاب مهين: ذراً وإهانة في الآخرة.

(٥) المجاج: التمادي.

(٦) الجبر: وهو يعني سلب الإنسان كل خيار مسكن له في الفعل ليكون كل ما يفعله بقدر ومحاجراً على فعله.

(٧) الموات: الأرض التي لم تزرع ولم تعمر ولا جرى عليها ملك أحد.

(٨) سوء: السوي، المعتدل الذي لا إفراط فيه.

شاعر الشمس ففيما اختصمت الملائكة وفيما احتج عزيز<sup>(\*)</sup> في السؤال حتى محي من ديوان النبوة؟ وفيما احتج آدم وموسى . وإنما صار سراً لأنك ترى قادرًا وهو عاجز، ومؤيداً وهو منزع، وترى حازماً ومحرومًا وعاجزاً مرزوقاً، وشجاعاً مخدولاً ، وجباناً منصوراً وعاقلاً لا يستشار في الأمور، ولا يستعمل<sup>(١)</sup> وساقطاً متهاوناً لا يعقل<sup>(٢)</sup> وعالمين متقاربين في العلم والنظر في الدين خصمين وهما مختلفان فهذا يقول بالإهمال المحسن<sup>(٣)</sup> وهذا يقول بالجبر المحسن وهذا حروري<sup>(٤)</sup> وهذا راضي<sup>(٥)</sup> . وترى أعداء الله يدارون، أولياءه<sup>(٦)</sup> حتى يقتلوهم كل قتلة ويجزفونهم كل مجزف.

وترى الناس أصنافاً في التفضيل فمنهم قوم ابتدأهم الله بالنعم وأسكنهم ريف الأرض وأكرمهم وأخدمهم، وحسن وجوههم، وبيض الوانهم، وسقائهم العذب النقاچ<sup>(٧)</sup> ورزقهم من الطيبات، وأطعمهم من كل الثمرات، ووفر عليهم العقول والأفهام، وفق أنتهم بالحكمة وألباهم بالعلم، وبعث فيهم بالقرب منهم الرسل كأهل هذا الإقليم الذي أسكتنا الله بفضلة . ومنهم أنزلتهم الله أطراف الأرض وجذوة البلاد، وأعراهم، وشوه خلقهم . . . . وسقائهم الملح الأجاج، وجعل أقواتهم الحشرات والنبات، وسلبهم العقول . . . . وباعدتهم عنبعث الرسل، ومنتهى الدعوة لهم كالأنعام بل أضل سبيلاً . ثم جعلهم لجهنم حصيناً<sup>(٨)</sup> ولسعيرها

(١) لا يستعمل: أي لا توكل إليه أعماله.

(\*) عزيز: الذين يجيزون الرجعة من اليهود يقولون إن عزيز أماته الله مائة عام ثم بعثه.

(٢) لا يعقل: أي يطلب للعمل بصورة دائمة.

(٣) الإهمال المحسن: أي مطلق حرية الإنسان في الفعل مع كامل مسؤوليته عن ذلك.

(٤) حروري: مفرد حرورية وهم الخارجون . حرورية نسبة إلى حرورة وهو مكان بظاهر الكوفة ومنه

خرج أول الخارج على الإمام علي بن أبي طالب.

(٥) راضي: وهو مفرد راضية وهم غالبة الشيعة . والذين رفضوا إماماً زيد بن علي.

(٦) أولياءه: عباده.

(٧) النقاچ: الصافي - ولكن الله يقول: هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميماً [البقرة ٢٩] ليتنافى التمييز.

(٨) حصيناً: حصبه: رماه بالحجارة.

وقوداً.. كالزنوج<sup>(١)</sup> وصنوف كثيرة من السودان<sup>(٢)</sup> وأصناف الأعاجم ويأجوج وماجوج<sup>(٣)</sup> فهل لهؤلاء أن يحتاجوا على الله بما منح غيرهم ومنعهم؟ لا لعمر الله ما لأحد عليه حجّة ولا قبله حق ولا فيما خلق شرك بل له الحجّة البالغة. وهو الفعال لما يريد.

وعدل القسول في القدر ان تعلم ان الله عدل لا يجور.. كيف خلق، وكيف قدر، وكيف أعطى، وكيف منع<sup>(٤)</sup> وأنه لا يخرج من قدرته شيء، ولا يكون في ملكته في السموات والأرض إلا ما أراد، وأنه لا دين لأحد عليه ولا حق لأحد قبله، فإن أعطى فيفضل، وإن منع فيعدل. وإن العباد يستطيعون ويعملون ويجزون بما يكسبون. وإن الله لطيفة يتتدىء بها من أراد ويتفضّل بها على من أحب، يوقعها في القلوب فيعود بها إلى طاعته. ويعندها من حقّ عليه كلّمته. وهذه جملة ما ينتهي إليه علم ابن آدم من قدر الله عزّ وجلّ وما سوى ذلك مخزون عنه<sup>(٥)</sup>

(١) و (٢) نحن لا نوافق ابن قبيبة - رحمة الله على هذا التصور والتقدير وترك لأكثر من كاتب معاصر أن يرد عليه. فقد قال الكاتب «بيك» في كتابه - قبائل نيجيريا الشمالية: «إن الإسلام لم يترك أثرا عميقاً في التركيب الجنسي لهذه الشعوب وحسب بل أنه جاء بحضارة جديدة أتاحت للشعوب الزنجية طابعاً اختيارياً متميزاً ما يزال واضحاً حتى اليوم مؤثراً في نظمهم السياسية والاجتماعية. ذلك إن الإسلام حمل الحضارة إلى القبائل المتبريرة وحمل تجارتها مع العالم الخارجي ميسورة فقد وسع آفاقهم، ورفع مستوى الحياة بخلق مستوى اجتماعي أرقى، وخلع على أتباعه الكرامة والعزة واحترام الذات واحترام الآخرين. لقد حثّ الإسلام على تعلم القراءة والكتابة وحرّم الخمر وأكل لحوم البشر والأخذ بالثار وغير ذلك من العادات الوحشية وأتاح للزنوجي السوداني الفرصة لأن يصبح مواطناً حرّاً في عالم حرّ».

وقال المستشرق الفرنسي (دوزي) في كتابه تاريخ عرب إسبانيا: «وقد تمكّن الإسلام من التوغل في إفريقيا لأنّه لم يفرق بين الأبيض والأسود، فالناس جميعاً سواسية كاسستان المشط. ولم يتخرج المسلمون من الزواج من الزنجيات وأنجبوا منهم عدداً كبيراً من الأطفال المسلمين الذين لم يكادوا يبلغون سن الشباب حتى ازدادت حيتهم واستند دفاعهم عن الإسلام، وغير ذلك».

(٣) يأجوج وماجوج: قال البيهقي: «ما قيلتان من الترك ومن ولديات بن نوح».

(٤) وكيف منع: أي إن هذه أمور تدخل في سر الله، وهو فوق تصور الإنسان أو تقديره.

(٥) مخزون عنه: أي محظوظ عنه وغير قادر على معرفته.

وتعمق آخرون في النظر، وزعموا أنهم يريدون تصحيح التوحيد ببني التشبيه فأبطلوا الصفات مثل: الحلم، والقدرة، والحلال، والعفو. وأشباه ذلك فقالوا: تقول هو الحليم، ولا تقول بحلم، وهو القادر ولا تقول بقدرة، وهو العالم ولا تقول بعلم كأنهم لم يسمعوا إجماع الناس على أن يقولوا: (أسألك عفوك) وأن يقولوا: (يعفو بحلم، ويعاقب بقدرة) والقدير هو ذو القدرة والعافي هو ذو العفو والجليل هو ذو الجلال، والعليم هو ذو العلم.

فإن زعموا أن هذا لمجاز، قيل لهم ما تقولون في قول القائل: (غفر الله لك، وحلم الله عنك)، أمجاز هوأم حقيقة؟ فإن قالوا: هو مجاز فالله لا يغفر لأحد، ولا يغفر عن أحد، ولا يحلم عن أحد على الحقيقة، ولن يركبوا هذه<sup>(١)</sup> وإن قالوا: حقيقة فقد وجب في المصدر ما وجب في الصدر، لأننا نقول: غفر الله مغفرة، وعفا عفوا وحلم حلماً فمن المحال أن يكون واحد حقيقة والأخر مجازاً. وقال الله: «إِنَّ كَيْدِي مُتِينٌ» [١٨٣ - الأعراف] وأجمع الناس على أن الحول والقوّة لله والحول الحيلة. وقالوا في (سميع بصير) هما سواء، ليس في سماع من المعنى إلا ما في بصير، ولا فيما إلا معنى عليم. وقد سمع الله قول اليهود: «إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ» [١٨١ - آل عمران] حين قالوه وعلمه قبل أن يقولوه، فهل يجوز لأحد أن يقول: إن الله سمعه قبل أن يقولوه؟

و كذلك قول المجادلة<sup>(٢)</sup> في زوجها، قد سمع الله جدالها وسمع محاورتها للنبي (ص) حين جادلته وحاورته، وعلمه قبل أن تجادل وتحاور به، فهل لأحد أن يقول: إن الله قد سمعه قبل أن يكون؟ وإذا لم يجز ذاك فقد علم أن في (سميع) معنى غير معنى (عليم). والله يقول: «إِنِّي مَعْكُمَا أَسْعَى وَأَرِي» [٤٦ - طه].

(١) ولن يركبوا هذه: أي لن يقدموا على ارتکابها.

(٢) المجادلة: وهي خولة بنت شعبة وزوجها هو أبوس بن الصامت وقد كان قال لها أنت على كظهر أمي وذلك ما كان يطلق عليه المظاهره وهو يعني الطلاق.

وقالوا في كلام الله: انه مخلوق<sup>(١)</sup> لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاكَ قَرآنًا عَرَبِيًّا﴾ [٣ - الزخرف] والجعل يعني المخلق، ولأنه قال: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنْ رَّبِّهِمْ مَحْدُثٌ﴾ [٢ - الأنبياء] فكل محدث مخلوق. وإن معنى كلم الله أوجد كلاماً و: ﴿كَلِمَ اللَّهِ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [٦٤ - النساء] أوجد كلاماً سمعه. فخرجوا بهذا التأويل من اللغة ومن المعقول لأن معنى تكلم الله أتي بالكلام من عنده وترحم الله أتي بالرحمة من عنده كما يقال: تخشع فلان أتي بالخشوع من نفسه وتشجع أتي بالشجاعة من نفسه، وتبتل<sup>(٢)</sup> أتي بالتبتل من نفسه، وتحلم أتي بالحلم من نفسه، ولو كان المراد (أوجد كلاماً) لم يجز أن يقال (تكلم) وكان الواجب أن يقال (أكلم) كما يقال (أقبح الرجل أتي بالقباحة) و(أطلب) أتي بالطيب، و(أحسن) أتي بالخسارة وأن يقال: (أكلم الله موسى كلاماً) كما يقال: (أقبر الله الميت) أي جعل له قبراً، أو (أرعى الله الماشية) جعلها ترعى وأشباه هذا كثيرة لا تخفي على أهل اللغة.

والعرب تسمى الكلام لساناً لأنه عن اللسان يكون قال الشاعر وهو أمية

ابن أبي الصلت<sup>(٣)</sup>:

وأسمع كلام الله كيف شكوله<sup>(٤)</sup> ويلستك الذي تستنشد  
أراد أسمع كلام الله ثم قال: ويلستك أي يكلمك الذي تستشنده أي

(١) إنه مخلوق يعزو بعض الباحثين سبب هذا القول عند الجهمية ثم المعتزلة إلى تخوفهم من الواقع في التعذّر في الذات الإلهية وتجاوز الوحدانية أو التوحيد - والقرآن عند الإمامية محدث.

(٢) تبتل: تبتل عن الزواج تركه أو زهد فيه.

(٣) أمية بن أبي الصلت: هو شاعر جاهلي يحصل نسبه بتحقيق: اطلع على كتب القدماء وخصوصاً التوراة. وقد أورد في شعره الفاظاً عربية لم تكن العرب تعرفها وذكر الله بأسماء متعددة وكان مغفورة على التدين، وقاده ذلك إلى الزهد ولبس المسرح. وذكر في شعره إبراهيم وأسماعيل والحنينية ووصف الجنة والنار وحرّم الخمرة وشك في الأوثان وطمع في النبوة ولما ظهر النبي محمد (ص) أسقط في يده وقال فيه رسول الله وهذا رجل اسلم لسانه (ولم يؤمن قلبه) ولأممية قصائد في حوادث التوراة كخراب سليم. وتوفي سنة ٦٦٤ م.

(٤) شكوله: صورته.

يكلّمك . وقال الله عز وجل حكاية عن إبراهيم : «واجعل لي لسان صدق في الآخرين » [٨٤ - الشعراو<sup>(١)</sup>]

وقال الشاعر :

لاني أنتني لسان لا اسرّ بها

أي أخبرت .

وأما استشهادهم (بالجعل) على خلق القرآن في قول الله ﴿إنا جعلناه قرآنًا حربيا﴾ [٣ - الزخرف] فإن العمل يكون بمعنىين أحدهما خلق ، والأخر غير خلق .

فاما الموضع الذي يكون فيه خلقنا فإذا رأيته متعدياً إلى مفعول واحد لا يجاوزه كقول الله : «خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور» [١ - النساء] [١ - الأنعام] فهذا بمعنى خلق ، وكذلك : «وخلق منها زوجها» [١ - النساء] أي خلق منها - وأما الموضع الذي يكون فيه غير الخلق ، فإذا رأيته متعدياً إلى مفعولين كقوله : «وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً» [٩١ - النحل] أي صيرتم ، وكقوله : «فجعلناها نكالاً»<sup>(٢)</sup> لما بين يديها وما خلفها [٦٦ - البقرة] وكقول القائل : (جعل فلان أمر امرأته في يدها)<sup>(٤)</sup> فإن هم وجدوا في القرآن كله جعل ، متعدية إلى القرآن وحده ليقضوا عليه بالخلق فتحن تابعهم<sup>(٥)</sup> وكذلك المحدث ليس هو في موضع معنى مخلوق فإن أنكروا فليقولوا في قول الله : «لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً» [١ - الطلاق] انه يخلق وكذلك قوله : «لم يتعلّم يتقوون أو يحدث لهم ذكرًا» [١١٣ - طه] أي يحدث لهم القرآن ذكرأ ، والمعنى يحدث عندهم ما لم يكن .

(١) لسان صدق في الآخرين : أي ثناه حتى لدى الآخرين إلى يوم القيمة .

(٢) كفيلاً : ضامناً .

(٣) نكالاً : النكال : العقاب أو النازلة .

(٤) جعل فلان أمر امرأته في يدها : أي أوكل إليها أمر طلاقها منه وليس له .

(٥) فتحن تابعهم : وهذا يفيد التحدى المعجز .

وكذلك قوله: «ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث»، أي ذكر حدث عندهم لم يكن قبل ذلك، وفعلوا في كتاب الله أكثر مما فعل الأولون في تحريف التأويل عن جهته، فقالوا في قول الله **﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾** [٦٤ - المائدة] إن اليد هبنا النعمة.

وما ننكر أن اليد قد تتصرف على ثلاثة وجوه من التأويل أحدها النعمة. والآخر القوة من الله: **﴿أُولَئِكَ الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارُ﴾** [٤٥ - ص] ي يريد أولي القوة في دين الله والبصائر: ومنه يقول الناس: (ما لي بهذا الأمر) يعنيون ما لي به طاقة والوجه الثالث: اليد بعينها<sup>(١)</sup> ولكنه لا يجوز أن يكون أراد في هذا الموضع النعمة لأنه قال: **﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾** [٦٤ - المائدة] والنعم لا تنفل وقال: **﴿غَلَّتِ أَيْدِيهِمْ﴾** [٦٤ - المائدة] معارضه لمثل ما قالوا. ولا يجوز أن يكون أراد غلت نعمهم ثم قال: **﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوتَانِ﴾** [٦٤ - المائدة] ولا يجوز أن يريد (نعماته مبوسطتان) وكان مما احتجوا به للنعمة قوله (غلت أيديهم). لو أراد اليد بعينها لم يكن في الأرض يهودي غير مغلول اليد.

فما أعجب هذا الجهل والتعسف<sup>(٢)</sup> في القول بغير علم ألم يسمعوا بقول الله تعالى: **﴿قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ﴾** [١٧ - عبس] ويقوله: **﴿قَاتَلُوكُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفِكُونَ﴾**<sup>(٣)</sup> [٣٠ - التوبية] وقوله: **﴿لَعْنَا بِمَا قَالُوا﴾** [٦٤ - المائدة] واللعنة الطرد. فهل قتل الله الناس جميعاً؟ وهل قتل قوماً وطرد آخرين؟ ولم يسمعوا بقول العرب: (قاتل الله ما أبطشه) و(أنجز الله ما أشرعه)؟ ويقول النبي ﷺ لرجل (تربيت يداه) أي افتر ولم يفتقر ولمراة: (عقرى<sup>(٤)</sup> حلقى) ولم يعقرها الله، ولا أصاب حلقها بوجع، فإن قال لنا: ما اليدان هبنا؟ قلنا له هما اليدان اللتان تعرف الناس<sup>(٥)</sup>.

(١) بعينها: ولكن بلا قول بكيف.

(٢) التعسف: التخلف في الكلام، أو المجرور.

(٣) يؤفكون: يصرفون عن الحق مع قيام الدليل.

(٤) عقرى: عقر، عقرأً: عقم.

(٥) ولكن دون كيف أو حد.

كذلك قال ابن عباس<sup>(١)</sup> في هذه الآية: (اليدان اليدان) وقال النبي ﷺ: (كلتا يديه يمين) فهل يجوز لأحد أن يجعل اليدين هنالك نعمتان؟ وقال: «لما خلقت بيدي» [ص - ٧٥] فنحن نقول كما قال الله تعالى، وكما قال رسوله، ولا تتجاهل، ولا يحملنا ما نحن فيه من نفي التشبيه على أن ننكر ما وصف به نفسه، ولكننا لا نقول كيف اليدان؟ وإن سئلنا نقتصر على جملة ما قال؛ ونمسك بما لم يقل. وتأويل الآية: إن اليهود قالت: «يد الله مغلولة» أي ممسكة عن العطاء، فضرب الغل في اليد مثلاً لأنه يقبض اليد عن أن تمتد وتتبسط كما تقبض يد البخيل، فقال الله تعالى: «غلت أيديهم» أي قبضت عن العطاء والإإنفاق في الخير، والبر، «ولعنوا بما قالوا بـل يداه مبوسطتان» [٦٤ - المائدة] بالعطاء: «يتفق كيف يشاء» [٦٤ - المائدة]. ومثله قوله «إِنَّا جَعَلْنَا لِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهُمْ إِلَى الْأَذْفَانِ فَهُمْ مَقْمُوْنُونَ» [٨ - يس] أي قبضت أيديهم عن الإنفاق في سبيل الله بموانع كالأغلال. وأما قول النبي ﷺ: (كلتا يديه يمين) فإنه أراد معنى التمام والكمال لأن كل شيء فميسره تنقص عن ميمنته في القوة، والبطش والتمام<sup>(٢)</sup>. وكانت العرب تحب التيامن وتكره التيسير لما في اليمين من التمام، وفي اليسار من النقص<sup>(٣)</sup>. ولذلك قيل: اليمين والشّؤم، فاليمين في اليد اليمنى والشّؤم في اليد الشّؤمى وهي اليسرى: وقالوا: فلان ميمون<sup>(٤)</sup> من اليمين ومشئوم من الشّؤم وهي الشمال.

**وقال رسول الله ﷺ في الإبل:** (إن أدبرت أدبرت وإن أقبلت أقبلت ولا

(١) ابن عباس: هو عبد الله بن عبد الله بن عم النبي محمد (ص) وهو أصغر الصحابة ولم يصحب رسول الله (ص) سوى ستين أو ثلاث وعشرين الخليفة الراشدين جميعهم ومات سنة ٦٨ هجرية ويلقب بحبر الأمة وينسب إليه أكثر من مؤلف في غريب القرآن، وقراءات. وهو مرجع ثقة في تفسير وتأويل الكتاب والحديث والفقه.

(٢) فميسره تنقص عن ميمنته: ليس هذا مطلقاً.

(٣) وكانت العرب تحب التيامن وتكره التيسير: وقد عارض بعض شعراء الجاهلية هذا العرف العربي القديم لاسيما الأخذ به في زجر الطير. وقد نهى الإسلام الطير.

(٤) ميمون: يقال ميمون الطالع أي سعيد الطالع أو الحظ.

يأتي نفعها من جانبها الأشأم) يعني الأيسر؛ ويمكن أيضاً أن يزيد العطاء باليدين جميعاً لأن اليمنى هي المعطية، فإذا كانت اليدان يميناً كان العطاء بهما. قال رسول الله ﷺ: «يَمِنُ اللَّهِ سَحَاءٌ لَا يَغْيِضُهَا شَيْءٌ اللَّيلُ وَالنَّهَارُ» أي تصب العطاء ولا ينقصها ذلك. وإلى هذا المعنى ذهب المغارب<sup>(١)</sup>:

وَإِنْ عَلَى الْأَوَانَةِ مِنْ عَقِيلٍ فَتَسْكُلْتَا الْيَدَيْنِ لَهُ يَمِنٌ وَقَالُوا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [٢٩ - الحجر] إِنَّ الرُّوحَ أَمْرٌ، أَيْ أُمِرْتَ أَنْ يَكُونَ . . .

واحتاجوا بقول (سليمان)<sup>(٢)</sup> وأبي الدرداء<sup>(٣)</sup>: (إِنَّا نَقُومُ فَنَكْبُرُ بِرُوحِ اللَّهِ) أَيْ بِكَلَامِهِ . . . وَالرُّوحُ كَمَا ذَكَرُوا قَدْ يَكُونُ كَلَامُ اللَّهِ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ نَحْوُ قَوْلِهِ: ﴿يَلْقَى الرُّوحُ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [١٥ - غافر] وَكَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ وَالرُّوحُ أَيْضًا رُوحُ الْأَجْسَامِ الَّتِي يَقْبِضُهُ اللَّهُ عِنْدَ الْمَهَاتِ، وَالرُّوحُ أَيْضًا مَلِكُ الْعَظِيمِ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ . . . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفَّا﴾ [٣٨ - النَّبَأُ] وَالرُّوحُ الرَّحْمَةُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَيَّدُهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ [٢٢ - المجادلة] أَيْ بِرَحْمَةٍ، كَذَلِكَ قَالَ الْمُفَسِّرُونَ . . . وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ﴾ [٨٩ - الواقعة] فَمَنْ قَرَأَ بِالضمِّ ارَادَ فَرْحَمَةً وَرَزْقًا . . . وَيَقُولُ فِي قَبَاءِ وَرْزَقٍ . . . وَالرُّوحُ النَّفِخَةُ وَسُمِّيَ رُوحًا لَأَنَّهُ رَبِيعٌ يَخْرُجُ عَنِ الرُّوحِ، وَأَيْ شَيْءٌ جَعَلَتِ الرُّوحُ مِنْ هَذِهِ التَّأْوِيلَاتِ . . . فَإِنَّ «نَفَخْتُ» لَا يَحْتَمِلُ إِلَّا

(١) سبق التعريف به.

(٢) سليمان: والاصح عندي هو سلمان الفارسي وقد كان مجوسياً فتتصدر. وجده في البحث عن عقيدة فرحل إلى الشام، ثم إلى برب حيث التقى النبي محمد<sup>(ص)</sup> بعد الهجرة واعتنق الإسلام وأصبح من مشهوري الصحابة. أشار بحفر خندق في الأماكن الضعيفة للمدينة فحملها من هجوم الأحزاب في غزوة الخندق. اشتهر بالزهد والتشفى وكان من أهل الصفة ومؤسس التصوف. ويعنيه الحديث. سلمان من آل البيت. وتوفي سنة ٦٠٠ م.

(٣) أبو الدرداء: صحابي يشك في أمر اشتراكه في غزوة أحد. يعتبر من أكبر العالمين بالقرآن. وكان في عهد عثمان بن عفان أماماً وقاضاها بدمشق وفارقتها في زمن معاوية بن أبي سفيان. وتوفي سنة ٦٥٢ م.

معنى واحداً قال ذو الرمة<sup>(١)</sup> وذكر ناراً قدحها:

وقلت له ارفعها إليك وأحيها بسرورك واقت<sup>(٢)</sup> لهاقيبة قدرا  
يقول أخي النار بنفخك. فتحن نؤمن بالنفع وبالسرور ولا نقول كيف  
ذلك، لأن الواجب علينا أن ننتهي في صفات الله إلى حيث انتهى في صفتة. أو  
حيث انتهى رسول الله<sup>(٣)</sup> ولا نزيل اللفظ عما تعرفه العرب<sup>(٤)</sup>، ونضعه عليه  
ونمسك عما سوى ذلك.

وقالوا في قوله: «وجوه يومند ناضرة إلى ربها ناظرة» [٢٣ - القيامة] أي  
منتظرة. والعرب تقول نظرتك وانتظرتك بمعنى واحد، ومنه قوله تعالى:  
«انظرونا نقبس من نوركم» [١٣ - الحديد] أي انتظرونا، وقال الحطيئة<sup>(٤)</sup>  
وقد نظرتكم ايضاء صادرة للخمس طال بها حوزي<sup>(٥)</sup> وتناسي<sup>(٦)</sup>

(١) ذو الرمة: هو غيلان بن نهيس من مصر وهو أحد الشعراء العتبيين وصاحبته مية بنت مقاتل  
المتنري وكانت جميلة وكان هو دمياً. وكان كثير الأخذ في شعره من غيره، ودخل بين جرير  
والفرزدق لما نهاجا فكان مع الفرزدق على جرير وهو من أصحاب الملحمات وتوفي سنة ١١٧  
هجرية.

(٢) واقت: قات: تابع. عظم.

(٣) وذلك لأن العربية هي لسان العرب قبل أن تكون لغة القرآن. ومن هنا كان رجوع ابن عباس  
في تفسير غريب القرآن ومشكله إلى شعر العرب وكلامهم. وكذلك فعل كثيرون بعده ولعل هذا  
الاتجاه هو الأسلم لتجنب تحويل النص القرآني أو النبوي ما ليس له كما يفعل أصحاب البدع  
والأهواء. ويصدق هنا القول بأن لا تفقه في الإسلام إلا بعد تفقهه في العربية، ويصح أيضاً قول  
الدكتور طه حسين بأن القرآن الكريم هو مرجع العربية الفصحي.

(٤) الحطيئة: هو جرول بن أوس من بني عبس وهو من فحول الشعراء ومقديهم وكان إذا نزل مدينة أو  
نجعاً دب الخوف في أهلها وأوصلوا له العطاء خوفاً من لسانه. وأكثر هجائه في الزيرقان  
ويعيش بن عامر. وللحطيئة أشعار كثيرة جمعت في ديوان وطبع عدّة مرات. وكانت وفاته سنة ٥٤  
هجرية.

(٥) حوزي: سوق.

(٦) تناس: التناسى.

أي أي انتظركم . وما ننكر ان نظرت قد تكون بمعنى انتظرت وأن الناظر قد يكون بمعنى المستظر غير أنه يقال : أفالك ناظر أي أفالك مستظر ولا يقال أنا اليك ناظر أي إليك مستظر إلا أن يريد نظر العين ، والله يقول : ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ ولم يقل لربها ناظرة ، فيحتمل ما تأولوا . فاما دفعهم<sup>(١)</sup> نظر العين يقول الله تعالى : ﴿لا تدركه الأ بصار وهو يدرك الأ بصار﴾ [١٠٣ - الأنعام] ويقول موسى عليه السلام : ﴿رب أرنى أنظر إليك قال لن تراني﴾ [١٤٣ - الأعراف] فإنه أراد (لا تدركه الأ بصار) في الدنيا . وأراد (لن تراني) في الدنيا لأنه تعالى احتجب عن جميع خلقه في الدنيا ، وتجلى لهم يوم الحساب ويوم الجزاء والقصاص فرونـه كما يرى القمر في ليلة البدار لا يختلفون فيه كما لا يختلفون في القمر<sup>(٢)</sup> ولم يقع التشبيه بها على حالات القمر من التدوير والمسير والحدود وغير ذلك . وإنما وقع التشبيه بها في أن ادراكه يوم القيمة كإدراكنا القمر ليلة البدار لا يختلف في ذلك كما لا يختلف في هذا .

والعرب تضرب بالقمر المثل في الشهرة والظهور قال ذو الرمة :

فقد بهرت<sup>(٣)</sup> فما تخض على أحد إلا على أحد لا يعرف القمرا

ويقولون هذا أبين من الشمس ومن فلق الصبح<sup>(٤)</sup> وأشهر من القمر وحديث رسول الله قاض على الكتاب ومفسر له ، والخبر في الرواية<sup>(٥)</sup> ليس من الأخبار التي لا يدفعها إلا جاهل أو معاند ظالم لتابع الروايات به من الجهات الكثيرة عن الثقات ، فلما قال الله عز وجل : ﴿لا تدركه الأ بصار﴾ وجاء عن رسول الله<sup>(٦)</sup> : (ترون الله يوم القيمة) لم يخف على ذي نظر أنه في وقت دون وقت .

(١) دفعهم : رفضهم .

(٢) كما لا يختلفون في القمر : وذلك يعني أن الاختلاف يكون أول الشهر عند طلب الناس الهلال .

(٣) بهرت : سطع نورها .

(٤) فلق الصبح : فلق الله الصبح أبداً وأوضحته .

(٥) وقال عنه الكاتب في كتابه «تأويل مختلف الحديث» إن هذا الحديث صحيح لا يجوز على مثله الكلب ... ص ٢٠٥ .

وفي قول موسى عليه السلام أيضاً «رب ارني انظر إليك» أين الدلالة بأنه يرى في القيامة. ولو كان الله لا يرى في حال من الأحوال، ولا يجوز عليه النظر لكان موسى قد خفي عليه من صفة الله ما علموه.

ومن قال أن الله يدرك بالبصر يوم القيمة. فقد حده<sup>(١)</sup> عندهم ومن كان الله عنده محدوداً فقد شبهه بالمخلوقين، ومن شبهه عندهم بالخلق فقد كفر. فما تقول في موسى فيما بين أن نبأه الله عز وجل وكلمه من الشجرة<sup>(٢)</sup> إلى الوقت الذي قال له فيه: (أرني أنظر إليك) أتفضي عليه بأنه كان مشبياً لله محدوداً لا لعمر الله، ما يجوز أن يجعل موسى من الله مثل هذا لو كان على تقديرهم، ولكن موسى علم أن الله يرى يوم القيمة فسأل الله أن يجعل له في الدنيا ما أحله لأنبيائه وأوليائه يوم القيمة فقال: (لن تراني) يعني في الدنيا. «ولكن انظر إلى الجبل<sup>(٣)</sup> فإن استقر<sup>(٤)</sup> مكانه فسوف تراني» [١٤٣ - الأعراف] أعلمه أن الجبل لا يقوم لتجلئه حتى يصير دكاً. وإن الجبال إذا ضعفت عن احتمال ذلك فابن آدم أخرى أن يكون أضعف إلى أن يعطيه الله يوم القيمة ما يقوى به على النظر، ويكشف عن نظره الغطاء الذي كان في الدنيا فيصير بعد الكلال حديداً<sup>(٥)</sup>. والتجلئ هو الظهور ومنه يقال: جلوت المرأة والسيف إذا أظهرتهما من الصدأ وجلوت العروس إذا أبرزتها.

وقالوا في قوله: «تعلم ما في نفسك ولا أعلم ما في نفسك» [١١٦ - المائدة] أي تعلم ما عندي ولا أعلم ما عندك كما قال: «وعنه مفاتع الغيب»<sup>(٦)</sup> [٥٩ - الأنعام] كما يقول القائل عندي علم ذاك. وهذا كما ذهبوا إليه

(١) حده: جعل له حدّاً.

(٢) وكلمه من الشجرة: يرى الحلاج أن الله لم يكلم موسى من الشجرة ولكنه أوصى إليها بالكلام (الطواسين) وهو قريب مما يقوله الإمامية.

(٣) ولكن انظر إلى الجبل: أي الذي هو أقوى منه.

(٤) فإن استقر: ثبت.

(٥) حديد: نافذ.

(٦) مفاتع: أسرار.

في احتمال التأويل على بعد، والله أعلم بما أراد، ولكن (عند) تدل على قرب وهم يزعمون أن الله تعالى لا يكون إلى شيء أقرب منه إلى شيء آخر، وأنه على العرش استوى في الحقيقة مثله في الأرض<sup>(١)</sup> والعجب لقوم لا يؤمنون إلا بما يصح في المعقول ثم خرجوا من كل معقول بقولهم: «إن الله في كل مكان بغير مماسة ولا مبaitة ويغير موافقة ولا مفارقة وقد قال أمية<sup>(٢)</sup> يذكر قرب<sup>(٣)</sup> موسى عليه السلام من الله حين كلامه:

وهو أقرب الأسماء إلى الله كقرب المداد لمنوال  
يقول وهو كقرب مداد التوب من الخشبة التي ينسج الشوب عليها. والله  
يقول: «وقربناه نجيا» [٥٢ - مريم] النجي في معنى المناجي وهو من كلام  
من قرب كما يقال مجلس مجالس، وأكيل مؤاكل كذلك كلّيم الله بمعنى مكالم  
الله وخليل الله بمعنى مخال الله. قال الله عزّ وجلّ: «خلصوا نجيا»  
[٨٠ - يوسف] وقال أبو زيد<sup>(٤)</sup> يذكر رجلاً ساور<sup>(٥)</sup> الأسد:

وثار عليه إعصاراً وهيجاً نجياً ليس بينهما مجلس  
يريد ان كل واحد قرب من الآخر.

وطلبوا للعرش<sup>(٦)</sup> معنى غير السرير، والعلماء بالله لا يعرفون للعرش  
معنى إلا السرير وما عرش من السقوف وأشباهها. وقال أمية بن أبي الصلت:

مجدوا الله وهو لل Mage أهل ربنا في السماء أمسى كبيرا  
بالبناء الأعلى الذي سبق النّاس وسوى فوق السماء سريرا

(١) مثله في الأرض. وهذا ما قال به النبي إبراهيم عليه السلام.

(٢) أمية: أي أمية بن أبي الصلت.

(٣) يذكر قرب موسى: قد استثنى ذلك من قراءته للتوراة.

(٤) أبو زيد: هو أبو زيد الطائي وكان يكثر من زياراته لل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(٥) ساور: يساور يواثب.

(٦) للعرش: أي عرش الله تعالى . . .

شرجعا<sup>(١)</sup> لا يناله بصر العين ترى دونك الملائكة صورا<sup>(٢)</sup>  
وطلبوا للكرسي غير ما نعلم، وجاوزوا بشرط بيت لا يعرف ما هو ولا  
يدري من قائله ولا يكرسي علم الله مخلوق، والكرسي غير مهموز بإجماع  
الناس ويكرسي<sup>(٣)</sup> مهموز.

وقالوا في رسول الله عز وجل: «خلق الإنسان من عجل»<sup>(٤)</sup>  
[٣٧ - الأنبياء] أي من طين وجاوزوا بيت لا يعرف ولا يدرى من قاله:  
والحب بيت بين الماء والعجل

لما اشتبه عليهم قوله: (خلق الإنسان من عجل) تمخلوا له هذه الحيلة  
من المقدم والمؤخر. أراد خلق العجل من الإنسان ومثله كثير. وزهروا الله فيما  
زعموا عن أن يكون خليلاً لمخلوقه لأن الخلة الصداقة، فقالوا في قوله تعالى:  
«واتخذ الله إبراهيم خليلا» [١٢٥ - النساء] اتخذه فقيراً إليه وجعلوه من الخلة  
بنصب الخاء واحتتجوا بقول زهير<sup>(٥)</sup>:

ولأن أباه خليل يوم مسألة يقول لا غائب ماله ولا حرم  
أي فقير، ففيما لهن العقول وهذا النظر! أما سمعوا ويعهم بإجماع  
الناس جمياً على أن الخلة بضم الخاء لإبراهيم، وعلى أن موسى كليم الله  
وابراهيم خليل الله وعيسى روح الله. فإن كان معنى خليل الله الفقير إلى الله فائي  
فضيلة لإبراهيم في هذا القول إذ كان الناس جمياً فقراء إلى الله. والعجب لهم

(١) شرجعا: العرش.

(٢) صورا: هراأصور إلى كلذا إذا مال عنقه.

(٣) يكرسي: يحيط بعلم.

(٤) خلق الإنسان من عجل: أي أنه لكثره عجله في أعماله فكان خلق منه.

(٥) زهير: هو زهير بن أبي سلمي من قبيلة مزينة وهو أحد كبار شعراء الجاهلية. ثنا وترعرع في ظهراني قبيلة أمة غطفان. ورעה حاله بشامة في شأنه الشعرية. وأحسن هدایته في هذا المجال واشتهر بمحنة هرم بن ستان والحارث بن عوف. وأطلق عليه حكيم الجاهلية وقاضيها، وتوفي

سنة ٦١٥ م.

كيف لم يقولوا في قول الناس: موسى كليم الله إنه جريح الله من الكلم<sup>(١)</sup> أو من معنى آخر، ما منهم من ذلك إلا أن الله يقول: «إني أصطفيتك<sup>(٢)</sup> على الناس<sup>(٣)</sup> برسالاتي وبكلامي<sup>(٤)</sup>» [١٤٤ - الأعراف] فضاق عليهم الاحتيال وما أشبه هذا بقولهم في «وعصى آدم رباه فغوى»<sup>(٥)</sup> [١٢١ - طه] أي بشم من أكل الشجر وذهبوا إلى قول العرب: غوى الفضيل إذا أتخدم: وهذا غوى يغوى وذاك غوى يغوي بكسر الواو غياً ولو وجدوا في (وعصى آدم) مثل هذا التأويل لقالوه.

وقالوا في قوله: «الرحمن على العرش استوى» [٥ - طه] إنه استولى. وليس يعرف في اللغة، استویت على الدار أي استوليت وإنما استوى في هذا المكان استقر، كما قال تعالى: «فَإِنْ اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفَلَكِ» [٢٨ - المؤمنون] أي استقرت. وقد يقول الرجل لصاحبه إذ رأه مستوفزاً<sup>(٦)</sup> (استوى) يريد (استقر) وأما قوله: «ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّعَادِ» [٢٩ - البقرة] فإنه أراد عدم لها وقصد، فكل من كان في شيء ثم تركه لفراغ أو غير فراغ وعدم لغيره فقد استوى إليه، فهذا مذهب القوم في تأويل الكتاب بأرائهم<sup>(٧)</sup> وعلى ما أصلوا من قولهم.

وأما حديث رسول الله ﷺ فإنهم اعتبرضوه بالنظر فما كان له وجه في النظر من هذه الجهة صدقوا به<sup>(٨)</sup> وما لم يكن له مخرج رذوه واستشنعوا وكذبوا

(١) الكلم: الجرح.

(٢) أصطفيتك: اخترتك.

(٣) على الناس: أهل زمانك.

(٤) بكلامي: أي بتكليمي إليك.

(٥) وعصى آدم رباه فغوى: أي بالأكل من الشجرة. وغوى: أمعن في الضلال.

(٦) مستوفز: مضطرب.

(٧) بأرائهم: أي دون الرجوع في التأويل إلى نص قرآن أو حديث نبوى.

(٨) صدقوا به: وذلك كدليل على عدم أخذهم بمبدأ النقل في قبول الحديث النبوى بل بما يقبل به العقل.

ناقلية، ولم يلتفتوا إلى صحيح من الحديث ولا سقيم فآمنوا بمثل قول النبي ﷺ: (إن قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن) لأنه عندهم يتحمل المخرج في اللغة. وقالوا: (الإصبع النعمة) يذهبون إلى قول الراعي<sup>(١)</sup>: ضعيف العصا بادي العروق<sup>(٢)</sup> ترى له عليها إذا ما أ محل الناس إصبعاً أي ترى له عليها أثراً حسناً.

وكل قول الطفيلي<sup>(٣)</sup> يصف فحل الإبل:

كميت كبكر الناب<sup>(٤)</sup> أحيا بنابه مقاليتها واستحملتهن إصبع يقول لما ضرب في الإبل هذا الفحل عاشت أولادها، وكانت قبل ذلك مقاليت لا يعيش لها ولد. قوله: (استحملتهن إصبع) أي ظهر عليهن أثر حسن من المرعى، والعرب تقول: ما أحسن إصبع فلان على ماله.

ومن تدبر هذا التأويل وجده لا يشากل<sup>(٥)</sup> ما تقدم من قول النبي ﷺ في هذا الحديث لأنَّه قال في دعائه: (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك) فقالت له إحدى أزواجه: أوتخاف يا رسول الله على نفسك؟ فقال: (إنَّ قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الله)<sup>(٦)</sup> فلو كان قلب المؤمن بين نعمتين من نعم

(١) الراعي: هو عبيد بن حصن وسمي بالراعي لكثره وصفه الإبل وجودة لغته في الوصف. وهو من معاصري الفرزدق وجرير. وقد أسكنه جرير في الهجاء وهو من أصحاب الملحمات وتوفي سنة ٩٠١ هجرية ..

(٢) بادي العروق: كثانية عن التحول أو الهاز.

(٣) الطفيلي: هو طفيل بن عوف شاعر جاهلي من الفحول المعدودين. وهو من شعراء قيس ومن أوصاف العرب للخييل. وهو يدخل وصفها في كل باب من شعره.

(٤) الكميت: ما كان لونه بين الأسود والأحمر.  
كبكر الناب: والناب الناقة.

(٥) لا يشากل: لا يتطابق.

(٦) من أصابع الله. قال ابن قتيبة حول هذا الحديث في كتابه تأويل مختلف الحديث ولا نقول أصبع كاصبعنا، لأن كل شيء فيه لا يشبه شيئاً فينا.

الله لكان القلب محفوظاً بيتهنك النعمتين، فلا شيء دعا بالتشبيت؟ ولم اخنج على المرأة التي قالت له: (أ تخاف على نفسك)، يؤكد قولها، وكان ينبغي أن لا يخاف إذا كان القلب محروساً بنعمتين وأنكرروا الحديث الآخر (يحمل الأرض على أصبع وكذا على أصبع وكذا على أصبع) لأن الأصبع ه هنا لا يجوز أن تكون النعمة<sup>(١)</sup>.

وقالوا في الضحك<sup>(٢)</sup>: هو مثل قول العرب: (ضحك الأرض بالنبات) إذا طلع فيها ضروب<sup>(٣)</sup> الزهر، (وضحك المطلعة) إذا اتفق كافورها عن بياضها (وضحك المزن) إذا لمع فيه البرق، وليس من هذه شيء إلا وللضحك فيه معنى حدث فإن كان الضحك الذي فروا منه فيه تشبيه بالإنسان، فإن في هذا تشبيهاً بهذه المعاني.

ولما رأى قوم من الناس إفراط هؤلاء<sup>(٤)</sup> في النفي<sup>(٥)</sup> عارضوهم في التمثيل<sup>(٦)</sup> فقالوا بالتشبيه المحسن والأقطار<sup>(٧)</sup> والحدود وحملوا الألفاظ الجائحة<sup>(٨)</sup> في الحديث كما ظاهرها. وقالوا بالكيفية فيها وحملوا من مستشنع الحديث عرق الخيل، وحديث عرفات<sup>(٩)</sup> وأشباء هذا من الموضوع<sup>(١٠)</sup> ما رأوا أن الإقرار به من السنة وفي إنكاره الريبة، وكلما الفرقين غالط. وقد جعل الله التوسط

(١) وما كان إنكار المعتزلة لهذا الحديث إلا لخوفهم من الواقع في التشبيه.

(٢) الضحك: هو ما ينسب إلى الله تعالى في الحديث مثل: «وضحك من كذا».

(٣) ضروب: أنواع.

(٤) هؤلاء: أي الجهمية والمعزلة.

(٥) في النفي: نفي الصفات وكل ما قد ينتمي إلى التشبيه أو يقترب من الظن به.

(٦) في التمثيل: التشبيه أو التجسيم.

(٧) الأقطار: شكل من أشكال التجسيد.

(٨) الألفاظ الجائحة: الواردة.

(٩) وحديث عرفات وهو يروي أن الله جلّ وعلا ينزل في ليلة عرفات إلى السماء الدنيا ويطل (حاشاه) على الحجيج.

(١٠) الموضوع: المزعم، الكاذب.

منزلة العدل ونهى عن الغلو فيما دون صفاته، من أمر ديننا فضلاً عن صفاته، ووضع عنا ان نفكر فيه كيف كان؟ وكيف قدر؟ وكيف خلق؟ ولم يكلفنا ما لم يجعله في تركينا ووسعنا.

وعدل القول في هذه الأخبار أن نؤمن بما صح منها بنقل الثقات<sup>(١)</sup> فنؤمن بالرؤبة<sup>(٢)</sup> والتجلّي وأنه يعجب<sup>(٣)</sup> وينزل إلى السماء... وأنه على العرش استوى، وبالنفس واليدين من غير أن نقول في ذلك بكيفية<sup>(٤)</sup> أو بحد أو ان نقيس على ما جاء ما لم يأت<sup>(٥)</sup> فنرجو أن يكون في ذلك القول والتفسير على سبيل التجاه غداً إن شاء الله تعالى.

وقد رأيت هؤلاء<sup>(٦)</sup> أيضاً حين رأوا غلو الرافضة<sup>(٧)</sup> في حب علي<sup>(٨)</sup> وتقديمه على من قدمه رسول الله ﷺ وصحابته عليه وادعاءهم له شركة النبي

(١) نقل الثقات: التأكيد على الأخذ بالنقل الموثوق في قبول الأحاديث النبوية.

(٢) بالرؤبة: رؤية الله.

(٣) وأنه يعجب إشارة إلى الحديث: «عجب ربكم من لكم وقوتهم وسرعة إجابتكم».

(٤) من غير أن نقول في ذلك بكيفية: قد قال الإمام مالك بن أنس في ( واستوى الله إلى العرش ) الاستواء معلوم والكيف مجهول . والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة .

(٥) ما لم يأت: أي لم يأت به نص .

(٦) هؤلاء: أي من تقدم ذكرهم لا سيما الذين يناصبون منهم عليا العداء .

(٧) الرافضة: غلاة التشيع، ويسمى بالرافضة أيضاً الذين رفضوا إمامية زيد بن الحسين .

(٨) علي: هو علي بن أبي طالب - واسم أبي طالب عبد مناف - . وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم .

وعلي أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأخه رسول الله بالمؤاخاة، وصهره على فاطمة سيدة نساء العالمين . وأحد السابقين إلى الإسلام . وأحد من جمع القرآن وعرضه على النبي ﷺ . وقد قال ابن عباس وزيد بن أرقم وسلمان الفارسي وسواعهم أنه أول من أسلم . . .

وشهد مع رسول الله ﷺ بدرًا وأحداً وسائر المشاهد إلا تبوك . فإن النبي استخلفه على المدينة . وله في جميع المشاهد آثار مشهورة . وأعطيه النبي ﷺ اللواء في مواطن كثيرة . وأعطي الراية في يوم خير . ويوبع بالخلافة بعد من مصرع الخليفة عثمان بن عفان (رض) سنة ٣٥ هجرية . وابتلي بأكثر من حرب داخلية مثل حرب الجمل وحرب صفين . وتتابع الفتوحات واستشهد وهو ينادي للصلوة سنة ٤٠ هجرية .

(ﷺ) في نبوته<sup>(١)</sup> وعلم الغيب للأئمة من ولده<sup>(٢)</sup> وتلك الأقاويل التي جمعت إلى الكذب والكفر إفراط الجهل والغباء. ورأوا شتمهم خيار السلف ويغضهم وتبؤهم منهم<sup>(٣)</sup> قابلوا ذلك أيضاً بالغلو في تأثير عليٍّ كرم الله وجهه، وبخسه حقه<sup>(٤)</sup> ولحقوا في القول، وإن لم يصرحوا، إلى ظلمه واعتدوا عليه بسفك الدماء بغير حق ونسبوه إلى الممالة<sup>(٥)</sup> على قتل عثمان رضي الله عنه<sup>(٦)</sup> وخرجوا بجهلهم عن أئمة الهدى إلى جملة أئمة الفتن ولم يوجبا اسم الخلافة له لاختلاف الناس عليه وأوجبوا ليزيد بن معاوية (٦٤ - ٢٦ هـ) وجعلوا ابنه الحسين عليه السلام<sup>(٧)</sup> خارجياً شافعاً لعصا المسلمين وحلال الدم لقول النبي ﷺ «من خرج على أمتي وهم جميع فاقتلوه كائناً من كان». وسروا بينه في

(١ و ٢) إن الإمام علياً بريء من المغاليين في الم الولاية له وهو الذي قام، كما يقول المقاد في (عيقرية الإمام) بإحرافه (أوائل) الرواقين الذين عبدوه ووصفوه بصفات إلهية.

(٣) وإن الإمام علي بريء من هذا التجاوز في الم الولاية أو التطرف عند الموالين له حتى بالنسبة لمن عادوه وحاربوا وقد عبر عن ذلك بقوله لجماعته: «إن أكره لكم أن تكونوا سبابين».

(٤) وبخسه حقه: أي الانتقام من حقه. وذلك من قول الله تعالى: «ولا تخسوا العيزان».

(٥) الممالة: المساعدة والتعاون.

(٦) عثمان رضي الله عنه: (هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية) ولد في السنة السادسة من الفيل، وأسلم قديماً. وهاجر الهررتين الأولى إلى الحبشة والثانية إلى المدينة.. وتزوج رقية بنت الرسول ﷺ قبل النبوة. ويويع بالخلافة بعد دفن عمر رضي الله عنه بثلاث ليال، وتابع الفتوات. وشب خلافاً لدى حصاره في داره. وكان مصريعه سنة خمس وثلاثين هجرية.

(٧) الحسين بن علي عليه السلام. هو الابن الثاني للإمام علي وأمه فاطمة الزهراء، بنت رسول الله ﷺ وقد ولد سنة ٦٢٥ م. ولبث في المدينة بعد موت أخيه الحسن حتى تولى الخلافة يزيد بن معاوية، فلحق بمكة مع عبد الله بن الزبير، ولم يباعع يزيد. وكانته أهل الكوفة لبيانه. فأرسل ابن عميه مسلم بن عقيل لأخذ البيعة له فباعه نحو ثلاثين ألفاً فولى يزيد الكوفة عبد الله بن زياد فقبض على مسلم وقتلته. وسار الإمام الحسين إلى العراق ووقعت بينه وبين والي الكوفة عبد الله بن زياد بأمر يزيد معركة كربلاً. قاتل الإمام الحسين وأهل بيته وأصحابه فيها بلاء عظيماً وانتهت باستشهاده سنة ٦٨٠ م.

الفضل وبين أهل الشورى<sup>(١)</sup> لأن عمر<sup>(٢)</sup> لسو تبين له فضله لقدمه عليهم، ولم يجعل الأمر شورى بينهم. وأهلوا من ذكره أو روى حديثاً من فضائله حتى تخاصي<sup>(٣)</sup> كثير من المحدثين أن يتحدثوا بها، وعنوا بفضائل عمرو بن العاص<sup>(٤)</sup> ومعاوية<sup>(٥)</sup> كأنهم لا يريدونهما بذلك وإنما يريدونه، فإن قال قائل آخر رسول الله (ص) علي وأبو سبطيه<sup>(٦)</sup> الحسن<sup>(٧)</sup> والحسين . وأصحاب

(١) أهل الشورى: وهم: عثمان بن عفان، علي بن أبي طالب، طلحة بن عبيد الله، الزبير بن العوام، عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص.

(٢) عمر: هو عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين. ولد سنة ٥٨٠ وهو من بنى عدي أحد بطون قريش قبل الهجرة باربع سنوات. ولقبه الرسول ﷺ بالفاروق. اشتراك في معركتي بدر واحد. يادر على أثر وفاة الرسول ﷺ بمبادرة أبي بكر خليفة المسلمين. أوصى أبو بكر بخلافته بعده. تولى الخلافة سنة ٦٣٤. واصل الفتوحات ووفق إلى فتح أكثر من بلد، ووضع كثيراً من الأسس والنظم الإدارية وعرف بحرصه على العدل، وكان يحاسب الولاة على أعمالهم. وجعل الخلافة شورى. طعنه أبو لؤلؤة غيروز - غلام المغيرة بن شعبه في المسجد وتوفي سنة ٦٤٤ م.

(٣) تخاصي: تخاصي، تجنب.

(٤) عمرو بن العاص: ولد عمرو بن العاص سنة ٥٧٥ م. أذن له الخليفة عمر بن الخطاب في فتح مصر، وانتصر على الروم في معارك كثيرة، وحاصر الإسكندرية وفتحها عنوة. وأسس مدينة القسطنطينية، وعزله الخليفة عثمان بن عفان عن ولاية مصر. وشارك معاوية بن أبي سفيان في حرب صفين ضد الإمام علي. وكان أحد صانعي التحكيم فيها. وهو أحد أبرز القادة العرب في الحرب والسياسة. وتوفي سنة ٦٦٣ م.

(٥) معاوية: هو معاوية بن أبي سفيان صهر بن حرب بن أمية أسلم هو وأبوه يوم فتح مكة. وشهد حينها وكان من المؤلفة قلوبيهم. وهو من المعروفين بالدهاء. ولما بعث الخليفة أبو بكر الجوش إلى الشام سار معاوية مع أخيه يزيد بن أبي سفيان، فلما مات يزيد وهي على دمشق وأقام أميراً عشرين سنة .. وخرج على الإمام علي ثم على ولده الحسن. ونزل له الحسن عن الخلافة. وواصل الفتوحات ودعا إلى مبادلة ولده يزيد وتوفي سنة ستين هجرية.

(٦) أبو سبطيه: السبط هو بالنسبة للجد ابن البنت.

(٧) الحسن: هو الحسن بن علي أبو محمد سبط رسول الله ﷺ وأخر الخلفاء بقصمه. ولد سنة ثلاث من الهجرة بريفع بالخلافة سنة ٤٠ هجرية فأقام فيها ستة أشهر وأياماً. وكان نزوله عنها سنة ٤١ هجرية وتوفي بالمدينة مسموماً يسعى من يزيد بن معاوية وكانت وفاته سنة ٤٩ هجرية.

الكساء<sup>(١)</sup>: علي وفاطمة والحسن والحسين.. تعرّت الوجه<sup>(٢)</sup> وطربت .. حسائك الصدور<sup>(٣)</sup> وإن ذكر ذاكر قول النبي<sup>(ص)</sup>: «من كنت مولاه فعلَّي مولاها»<sup>(٤)</sup> و(أنت مني بمنزلة هارون من موسى)<sup>(٥)</sup> وأشباه هذا والتتسوا لتلك الأحاديث المخارج ليتقصّوه ويُخسّوه حقه بغضّاً منهم للرافضة، وإلزاماً على عليه السلام بسيبهم ما لا يلزمهم. وهذا هو الجهل بعينه، والسلامة لك أن لا تهلك بمحبّته ولا تهلك ببغضته<sup>(٦)</sup> وأن لا تحتمل ضغناً عليه بجناية غيره فإن فعلت فانت جاهل مفترط في بغضه، وأن تعرف له مكانته من رسول الله<sup>(ص)</sup> بالتربيّة والأخوة<sup>(٧)</sup> والصهر والصبر في مجاهدة أعدائه<sup>(٨)</sup> ويذلّ مهجّته في الحروب بين يديه مع مكانته في العلم<sup>(٩)</sup> والدين والبأس والفضل من غير أن تتجاوز به الموضع الذي وضعه به خيار السلف، [مع ما] تسمعه من كثير

(١) أصحاب الكساء: قال الله تعالى في سورة [الأحزاب - آية ٣٢]: «إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيذَّهَبَ عَنْكُمُ الرِّجَسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُظْهِرَكُمْ تَطْهِيرًا» والمراد بـ(أهـل الـبـيـت) هنا هـم مـحـمـد وـعـلـي وـفـاطـمـة وـالـحـسـن وـالـحـسـيـن عـلـيـهـمـالـسـلـام وـهـمـأـهـلـالـكـسـاءـوـحـدـيـثـالـكـسـاءـمـشـهـورـ..ـ وـعـنـأـمـسـلـمـةـ زـوـجـ الرـسـولـ(صـ)ـ قـالـتـ: دـعـاـ رـسـولـالـلـهـ عـلـيـهـالـبـلـغـ دـعـاـ فـاطـمـةـ وـالـحـسـنـ وـالـحـسـيـنـ.ـ ثـمـ بـسـبـهـمـ كـسـاءـ خـيـرـيـاـ،ـ وـدـخـلـ مـعـهـمـ فـيـهـ ثـمـ قـالـ: اللـهـمـ مـوـلـاـهـ أـهـلـ بـيـتـيـ الـدـيـنـ وـعـدـتـنـيـ فـيـهـ مـاـ وـعـدـتـنـيـ اللـهـمـ أـذـهـبـ عـنـهـمـ الرـجـسـ وـطـهـرـهـمـ تـطـهـيرـاـ،ـ فـقـالـتـ أـمـ سـلـمـةـ وـأـنـاـ مـعـهـمـ يـاـ رـسـولـالـلـهـ؟ـ قـالـ: بـشـرـىـ يـاـ أـمـ سـلـمـةـ أـنـتـ إـلـىـ خـيـرـ (الـشـيـعـ بـدـرـ الـدـيـنـ الصـانـعـ)ـ كـتـابـ أـهـلـ الـبـيـتـ عـلـيـهـمـالـسـلـامـ صـ148ـ).

(٢) تعرّت الوجه: أصفرت وذلت نضرتها.

(٣) طربت حسائك الصدور: مفردها حسكة وهي العداوة والخذد.

(٤) وقد ورد هذا الحديث في خطبة الغدير على النحو التالي: إن من كنت مولاه فهذا (علي) مولاه وهو أخي ووصي... .

(٥) وقد ورد هذا الحديث بتغيير آخر وهو ما يلي: (إن علي بن أبي طالب أخي ووصي... . الذي محلّه مني محل هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي).

(٦) وهذا ما عنده الإمام علي يقوله: هلك في الثنان محب مقال وكاره مقال.

(٧) وذلك أن النبي عندما آتى بين المهاجرين والأنصار فإنه آتى بين نفسه وعلى.

(٨) ليس من موقعة بالنسبة للنبي (ص) إلا وللإمام علي فيها عظيم البلاء، وفي ذلك أحاديث كثيرة مثل: غداً أعطي الرأية رجلاً يحبه الله ورسوله، ولا نفس إلا علي ولا سيف إلا ذو الفقار.

(٩) لقد أقر أكثر من فقيه وعالم بصحة الحديث القائل: أنا مدينة العلم وعلى باهـاـ.

فضائله، فهم كانوا أعلم به وبغيره. ولأن ما أجمعوا عليه هو العيان<sup>(١)</sup> الذي لا يشك فيه. والأحاديث المنشورة قد يدخلها تحريف وشوب<sup>(٢)</sup> ولو كان إكرامك لرسول الله (ص) هو الذي دعاك إلى محبة من نازع علياً وحاربه.. إذ صحب رسول الله (ص) وخدمه، وكنت قد سلكت في ذلك سبيل المسلم، لأنك بذلك في علي عليه السلام أولى لسابقته<sup>(٣)</sup> وفضله وخاصيته، وقربابته<sup>(٤)</sup> والدناوة<sup>(٥)</sup> التي جعلها الله تعالى بينه وبين رسول الله (ص) عند المباهلة<sup>(٦)</sup> حين قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَدَعْنَا أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ [٦١ - آل عمران] فدعوا حسناً وحسيناً ﴿وَنَسَاءَنَا وَنَسَاءَكُمْ﴾ ٦١ - آل عمران] فدعوا فاطمة عليها السلام ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ [٦١ - آل عمران] فدعوا علياً عليه السلام<sup>(٧)</sup> ومن أراد الله تبصيره بصره ومن أراد به غير ذلك حيده.

ثم انتهى بنا القول إلى ذكر غرضنا من هذا الكتاب وغايتها من اختلاف أهل الحديث في اللفظ بالقرآن وتشائتهم<sup>(٨)</sup> وإكفار بعضهم بعضاً. وليس ما اختلفوا فيه مما يقطع الإلference ولا مما يوجب الوحشة لأنهم يجمعون على أصل واحد وهو القرآن كلام الله غير مخلوق في كل موضع وكل جهة وعلى كل حال. وإنما اختلفوا في فرع لم يفهموه لغموذه، ولطف معناه فتعلق كل فريق منهم بشعبة منه، ولم يكن معهم آلة التمييز ولا فحص النّظارين ولا علم أهل اللغة، فإذا فكر أحدهم في القراءة وجدها قد تكون قرآناً لأن السامع يسمع القراءة

(١) العيان: أي الإثبات بالمشاهدة أو المعاينة.

(٢) شوب: ضعف.

(٣) لسابقته: أي لسابقته في الإسلام.

(٤) وقربابته: فعل ابن عم النبي (ص) وصهره، ورببيه إذ أن الرسول (ص) أقام على تربية علي وتنشئته وهو ما تخطى الرابعة من عمره.

(٥) الدناوة: أي القرابة الأشد التحاماً.

(٦) المباهلة: باهل بعضهم بعضاً أي اجتمعوا فندعوا فاستنزلوا لعنة الله على الظالم منهم.

(٧) فدعوا علياً عليه السلام: أي أن علياً هو للنبي (ص) نفسه. (ابن قتيبة - تأويل مشكل القرآن).

(٨) تشائتهم: تبغضهم.

وسامع القراءة سامع القرآن وقال الله عز وجل: «فاستمعوا لـه» [٢٠٤ - الأعراف] وقال: «حق يسمع كلام الله»<sup>(١)</sup> ووجدوا العرب تسمى القراءة قرآنًا قال الشاعر<sup>(٢)</sup> في عثمان بن عفان رضي الله عنه:  
 ضحروا بأشomez<sup>(٣)</sup> عنوان السجود له يقطع الليل تسبيحاً وقرأنًا  
 أي تسبيحاً وقراءة.

وقال أبو عبيد<sup>(٤)</sup>: يقال قرأت قراءة وقرآنًا بمعنى واحد فجعلها مصادرتين لقرأت وقال الله تعالى: «وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهوداً»<sup>(٥)</sup> [٧٨ - الإسراء] أي قراءة الفجر فيعتقدون من هذه الجهات ان القراءة هي القرآن غير مخلوق ويفكر آخر في القراءة فيجدتها عملاً لأن التواب يقع على عمل، لا على قرآن ونجد الناس يقولون قرأت اليوم كذا وكذا سورة، وأقرات في تقدير فعلت كما تقول ضربت وأكلت، وشربت، ونجدتهم يقولون: قراءة فلان أحسن من قراءة فلان، إنما يريدون إداء فلان للقرآن أحسن من إداء فلان وقراءة فلان أصوب من قراءة فلان وإنما يراد في جميع هذا العمل، لأنه لا يكون

(١) حتى يسمع كلام الله وذلك من قوله تعالى: «وإذا استجاوك أحد من المشركين فأجره حتى يسمع كلام الله».

(٢) الشاعر: هو حسان بن ثابت الانصاري وهو من الشعراء المخضرمين اشتهر في الجاهلية ب مدح ملوك غسان وملوك الحيرة. وانحصاره بعد إسلامه ب مدح النبي والدفاع عنه وكان النبي ﷺ يحضره ويستشهد الأشعار في الدفاع عن المسلمين. وتوفي سنة ٤٥ هجرية.

(٣) أشomez: ش茅ط شعره: اختلط سواده بيابسه.

(٤) أبو عبيد: هو أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي. ولد ببهرة في سنة ٤٥ هجرية. أخذ الأدب عن أكابر أدباء عصره أمثال أبي زيد الانصاري وأبي عبيدة معمر بن المثنى، والأصمسي، وروى عن ابن الأعرابي، والفراء والكسائي، وسمع الحديث من أسماعيل بن عباس وعبد الله بن المبارك. وتلقه على الإمام الشافعي. وصنف كتاباً في القرآن والفقه واللغة والحديث. ومارس القضاء ثماني عشرة سنة وتوفي سنة ٢٢٤ هـ.

(٥) كان مشهوداً تشهد ملائكة الليل والنهار.

قرآن أحسن من قرآن، وإن من قال: (القراءة غير مخلوقة) فقد قال إن أعمال العباد غير مخلوقة<sup>(١)</sup> فلما وقعت هذه الحيرة، ونزلت هذه البلاية فرع<sup>(٢)</sup> الناس إلى علمائهم وذوي رأيهم، فاختلفوا عليهم<sup>(٣)</sup> فقال فريق منهم: القراءة فعل محسن وهي مخلوقة كسائر أفعال العباد والقرآن غيرها، وشبيهوها، والقرآن بالضرب والمضروب والأكل والماكول فاتبعهم على ذلك فريق. وقالت فرقه: هي القرآن بعينه، ومن قال: إن القراءة مخلوقة فقد قال بخلق القرآن، واتبعهم قوم. وقالت فرقه: هذه بدعة لم يتكلم الناس فيها ولم يتتكلفوا ولا تعاطوها. واختلفت عن أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الروايات ورأينا كل فريق منهم يدعى، ويحكى عنه قوله، فإذا كثر الاختلاف في شيء وقع التهاتر<sup>(٤)</sup> في الشهادات به أرجأناه مثل أن الغيناء. ومن عجيب ما حكى مما لا يشك أنه كذب عليه، إذ كان موفقاً بمحمد الله رشيداً أنه قال: (من زعم ان القراءة مخلوقة فهو جهمي، والجهمي كافر. ومن زعم أنها غير مخلوقة، فهو مبتدع، وكل بدعة ضلال)<sup>(٥)</sup>. فكيف يتورّم على أبي عبد الله مثل هذا القول، وأنت تعلم أن الحق لا يخلو من أن يكون في أحد أمرين<sup>(٦)</sup>.

ولذا لم يخل من ذلك صار الحق في كفر أو ضلال. ولم أر في هذا الفرق أقل عذرًا من أمر بالسكتوت والتتجاهل بعد هذه الفتنة، وإنما يجوز أن يؤمر بهذا قبل تفاقم الأمر ووقوع الشحنة، وليس في غرائز الناس احتمال الإمساك عن أمر في الدين قد انتشر هذا الانتشار، وظهر هذا الظهور، ولو

(١) غير واضح في الأصل.

(٢) فرع: لجأ.

(٣) فاختلفوا عليهم: أي في موضوع القراءة.

(٤) التهاتر: هنر هنر أي حق وجهل.

(٥) كل بدعة ضلال: وهذا مضمون حديث.

(٦) أحد أمرين: وهذه قاعدة منطقية معروفة وللتعرّف فيها ابن قتيبة مع الفيلسوف الفرنسي ديكارت في كتابه: «المتيقظ».

أمسك عقلاؤهم ما أمسك جهاؤهم، ولو أمسكت الألسنة ما أمسكت القلوب، وقد كان لهؤلاء أسوة فيمن تقدّمهم من العلماء حين تكلّم جهنم وأبو حنيفة في القرآن<sup>(١)</sup>. ولم يكن دار بين الناس قبل ذلك ولا عرف، ولا كان مما تكلّم الناس فيها، فلما فزع الناس إلى علمائهم لم يقولوا: «هذه بدعة لم يتكلّم الناس فيها ولم يتتكلّفوا، ولكنهم أزالوا الشك باليقين وجلوا الحيرة، وكشفوا الغمة<sup>(٢)</sup>» وأجمع رأيهم على أنه غير مخلوق فأفتوهم بذلك، وأدلو بالحجج والبراهين، وناظروا وقايسوا واستبطنوا<sup>(٣)</sup> الشواهد من كتاب الله<sup>(٤)</sup> عزّ وجلّ كقوله: «ألا له الخلق والأمر» [٥٤ - الأعراف] وقوله: «إِنَّمَا أَنَا أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُنِي» [١٤ - طه].

وأما قوistem: هذه بدعة لم يتكلّم الناس فيها فلا تتتكلّفواها فإنما يفزع الناس إلى العالم في البدعة لا فيها جرت به السنة، وتتكلّم فيه الأوائل. ولو كان هذا مما تكلّم الناس فيه لاستغنى عنهم. والكلام لا يعارض بالسكت، والشك لا يداوى بالوقوف والبدعة لا تدفع إلا بالسنة<sup>(٥)</sup> وإنما يقوى الباطل أن تبصره وتمسك عنه، وإن كان الوقوف في اللفظ بالقرآن حتى لا يقال فيه مخلوق، أو غير مخلوق هو الصواب فما حجتنا على الواقعية في القرآن<sup>(٦)</sup> ولما جعلناهم شكاكيًّا ولما جعلناهم ضلالًا وأكفرهم بعض أهل السنة، وأكفر من شك في

(١) إن بعض الكتاب (سامي النشار - الطالبي - عقائد السلف) يرى أن أبي حنيفة هنا هو غير الإمام أبي حنيفة. وهذا الافتراض غير صحيح، فإن هذا الإمام تكلّم فعلًا في مشكلة خلق القرآن وما هو يقول بخلقه كجهنم بن صفوان (عن أبي إيلاغ - الإمام أبو حنيفة ص ١٧٤).

(٢) الغمة: الشم والكرب.

(٣) استبطنوا: اعطوا من دون سابقة أو ما هو معروف.

(٤) أي أن هذه الآيات محكمات ويستحيل عليها التشبه وهي تتعلق بذات الله بصورة جلية وصريحة. وهي ثابتة شكلًا ومضمونًا وما تحتاج إلى التأويل.

(٥) ليست واضحة في الأصل.

(٦) فما حجتنا على الواقعية: الواقعية في القرآن: هم الذين امتنعوا عن وصف القرآن بالمخلوق أو غير المخلوق.

كفرهم، هل الأمر في ذلك وفي هذا إلا واحد. فإن قيل إن الثوري<sup>(١)</sup> وابن عبيدة<sup>(٢)</sup> وابن المبارك<sup>(٣)</sup> وأشباههم لم يقفوا قلنا: لكل زمان رجال، فأتت ثوري زماننا وابن عبيتنا، فقل كما قالوا نسمع ولنتبع، على أن أولئك قالوا وبينوا من أين قالوا، نحن راضيون بذلك لأننا نقول ومعقول أن تقول من أين قلت، وكل من أدعى شيئاً أو انتحل<sup>(٤)</sup> نحلة، فهو يزعم أن الحق فيما أدعى وفيما انتحل، خلا الواقع الشاك فإنه يقر على نفسه بالخطأ لأنه يعلم أن الحق في أحد الأمرين وقف بينها، وأنه ليس على واحد منها. وقد بلي بالفريقين المستبصرين المسترشد وبإعانتهم<sup>(٥)</sup> ومحبتهم وإغلاظهم لمن خالفهم وإكفاره وإكفار من شك في كفره، فإنه ربما ورد الشيخ النصر، فقد للحديث وهو من الأدب غفل<sup>(٦)</sup> ومن التمييز، ليس له من معانٍ العلم إلا تقادم سنه وأنه قد سمع ابن عبيدة وأبا معاوية<sup>(٧)</sup> ويزيد بن هارون<sup>(٨)</sup> وأشباههم فيبدأونه قبل الكتاب بالمحنة، فالويل له إن تلعثم أو تمكث<sup>(٩)</sup> أو سعل أو تتحجج قبل أن يعطيهم ما يريدون فيحمله الخرف من قدحهم فيه وأسقاطهم له على أن يعطيهم الرضا فيتكلم بغير علم، ويقول بغير فهم، فيبتعد عن الله من المجلس الذي أراد أن يتقرب فيه منه

(١) الثوري: هو سفيان الثوري وله من الآثار: الجامع الكبير، الجامع الصغير، القراءض، ورسالة إلى الأرسوفى.

(٢) ابن عبيدة: هو سفيان بن عبيدة ومن مؤلفاته جامع ابن عبيدة، وطبقات فقهاء اليمن.

(٣) ابن المبارك: هو عبدالله بن المبارك ولد في خراسان سنة ١١٨ هجرية، لقي التابعين وقال فيه الإمام أحمد بن حنبل لم يكن في زمان ابن المبارك أطلب منه للعلم. وكان صاحب حديث حافظاً. ومن كتبه كتاب الجهاد وقد توفي سنة ١٨١ هـ.

(٤) انتحل: انتسب واتبع.

(٥) اعانتهم: يعتن الرجل شئ عليه وتشتد.

(٦) غفل: ما لا علاقة له به.

(٧) أبا معاوية: هو محمد بن خازم وهو رجل حديث توفي بالكونية سنة ١٩٥ هجرية.

(٨) يزيد بن هارون: يكنى أبا خالد ولد سنة ١١٨ هجرية وهو رجل حديث وقد توفي سنة ٢٠٦ هجرية.

(٩) تمكث: ثأنى ولم يتعجل.

وإن كان من يعقد على مخالفتهم سام<sup>(١)</sup> نفسه إظهار ما يحبون ليكتبوا عنه، وإن رأوا حدثاً مسترشدًا أو كهلاً متعلماً سالوه، فإن قال لهم: أنا أطلب حقيقة هذا الأمر وأسائل عنه، ولم يصح لي شيء بعد، وإنما صدقهم عن نفسه، واعتذر بعذرها، الله يعلم صدقها، وهم يعلمون أنه لم يكلفه إذا لم يعلم إلا أن يسأل، ويبحث ليعلم - كذبواه وأذوه وقالوا: خبيث فاهجروه ولا تقاعدوه... أفترى لو كان ما هم عليه من اعتقادهم هذا الأمر أصل التوحيد الذي لا يجوز للناس أن يجهلوه، وقد سمعوه من رسول الله<sup>(ص)</sup> مشافهة كان يجب أن يبلغ فيه هذه الغاية،؟ فكيف وهم لو سئلوا من أين قلت<sup>(٢)</sup> ما رجعوا في ذلك إلى وثيقة من حديث يأثرونـه<sup>(٣)</sup> أو قول إمام من العلماء يحسن تقليل مثله أو قياس يطردونـه<sup>(٤)</sup>. وإنما هو رأي رأوه وقد يخطئـه الراوي. وظنـه ظنـه وأجهل الناس من جعل ظنه للـله ديناً<sup>(٥)</sup>.

وعدل القول فيما اختلفوا فيه من القراءة واللفظ بالقرآن أن القراءة لفظ واحد يشتمل على معينين أحدهما عمل والأخر قرآن، إلا أن العمل لا يتميز من القرآن كما يتميز الأكل من المأكل فيكون المأكل الممضوغ والمبلوع ويكون المضغ، والبلع . والقرآن لا يقوم بنفسه وحده وإنما يقوم بوحدة من أربع كتابة أو قراءة أو حفظ أو استماع ، فهو بالعمل في الكتابة قائم ، والعمل خط وهو مخلوق ، والمكتوب قرآن وهو غير مخلوق .

وهو بالعمل في القراءة قائم والعمل تحريك اللسان واللهوات بالقرآن، وهو مخلوق، والمقرؤه قرآن، وهو غير مخلوق. وهو بحفظ القلب قائم في القلب، والحفظ عمل وهو مخلوق والمحفوظ قرآن وهو غير مخلوق. وهو

(۱) سام نفسہ تکلف۔

(٢) من أين قلتم؟ يعني ذلك المرجع أو المصدر الذي يرجعون في الأمر المعنى إليه.

(۳) پائزونه: پرچمچونه.

(٤) يطردونه: يُضيّقونه.

<sup>(٥)</sup> إشارة إلى قوله تعالى «إن يتبينون إلا لظنهم».

بالاستماع قائم في السمع والاستماع عمل وهو مخلوق، والسموع القرآن وهو غير مخلوق. ومثل هذا وإن كان لا مثل<sup>(١)</sup> للقرآن إلَّا أنه<sup>(٢)</sup> تقريب مثناً لما ذكرناه - إلى فهمك مثل لون الإنسان لا يقوم إلَّا بجسمه ولا تقدر أن تقر اللون في وهمك<sup>(٣)</sup> حتى يكون متميّزاً من الجسم، وكذلك القدرة لا تقدر أن تفردها عن الجسم، وكذلك الاستطاعة والحركة كل واحدة منها لا تفرد وإنما تقوم بالجسم والجارحة<sup>(٤)</sup> ولا تفرد عندهما. كذلك القرآن يقوم بذلك الحال الأربع التي ذكرناها ولا يستطيع أحد أن يتوقعه متفرداً عنها. فإذا قلت: قرأت أو تلوت أو لفظت. دلّ قولك على فعل، وقرآن، كل واحد منها قائم بالأخر غير متميّز منه، لأن الصوت وتحريك اللسان لا يكون قراءة حتى يحمله الصوت واللسان. وليس سائر الأفعال والمفعولات هكذا. ألا ترى أنك تقول: شتمت وسبيت وقدفت<sup>(٥)</sup> فيدل قولك على فعل ومشتوم، وسبوب، ومقذوف إلَّا أن كل واحد قائم بنفسه متميّز من الآخر، فلهذا قلنا: إن القراءة شيئاً وكذلك التلاوة واللفظ. وقلنا الشتم شيء واحد، فإن قال قائل: ما تقول في القراءة؟ قلت قرآن متصل بعمل فإن قال: أم مخلوق هو أم غير مخلوق قلت له سألك كلمة تحتها معنيان، أحدهما مخلوق وهو العمل والأخر غير مخلوق وهو القرآن. فإن قال: فما شبه هذا؟ قلنا: رجلان نظرا إلى جمرة حمراء. فقال أحدهما: هي جسم وقال الآخر: هي نار وتجادلا في ذلك وشرق<sup>(٦)</sup> الأمر بينهما حتى حلف كل منهما بالطلاق على ما قال<sup>(٧)</sup>، ثم صارا إلى الفقيه فقالا: إنا اختلفنا في جمرة

(١) لا مثل: لا يشبه.

(٢) إلا أنه تقريب: أي لمجرد التقريب ودون نية يتشبيه كلام الله بسواء.

(٣) في وهمك: أي في قدر من إدراكك.

(٤) الجارحة: العضو العامل من أعضاء الجسم.

(٥) قذف: رماه بالحجر أو بالزنق.

(٦) شرق: شرق فلان بالماء غصن، ويعني هنا اشتد.

(٧) الحلف يعني هنا الإيجاب والسلب أو الإثبات والنفي.

فقال أحدهنا هي نار، وتمارينا<sup>(١)</sup> في ذلك حتى حلف كل واحد منا بالطلاق على ما أدعى. فقال الفقيه لكل واحد منها صدقت، ولكن ذكرت شيئاً ذا معنيين بأحد معنييه، فالجملة مثل القراءة لأنها اسم واحد يجمع معنيين: الجسم والنار، كما أن القراءة تجمع معنيين: العمل والقرآن. ولو كان أحد المختلفين قال: هي جسم ونار قد جمع لها الصفتين ، كما أن من قال القراءة عمل وقرآن قد جمع الصفتين . وكذلك لو اختلف اثنان في نجم فقام أحدهما هو نار وقال الآخر: هو نور كانوا جميعاً صادقين لأن النجم اسم ذو معنيين: نار ونور وكذلك لو اختلف اثنان في أكل إنسان فقام أحدهما: هو مرض ، وقال الآخر: هو بلع كانوا جميعاً صادقين لأن أكل الإنسان ذو معنيين: مرض وبلع وكذلك لو اختلفا في القتل فقام أحدهما: هو جرح وقال الآخر هو موت لأن القتل اسم ذو معنيين: عمل وموت<sup>(٢)</sup>.

وقد بقيت بعدما بینت لطيفة . قد يغلط في مثلها وهي أن السامع إذا سمع قاتلاً يقول: قراءتي للقرآن ، ولفظي بالقرآن ، قراءة مفردة عن القرآن ، واللفظ منفرد عن القرآن - توهם أن كل واحد منها غير ممازج للقرآن ، وليس كذلك ، وإنما قوله للقرآن تمييز للقرآن من غيره . لأن القاريء قد يقرأ غير القرآن ، وهذا من أغمس ما مرّ وأدقه ، فتأمله وتذكرة حتى تفهمه ، وسأزيده إيضاحاً: كان رجلاً يسمى محمداً قرأ فسمعه رجل يقال له زيد فقام لأخ له يقال له عبد الله ما أحسن قراءة محمد فقال عبد الله . ماذا قرأ؟ فيقول زيد: القرآن . وكذلك لو قال: ما أحسن لفظ محمد فقال عبد الله : وبماذا لفظ فيقول له زيد: بالقرآن فالقرآن ه هنا إنما هو تمييز وتبين<sup>(٣)</sup> وكل واحد من القرآن واللفظ يجمع معنيين عملاً وقراناً.

(١) تمارينا: ماراه: ناظره وجادله.

(٢) عمل وموت: وذلك لأن الجرح هو عمل يقوم به الإنسان بينما الموت أمر يعود إلى الله وليس إلى سواه لأنه هو وحده الذي يحيي ويميت . وإليه يرجع الممات والحياة .

(٣) هو تمييز وتبين: أي تمييز عن سواه مما يقرأ ويلفظ .

وذهب قوم من متاحلي السنة إلى أن الإيمان غير مخلوق خوفاً من أن يلزمهم أن يقولوا: لا إله إلا الله مخلوق إذ كانت رأس الإيمان<sup>(١)</sup> فركبواها شعاء وجعلوا أفاعيل العباد غير مخلوقة صفات الله عز وجل: فيما سبحانه الله ما أعجب هذا وأعجب قائليه! ولقد ألف الناس (غير مخلوق) وأنسوا به حتى أنه ليخيل<sup>(٢)</sup> إلى أن رجالاً لو ادعى أن العرش غير مخلوق، وأن الكرسي غير مخلوق لوجد على ذلك أشياعاً يتاحلون السنة<sup>(٣)</sup>، فماذا جرّ جهنم - لا رحمة الله - على متبعيه بتحلته وعلى مخالفيه ببغضته. وقد بلغني أن قوماً يذهبون إلى روح الإنسان غير مخلوق وأنهم يستدلون على ذلك بقول الله في آدم: «ونفخْتُ فيْهِ مِنْ رُوحِي» وهذا هو النصرانية والقول باللاهوت والتاسوت<sup>(٤)</sup> قال النابعة الجعدى<sup>(٥)</sup>:

من نطفة<sup>(٦)</sup> قدرها<sup>(٧)</sup> يخلق منها الإنسان والنسما  
والنسم الأرواح واجمع الناس على أن الله فالق الحبة وباريء  
النسمة، أي خالق الروح والإيمان مخلوق لأنّه لفظ باللسان وعقد بالقلب<sup>(٨)</sup>  
 واستعمال للجوارح وكل هذه أفعال للعباد ثم هذه غرائز ركبتها الله في العباد  
وسماها الرسول صلى الله عليه وسلم إيماناً.

(١) رأس الإيمان: أي الإقرار بالتوحيد.

(٢) ليخيل: تفيد هنا مجرد الظن.

(٣) يتاحلون السنة: أي من يتسبون إلى السنة.

(٤) اللاهوت والتاسوت: هما الطبيعتان الإلهية والبشرية في العقيدة المسيحية.

النابعة الجعدى: هو من جملة فيس شاعر محضرم قال الشعر في الجاهلية، وسكت دهراً ثم نبغ في الإسلام وهو عن فكر في الجاهلية فأنكر الخمر وهجر الأذلام والأوثان وله مهاجة مع الشاعرة ليل الأخيلية. وله قصيدة أوردها أبو زيد في جهرة أشعار العرب. يصف فيها حاله منذ كان عند المتنزه حتى أن سار إلى الرسول ﷺ وأسلم.

(٦) نطفة: النطفة: المني.

(٧) قدرها: هي تفيد هنا معاني عديدة كالوصف والتصوير والتعيين وكتابة المصير أو تقديره.

(٨) عقد بالقلب: أي صفا وخلاص.

قال أبو محمد<sup>(١)</sup>: وقد كان بعض الجهمية سألني مرة عن تكلم الناس في الحرف والحرفين<sup>(٢)</sup> ولذلك أصل في الكتاب أخلقو هو أم غير مخلوق؟ فقلت: هو مخلوق، ما لم يقصد به إلى تلاوة القرآن. فقال لي: فإذا ذكر القرآن يصير كلاماً بيتك والكلام يصير قرآنًا بيتك قلت له: إن القول القليل قد يتغير بالنسبة والقصد وأنا أقر لك بذلك، ثم قلت له أما تعلم أن لا إله إلا الله رأس الإيمان وكلمة التوحيد؟ قال: بلى. قلت فما تقول في ملحد قال: (لا إله) يريد النفي. ماذا تكون كلمته؟ فقال: كفراً: قلت فإذا ذكر شطر كلمة التوحيد قد قد صار كفراً بالنسبة. ثم قلت له: ما تقول في مؤمن أراد أن يقول: (لا إله إلا الله) فقال: (لا إله) ثم انقطع نفسه وسها ما كان قوله؟ قال: إيماناً بحاله. قلت له: فإذا ذكر ما كان هناك كفراً بالنسبة قد صار هنالك إيماناً بالنسبة وقلت له: ما تقول أنت في القرآن قال: مخلوق. قلت: وفي أفعال العباد قال: غير مخلوقة<sup>(٣)</sup>. قلت: ما تقول في قول الله: «ويخزهم وينصركم عليهم»، ويشف صدور قوم مؤمنين<sup>(٤)</sup> [١٤ / التوبة] ما هو؟ قال آية. قلت فهي عندك مخلوق أم غير مخلوق؟.. . وقلت فإن دعبدل بن علي الشاعر<sup>(٥)</sup> جعل لها بيتاً في شعر له طويل فقال:

ويخزهم وينصركم عليهم      ويشف صدور قوم مؤمنينا  
فما هي في شعر دعبدل؟ قال: قول لدعبدل. قلت: مخلوق أم غير

(١) أبو محمد: أي هو الكاتب نفسه، فابن محمد كتبه.

(٢) الحرف أو الحرفان: أي اللفظ أو اللفظان أو الكلمة والكلمتان وكما هو في الحديث: نزل القرآن على سبعة أحرف، فالحرف هنا يعني الكلمة أو الوجه.

(٣) غير مخلوقة: وذلك لاعتقاد الجهمية بالجبر المحسن.

(٤) ويشف صدور قوم مؤمنين... ذلك بما فعل بنو خزاعة ببشركي مكة (تفسير الجلالين).

(٥) دعبدل: هو الشاعر العباسي دعبدل بن علي بن رذن من بنى خزاعة. أصله من الكوفة وجاء ببغداد بطلب من الخليفة هارون الرشيد. وهو شاعر مطبوع سلطط اللسان لم يسلم منه الخلفاء ولا وزراؤهم ولا أولادهم، ولهم مدائح بلية. وهو معروف بصلق موالاته للطاليين وبمعاداته للعباسيين، وأكثر مدائحه هي في آل بيت رسول الله ﷺ. وتوفي سنة ٢٤٦ هجرية.

مخلوق؟ قال بل غير مخلوق، قلت فلأه صار فعلًا بالنية وخلقًا: بالنية<sup>(١)</sup> فما الذي أنكرته من قولنا هذا.

هذا متهى الاختلاف في اللفظ بالقرآن وهو بلاغ لمن خضع للحق وتلقاه بقلب سليم ومن استنكر وجمحت به الحمية<sup>(٢)</sup> فيستغنى الله الحق عنه والله غني حميد.

(انتهى)

(تم بحمد الله وعنه وصلى الله على محمد وعلى آل محمد ورضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين. وقد وافق الفراغ منه نهار الجمعة رابع شعبان سنة التسعين وثلاثين وسبعمائة).

---

(١) خلقًا بالنية: أي فعل من أفعال العباد.

(٢) الحمية: الأنفة.



## الخاتمة

لقد ترجمت في هذا الكتاب للإمام عبد الله بن سلم بن قتيبة كمنطلق لإجلاء جانب في فكره، ونتائجـه العربي والإسلامي الكبير. وأقيمت الأضواء تمهدـاً على المبادئ الرئيسية للعقيدة الإسلامية وبعض المبادرـين إلى الكتابة فيها مثل الإمام أحمد بن حنبل في كتابه : (الرد على الزنادقة والجهمية) والإمام البخاري في كتابه : (أفعال العباد) لأقدم بعد ذلك كتاب ابن قتيبة في العقيدة الإسلامية (الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة) دراسة وتحقيقاً وشـرحـاً وتعليقـاً، ابتغـاءـ أن يحلـ هذاـ الأنـثرـ القـتيـبيـ الإـسـلامـيـ فيـ المـكـانـ الـذـيـ يستـحقـ فيـ التـرـاثـ الـعـرـبـيـ وـالـإـسـلامـيـ حـاضـراًـ وـإـحـيـاءـ بـعـدـ أـنـ لـمـ يـكـنـ يـتـالـ عـلـىـ رـيـادـتـهـ الـأـصـولـيـةـ وـأـهـمـيـتـهـ، وـتـنـعـ معـطـيـاتـهـ وـعـقـمـ أـثـرـهـ، مـنـ الدـارـسـينـ لـابـنـ قـتـيـبـةـ، مـنـ حـيـثـ الـكـلـامـ عـنـهـ أـوـ التـعـرـيفـ بـهـ، سـوـىـ تـعـرـيفـ وـجـيزـ يـقـتـصـرـ عـلـىـ عـدـةـ سـطـورـ وـعـبـارـاتـ قـلـيلـةـ، وـرـبـماـ اـكـتـفـىـ بـذـكـرـ عـنـوـانـهـ، أـوـ أـهـمـلـ بـالـعـرـفـ وـذـلـكـ عـلـىـ عـكـسـ كـتـبـ أـخـرـىـ لـابـنـ قـتـيـبـةـ مـثـلـ: الشـعـرـ وـالـشـعـرـاءـ، وـعـيـونـ الـأـخـبـارـ، وـالـمـعـارـفـ، وـمـشـكـلـ الـقـرـآنـ، وـمـخـلـفـ الـحـدـيـثـ وـسـوـاهـ.. وـلـأـنـ لـأـمـلـ أـنـ أـقـدـمـ، إـنـ شـاءـ اللـهـ، وـمـنـ مـوـقـعـ تـخـصـصـيـ الشـامـلـ بـابـنـ قـتـيـبـةـ، آثارـاـ قـيمـةـ أـخـرـىـ مـهـمـةـ لـهـذـاـ الكـاتـبـ ماـ وـجـدـتـ ذـلـكـ موـاتـيـاـ. وـوـاجـبـاـ، إـنـصـافـاـ لـهـ كـبـاحـثـ أـمـيـنـ، وـمـفـكـرـ عـرـبـيـ، وـإـسـلامـيـ كـبـيرـ، صـادـقـ فيـ عـرـوبـيـتـهـ كـمـاـ فيـ إـسـلامـهـ، وـإـنـسـانـيـتـهـ، وـمـسـاـهـمـةـ فيـ الـانـطـلـاقـ الـحـاضـرـ لـلـفـكـرـ الـعـرـبـيـ، وـإـسـلامـيـ، وـإـنـ ذـلـكـ لـمـ منـ صـمـيمـ رسـالـتـاـ كـامـةـ عـرـبيةـ عـرـيقـةـ وـعـظـيمـةـ، تـؤـمـنـ بـالـلـهـ وـالـوـطـنـ وـالـإـنـسـانـ، وـتـواـصـلـ مـسـيرـتـهاـ وـعـملـهـاـ الـحـضـارـيـ الـقـادـرـ وـالـرـائـدـ.



## **المراجع**

---

- ١ - د. فاروق عمر - الخلاقة العباسية في عصر الفوضى العسكرية منشورات مكتبة المثنى - بغداد.
- ٢ - د. حسن إبراهيم حسن - تاريخ الإسلام - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة.
- ٣ - د. محمد رمضان الجريبي - ابن قتيبة والمقاييس البلاغية - المنشأة العامة للنشر . طرابلس - الجماهيرية العربية الليبية.
- ٤ - د. عبد العزيز الدوري - الجذور السياسية للشعوبية .
- ٥ - د. بدوي طبانة - دراسات في النقد الأدبي .
- ٦ - جاك - س. سيلر - الحضارة العربية - ترجمة غنيم عبدون - القاهرة.
- ٧ - د. ناجي معروف - أصالة الحضارة العربية . دار الثقافة - بيروت .
- ٨ - د. علي حسن المخربوطلي - العرب والحضارة - مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة .
- ٩ - خليل داود الزرو - الحياة العلمية في الشام .. دار الأفاق الجديدة - بيروت ١٩٧١ .
- ١٠ - دومينيك وحانين سورديل - الحضارة الإسلامية في عصرها الذهبي . ترجمة حسني الزينة - دار الحقيقة - بيروت .
- ١١ - ابن قتيبة - عيون الأخبار المؤسسة المصرية العامة - القاهرة .

- ١٢ - د. محمد زغلول سلام - ابن قتيبة (سلسلة نوابغ الفكر العربي) - دار المعارف القاهرة.
- ١٣ - د. عبد الحميد الجندي - ابن قتيبة (سلسلة أعلام العرب) دار الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة.
- ١٤ - ابن قتيبة - كتاب الأنوار - دار المعارف العثمانية - الهند.
- ١٥ - د. علي سامي النشار وعمار جمعي الطالبي - عقائد السلف - دار المعارف الاسكندرية.
- ١٦ - الأستاذ محمد كرد علي - رسائل البلقاء دمشق.
- ١٧ - د. جبرائيل جبور - كيف أفهم النقد - دار الآفاق الجديدة - بيروت.
- ١٨ - د. مصطفى الرافعى - حضارة العرب دار الكتاب اللبناني - بيروت.
- ١٩ - د. رؤوف الشلبي - مجلة الأزهر ١ - الجزء ٤ - السنة ٥ - ٧٨ القاهرة.
- ٢٠ - د. محمد أحمد أبو زهو - الحديث والمحدثون. دار الكتاب العربي - بيروت.
- ٢١ - د. عبد الحليم محمود - التفكير الفلسفى فى الإسلام .
- ٢٢ - د. محمد علي أبو ريان - تاريخ الفكر الفلسفى فى الإسلام - بيروت.
- ٢٣ - د. أحمد الشريachi - الأئمة الأربع - دار الجيل - بيروت.
- ٢٤ - العالمة السيد إبراهيم الزنجاني - نهاية الفلسفة الإسلامية مؤسسة البلاع - بيروت.
- ٢٥ - موسى غزال - حركة الترجمة والنقل في العصر العباسي - بيروت.
- ٢٦ - الشيخ أبو بكر جابر الجزائري - عقيدة المؤمن - دار الشروق - جدة.
- ٢٧ - د. عبد اللطيف محمد العبد - تأملات في الفكر الإسلامي - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة.
- ٢٨ - حسني زينة - العقل عند المعتزلة - دار الآفاق الجديدة - بيروت.
- ٢٩ - خالد عبد الرحمن العنك - عقيدة المسلم - دار الإيمان - دمشق.
- ٣٠ - ابن قتيبة - تأويل مختلف الحديث - دار الجيل - بيروت.
- ٣١ - محمد محبي الدين عبد الحميد - البخاري . لجنة إحياء كتب السنة - القاهرة.

- ٣٢ - الأستاذ عتابة الله إبلاغ - الإمام الأعظم المتكلّم - القاهرة.
- ٣٣ - ولتر. م بانون - أحمد بن حنبل والمحنة - ترجمة عبد العزيز عبد الحق - دار الهلال - القاهرة.
- ٣٤ - الشيخ علي الطنطاوي - تعريف عام بدين الإسلام - بيروت.
- ٣٥ - علي الشابي ، عبد المجيد النار... المعتزلة بين الفكر والعمل - الشركة التونسية .
- ٣٦ - محجوب بن ميلاد - في سبيل السنة الإسلامية - تونس.
- ٣٧ - د. كمال عيسى - العقيدة الإسلامية - دار الشروق.
- ٣٨ - الشيخ محمد الغزالى - عقيدة المسلم - دار القلم - دمشق.
- ٣٩ - د. جعفر آل ياسين - الفكر الفلسفى عند العرب - دار الأندلس - بيروت.
- ٤٠ - الإمام أبو الحسن الأشعري - مقالات إسلاميين . دار الحداثة - بيروت.
- ٤١ - الشيخ محمد رضا المظفر - عقائد الأمامية - دار الزهراء بيروت.
- ٤٢ - الشيخ محمد محمد المدنى مجلة العرفان - مجلد ٤٣ ج ٥ ص ٩٥٦ صيدا.
- ٤٣ - الشيخ محمد الغزالى - هذا ديتا - دار العربية .
- ٤٤ - د. عبد الرحمن بدوى - مذهب الإسلاميين - دار العلم للملايين - بيروت.
- ٤٥ - د. أحمد الشرباصي - المذاهب الأربع - دار القدس - بيروت.
- ٤٦ - محمد عمارة - تيارات الفكر الإسلامي - دار الوحدة - بيروت.
- ٤٧ - د. علي سامي النشار- نشأة الفكر الفلسفى في الإسلام - دار المعارف - القاهرة.
- ٤٨ - الشيخ بدر الدين الصائغ - أهل البيت عليهم السلام - مطبعة العرفان - صيدا.
- ٤٩ - ذكريا هاشم زكرييا - آراء فلاسفة وعباقرة العرب في الإسلام - الهيئة العامة المصرية للكتاب - القاهرة.

- ٥٠ - د. نصر حامد أبو زيد. الإتجاه العقلي في التفسير - دار التنوير - بيروت.
- ٥١ - الشيخ جمال الدين القاسمي - تاريخ الجهمية والمعتزلة - مؤسسة الرسالة - بيروت.
- ٥٢ - محمد صالح العثيمين - رسائل في العقيدة - مكتبة المعارف - الرياض.
- ٥٣ - د. عبد اللطيف محمد العبد - الأصول الفكرية لمذهب أهل السنة - دار النهضة العربية - القاهرة.
- ٥٤ - د. أحمد حجازي السقا - الله وصفاته في اليهودية - والنصرانية والإسلام - دار النهضة العربية القاهرة.
- ٥٥ - أحمد عبد الجود الدومي - أحمد بن حنبل - منشورات المكتبة العصرية - صيدا.

## **المراجع بالفونسي**

---

- 1 - Frithjof Schion - Comprendre L'islam. Editions du Seuil Paris.
- 2 - Louis Yarde - L'islam (rigion et Communauté) Descleé de Brouwer - Paris.
- 3 - J.M. Abbd - Eljalil - Aspects hnterieurs de L'Islam - Editions du Seuil - Paris.
- 4 - Jean Claude Vadet - les dissidenences de L'Islam - Geuthner Paris.
- 5 - Henri Laoust - les Schismes dans L'Islam - Payot - Paris.
- 6 -Jean CLaude Vadet - Une defense phitosophique de la Sunna - Geuthner - Paris.
- 7 - Rger du Pasquiet. Découverte de L'Islam - Institut Islamique de Genéve - Suisse.
- 8 - Seyyed Hossein Nasr. Islam Perspectives et péatiles, Buchel Chastel, Paris.
- 9 -Ghickh Bouamran - Louis Gardet - Panorama de la pensée Islami- que Sindibad - Paris.

10 - Louis Gardet Anovvati - Intrduction a la Théologie muslmane  
J. Vpin Paris.

11 - Gerard Lecomte - Jhn Qolayba L'homme, Oeuvre et idées  
Damas.

12 - Kasem Hotaitt- Ibn Qotayba:Son Oeuvre et Son Influence dans  
la bensée rabe - Beyrouth.

## **فهرس الآيات**

- «هذا يوم لا ينطقون» [٣٥] «ولَا يؤذن لهم  
فيعتذرون» [المراسلات - ٣٥ - ٣٦] ..... ٣٠
- «شِئْمَ إِنْكُمْ يوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْدَ رِبِّكُمْ تَخْتَصِّمُونَ» [الزمر - ٣١] ..... ٣٠
- «فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتْسَاءَلُونَ» [المؤمنون - ١٠١] ..... ٣٠
- «فَأَقْبِلُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَسْأَلُونَ» [الصافات - ٥٠] ..... ٣٠
- «رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ» [الشعراء - ٢٨] ..... ٣٠
- «وَرَبُّ الْمَشْارِقِ وَالْمَغَارِبِ» [المعارج - ٤٠] ..... ٣٠
- «وَجْهُهُ يَوْمَئِذٍ نَاضِرٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرٌ»  
[القيامة - ٢٢ - ٢٣] ..... ١١٥، ٧٥، ٥١، ٣٢، ٣١
- «لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يَدْرِكُ الْأَبْصَارَ» [الأنعام - ١٠٣] ..... ٣١
- «إِنَا جَعَلْنَاهُ قَرآنًا عَرَبِيًّا» [الزخرف - ٣] ..... ٧١، ٥١، ٥٠، ٤٩، ٣٢
- «أَلَا لِهِ الْخُلُقُ وَالْأَمْرُ» ..... ٣٢
- «وَإِنَّ أَحَدَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجْهَرَ فَأَجْهَرَهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامُ  
الله» [التوبية - ٦] ..... ٣٢
- «وَكَلَمُ اللهِ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا» [النساء - ١٦٤] ..... ١١٠، ٧٢، ٧١، ٣٣
- «وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ» ..... ٣٢
- «إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلْمُ الطَّيِّبُ» [فاطر - ١٠] ..... ٣٢

- «ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا موسادهم» [المجادلة - ٧] ..... ٣٣
- «لهم فيها نعيم مقيم» [التوبية - ٢١] ..... ٣٣
- «خالدين فيها أولئك هم شر البرية» [البيتة - ٦] ..... ٣٣
- «يتلون آيات الله آناء الليل» [آل عمران - ١١٣] ..... ٣٩
- «يضل من يشاء ويهدى من يشاء» [النحل - ٩٣] ..... ٤٤، ٦٢، ١٠١
- «ما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله» [يونس - ١٠٠] ..... ٤٥، ١٠١
- «لقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والأنس» [الأعراف - ١٠٠] ..... ٤٥، ٦٥
- «لو شاء ربك لأمن من في الأرض كلهم جميماً فأفانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين» [يونس - ٩٩] ..... ٤٥
- «إن هي لافتتك تضل بها من شاء وتهدي من شاء» [الأعراف - ١٠٥] ..... ٤٥
- «لو شاء الله لهدى الناس جميماً» [الرعد - ٣١]
- «فمن يرد الله إن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضلله يجعل صدره ضيقاً حرجاً» [الأنعام - ٦٤] ..... ٦٤، ٤٦، ٦٤، ٦٥
- «ذر أكم في الأرض» [المؤمنون - ٧٩] ..... ٤٦
- «يدرككم فيه» [الشورى - ١١] ..... ٤٦
- «فاما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً يضل به كثيراً ويهدى به كثيراً وما يضل به إلا الفاسقين» [البقرة - ٢٦] ..... ٤٦، ٦٦، ١٠٤
- «وأنا أول المؤمنين» [الأعراف - ١٤٣] ..... ٤٧، ٦٥
- «وأنا أول المسلمين» [الأعراف - ١٦٣] ..... ٤٧، ٦٥
- «أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضلله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلاتذكرون» [الجاثية - ٢٣] ..... ٤٧
- «إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان فهم مقمحون، وجعلنا

- من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأشيناهم فهم لا يصرون  
[يس - ٨ - ٩] ..... ١١٣، ٦٧، ٤٧ ..
- ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة، ولهم  
عذاب عظيم》 [البقرة - ٧] ..... ١٠٥، ٤٧ ..
- «عذابي أصيب به من أشاء» [الأعراف - ١٥٦] ..... ١٠٦، ٤٧ ..
- «إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار» [ص - ٤٦] ..... ١٠٦، ٤٨ ..
- «ولا يحسبن الذين كفروا إنما نعمل لهم خير لأنفسهم إنما نعمل لهم  
ليزدادوا إثماً» [آل عمران - ١٧٨] ..... ٦٧، ٤٨ ..
- «إن كيدي متين» [الأعراف - ١٨٣] ..... ٧١، ٤٩ ..
- «إن الله فقير ونحن أغنياء» ..... ٤٩ ..
- «أني معكما أسمع وأرى» [طه - ٤٦] ..... ١٠٩، ٤٩ ..
- «خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور» [الأنعام - ١] ..... ١١١، ٥٠ ..
- «ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث» ..... ٥٠ ..
- «لعلهم يتقوون أو يحدث لهم ذكرآ» [طه - ١١٣] ..... ١١١، ٥٠ ..
- «ووقالت اليهود يد الله مغلولة بل مبوسطتان» [المائدة - ٧٤، ٧٣] ..
- «ونفتحت فيه مسن روحي» [الحجر - ٢٩] ..... ٨٦، ٥٠ ..
- «أولي الأيدي والأبصار» [ص - ٤٥] ..... ١١٢، ٥٠ ..
- «بل يداء مبوسطتان» [المائدة - ٦٤] ..... ٥٠ ..
- «لما خلقت بيدي» [ص - ٧٥] ..... ١١٣، ٥٠ ..
- «لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار» [الأنعام - ١٠٣] ..... ١١٦، ٥١ ..
- «تعلم ما في نفسك ولا أعلم ما في نفسك» [المائدة - ١١٦] ..... ١١٧، ٥١ ..
- «وعنده مفاتح الغيب» [الأنعام - ٥٩] ..... ١١٧، ٥١ ..
- «وسع كربه السموات والأرض» [البقرة - ٢٥٥] ..... ٥١ ..
- «خلق الإنسان من عجل» [الأبياء - ٢٧] ..... ٧٨، ٥١ ..
- «واتخذ الله إبراهيم خليلًا» [النساء - ١٢٥] ..... ١١٩، ٥٢، ٥٧ ..

- «لن تراني» [الأعراف - ١٤] ..... ٥٢
- «الرحمن على العرش استوى» [طه - ٥] ..... ١٢٠، ٧٩، ٥٣، ٥٢
- «فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك» [المؤمنون - ٢٨] ..... ٨٠، ٥٣
- «فقل تعالوا ندع ابناءنا وأبناءكم، ونساءنا ونساءكم، وأنفسنا وأنفسكم» [آل عمران - ٦١] ..... ١٢٧، ٨٢، ٥٥
- «ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين» [التوبه - ١٤] ..... ١٣٦، ٨٨، ٥٦
- «ما كان لنفس أن تؤمن إلا باذن الله» [يونس - ١٠٠] ..... ٦٢
- «ولو شاء ربك لأمن من في الأرض كلهم جمِيعاً أفانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين» [يونس - ٩٩] ..... ٦٣
- «وأذان من الله ورسوله» [التوبه - ٣] ..... ١٠٢، ٦٤
- «إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها» [البقرة - ٢٦] ..... ٦٦
- «ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث» [الأنبياء - ٢] ..... ٧١
- «خلق السموات والأرض» [الأنعام - ١] ..... ٧٢
- «لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً» [الطلاق - ١] ..... ٧٢
- «وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً» [النحل - ٩١] ..... ١١١، ٧٢
- «قرّ بناء نجياً» [مريم - ٥٢] ..... ٧٧
- «وعصى آدم ربه فغوى» [طه - ١٢١] ..... ٧٨
- «ثم استوى على الماء» [البقرة - ٢٩] ..... ٨٠
- «فاستمعوا له» [الأعراف - ٢٠٤] ..... ٨٤
- «وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً» [الاسراء - ٧٨] ..... ٨٥
- «فقد استمسك بالعروة الوثقى» ..... ٩٣
- «وإما ينزعنك من الشيطان نزع فاستعد بالله» ..... ٩٣
- «فأصبح هشيمًا تذروه الرياح» ..... ١٠٣

- «إِنَّمَا الْأَعْرَافَ تَضُلُّ بَهَا مِنْ نَّشَاءٍ وَتَهْدِي بَهَا مِنْ نَّشَاءٍ» [الأعراف - ١٥٥] ..... ١٠٤

- «وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهِذَا» [آل عمران - ٢٦] ..... ١٠٤

- «إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذَبَابًا . وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ إِنْ يَسْلِبُهُمُ الدَّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَقْدُوْهُ مِنْهُ» [الحج - ٧٣] ..... ١٠٤

- «فَضَلَّكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ» [الأعراف - ١٤٠] ..... ١٠٥

- «وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ» [آل عمران - ١٧٨] ..... ١٠٦

- «فَجَعَلْنَا هُنَّا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدِيهَا وَمَا خَلْفَهَا» [آل عمران - ٦٦] ..... ١١١

- «فَاقْتَلُوهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفِكُونَ» [التوبه - ٣٠] ..... ١١٢

- «يَوْمَ يَقُومُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ صَفَّاً» [النَّبِيٌّ - ٢٨] ..... ١١٤

- «وَانظُرُونَا نَقْبَسُ مِنْ نُورٍ كُمْ» [الحديد - ١٣] ..... ١١٥

- «ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ» [آل عمران - ٢٩] ..... ١٢٠

- «أَلَا لَهُ الْخُلُقُ وَالْأَمْرُ» [الأعراف - ٥٤] ..... ١٣٠

- «إِنِّي أَنَا اللَّهُ إِلَهٌ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُنِي» [طه - ١٤] ..... ١٣٠



## فهرس المراجع

١٣٩	ابن قتيبة
٢٨، ٥	ابن حنبل
١٣٩، ٣٩، ٣٥، ٥	البخاري
٥٥، ٣٥، ٩	المتوكل
٩٠	المعتر
٩	المهدي
١١	آل وهب
١١	أبو حاتم السجستاني
١٢	عبد الرحمن ابن أخي الأصمسي
١٢	إبراهيم بن سفيان
	حرملة بن يحيى النجاشي ، يحيى
	القاضي ، أبو الفضل
	ابن الفرج
١٣	أحمد بن سعيد اللطيفي
١٣	أبو عثمان الجاحظ
١٣	عبد الله بن المحسن بن خاقان
١٣	أحمد بن عبد الله بن قتيبة
١٤	ابن درستويه

١٤	عبد الرحمن السكري
١٤	أبو بكر المرزباني
٥٨ ، ١٥	ابن حزم
١٥	ابن خلكان
١٦	السيوطى
١٧	ابن تيمية
١٧	ابن الأنباري
٥٥ ، ٣١ ، ٢٦	جهنم بن صفوان
	المعتزلة
٢٩	سفيان بن عيينة
٥٨ ، ٢٩	الشافعى
٢٩	المأمون
٢٩	المعتصم
٠٠	الواشق
	الداخلي ، البيكتنى ،
	أبو الوليد الطيالسى
	إسماعيل بن عبد الله
٣٥	واصبع بن الفرج
٣٥	جعفر بن محمد
٣٥	أبو أيوب الهاشمى
٣٧	جبير بن مطعم
٣٧	ابن مسعود
٠٠	ابن عباس
٣٨	أبوزر
٣٩	أبو بكر الصديق

٣٩	جوير بن عبد الله
١٣٦، ٨٨، ٥٦	دعبد الخزاعي
٨٥، ٥٨	أبو حنيفة
٩٥، ٥٨	مالك
٩٥، ٥٨	النظام
٠٠	أبو الهذيل -
٦٤	النعمان
١٠٢، ٦٤	عدي بن زيد
٦٤	النعمان
٦٦	الفراء
٦٦	أبو عبيدة
٧	المرار
٧٤، ٧٣	ذو الرمة
١١٨، ١١٠، ٧٨، ٧٧	أميمة بن أبي الصلت
١١٩، ٧٨	زهير بن أبي سلمى
١٢٣، ٨٣	الإمام علي
١٢٤، ٨٣	الإمام الحسن
٨٣	الإمام الحسين
٨٥	أبو عبيد
٨٧	التابعة الجعدى
٨٩	أبو سعيد الدارمي
٨٩	الطحاوى
٨٩	الحافظ بن مندة
٨٩	أبو المعالي الجوهري

٩٥	محمد بن الحسن الشيباني
٩٦	أبو الحسن الأشعري
٩٧	الجبياني
١٠٣	المتقب العبدى
١١٤	سلمان الفارسي
١١٤	أبو الدرداء
١١٥	الحطبة
١١٧	الحلاج
١١٨	أبوزيد الطائي
١٢٤	ال الخليفة عثمان
١٢٥	ال الخليفة عمر بن الخطاب
١٢٥	معاوية بن أبي سفيان
١٢٥	عمرو بن العاص
١٢٨	حسان بن ثابت
١٣١	الثوري
١٣١	ابن عبيدة
١٣١	ابن المبارك
١٣١	أبو معاوية، يزيد بن هارون

# الفهرس

٠	.....	المقدمة
القسم الأول: ابن قتيبة		
٩	.....	عصره
١٠	.....	بيته
١٢	.....	حياته
١٤	.....	شخصيته
١٦	.....	ثقافته
١٧	.....	آثاره
١٩	.....	فكره
القسم الثاني		
٢٥	.....	في العقيدة الإسلامية
٢٨	.....	ما قبل ابن قتيبة
الإمام أحمد بن حنبل		
٢٩	.....	حياته
٣٠	.....	كتابه (الرد على الزنادقة والجهة)

## الإمام البخاري

حياته .....	٣٥
كتابه: خلق أفعال العباد ..... مع ابن قتيبة	٣٦
دراسة كتابه: الإختلاف في اللفظ والرد على المشبهة والجهمية	
غايتها .....	٤٣
منهجه ومضمونه .....	٤٤
خصائصه .....	٥٧
قيمتها .....	٨٨
أثرها .....	٨٩

## القسم الثالث

### تحقيق وشرح كتاب الإختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة

الخاتمة .....	٩١
المراجع .....	١٣٩
فهرس الآيات .....	١٤١
فهرس الأعلام .....	١٤٧
فهرس الأعلام .....	١٥٣

- ١ - في المجتمع العربي .
- ٢ - النحو العربي على المنهج التطبيقي .
- ٣ - دراسات في الأدب العربي .
- ٤ - المقاومة الوطنية منطلقات وأبعاد .
- ٥ - اعلام ورواد في الأدب العربي .
- ٦ - أبحاث في التربية والتعليم بالفرنسية (على الآلة الكاتبة)
- ٧ - ابن قتيبة آثاره وأثره في الفكر العربي (جزءان) بالفرنسية على الآلة الكاتبة .

ويصدر له قريباً :

- ١ - شعراء الحنين إلى الوطن في المغترب الأميركي .
- ٢ - في معركة التحرير والتغيير .
- ٣ - الجاحظ شاهد عصر ورائد ثقافة .
- ٤ - فلسفة وجودية .
- ٥ - الثقافة في معركة المصير العربي .
- ٦ - في المسار الوطني اللبناني .







**To: www.al-mostafa.com**